إهـــداء

هذه السلسلة خيالية عن بطل خارق تصادف أنه يعمل ممرضا لكن الحقيقة الناصعة البعيدة عن الخيال هي أن كل الممرضين والممرضات هم أبطال خارقون في مواقعهم وهذه السلسلة مهداة إليهم

-١-

كان يمشي مُسرعًا، بالكاد يوازن خطواتِه محاولًا ألّا يبدو مترنّحًا كي لا يلفِتَ نظرَ أحد. لم يكن يعلم أنّ الناس مِن حوله مُثقلون بهمومهم اليوميّةِ الكثيرة التي تمنعُهم من ملاحظةِ وجوده حتّى!. كان واضعًا يدَه اليمنى على خاصرتِه،باذلًا قصارى جَهْده لمنْع الدم من التدفّق من جرحه.

وصلَ إلى السلم الذي يُفضي إلى النفق، الذي يمرّ أسفلَ شارع الأزهر، والذي ينقله من ميدان الحُسين إلى الناحية الأخرى ليستكملَ طريقَه للوصول إلى المستشفى. لم يهتمّ برائحةِ النفق الرّطبة التي زكمتْ أنفَه، وضايقتْ تنفّسه، لم تلفتِ انتباهَه توسّلاتُ فتاةٍ تطلب صدقة، ولا سبابُ رجُلٍ ارتطم به أثناءَ مشْيته المتعثّرة. كان يتلفّت حوله يبحثُ في خوفٍ عنْ أثرٍ للرّجل الذي طاردَه، وأصابَه منذُ قليل، والذي يحاول جاهدًا أن يهرب منه في الزحام.

كان الرجلُ المُصاب في مهمةٍ يريد أن يُنهيها حتّى لو كلّفته حياته. كان طويلًا نحيلًا أشعثَ الشعر، يبدو في أواخرِ العشرينيّات، يرتدي سروالًا من الجينز، وقميصًا يصل أسفلَ حزامه بقليل، وعليه سترةٌ بدتْ شاذّة وسطَ هذا الجوّ الحار، لكنّها كانت مهمّةً لمداراة جرحه.

اختار الرجلُ المصاب المشيَ في الشوارع الجانبية خلفَ الجامع الأزهر بدلًا من المشي في الشّارع الرئيسي؛ لكي

يندمجَ وسطَ الزحام والباعة. وصل- أخيرًا- للباب الخلفي للمستشفى، أوقفه حارسُ الأمن فكشفَ له قميصَه الملوّث بالدم، وقال إنّه مصابٌ ويحتاج للعلاج. نظر له الحارسُ بقلق، وشكّ، وطلب منه أن يذهبَ لباب الطوارئ في الجهةِ الأخرى. حاول المصابُ إقناعَه بصعوبةِ المشي حتّى باب الطوارئ دونَ جدوى، وحين يئس أخرجَ من جيبه بطاقة تحملُ اسمَ أحد مديري المستشفى، وعليها توصيةٌ بالاهتمام؛ فتغيّرت معاملةُ الرجل، وسمح له بالدخول، بل وطلبَ من أحد العمّال مرافقتَه.

توكّأ المصابُ على العامل، وحثّه على المشي سريعًا، اقترح العاملُ عليه ان يستريح ويذهب هو لإحضارِ كرسي متحركٍ ينقله عليه، لكنّه رفض بإصرار، ثمّ مدّ يده في جيبه وأخرجَ خمسين جنيهًا أعطاها للعامل، طالبًا منه الإسراع. أقسمَ العاملُ أنّه يقوم بواجبه، ولا يريد مالًا، لكنّه أصرّ، وأمرَه أن يقودَه نحو غرفة الطوارئ. حين وصلَ إلى باب المبنى، وصل إلى سمعِه صوتُ جلبةٍ قادمة من ناحية البوّابةِ الخارجية التي عبرَها منذ قليل، التفتَ خلفه فرأى الرجلَ الذي يُطارده هناك يتجادلُ معَ حارس البوابةِ بانفعال زائد. أسرعَ خطاه مع العامل، وهو يختلسُ النظرَ خلفه للشجار عند البوابة.

كان مطاردُه عريضًا قويّ البنية سريعَ الحركة، لكنّه كان سريعَ الانفعال،يصيح بصوت عالٍ؛ فتكاثر أفرادُ الأمن عليه،

ومعهم بعضُ مِن مرتادي المستشفى، وأعاقوا حركتَه، وهو ما أراح قلبَ الرّجل المصاب، وجعله يدخلُ غرفة الطوارئ وهوَ مطمئنٌّ البال قليلًا أنّ غريمه لن يصلَ في الوقت المناسب لمنعِه من تنفيذِ مهمّته.

وجدَ عددًا من الأطباء المتدرّبين يلتفّون حوله، وكلّ واحد منهم يحاول جعْلَ نفسه مفيدًا، والممرضُ الوحيد يتحرّك بينهم بضيق، ويطلب منهم استدعاءَ الطبيب المُقيم سريعًا،لافتًا نظرَهم لخطورة الحالة،وهو يحاول تنظيفَ جرحِه.خرج الأطباءُ المتدرّبون، ولم يبقَ منهم إلّا واحدٌ انْهمك في تركيب محلولٍ ملحيّ للمريض.

أمسك الرجلُ المصاب بيدِ الممرّض بقوة، وهو يقول: «أين وليد؟ أريد وليد.. بسرعة أرجوك». نظرَ الممرّض له مستفهمًا وهو يؤكّد أنّ وليدًا لايعملُ في الطوارئ، وإنّما هو ممرض يعمل في غرفةِ العمليات.

«أرجوك، أرسلْ في طلبه، إنّ حياتي متوقّفة على وجوده». قالها وهو يمسكُ بيدِ الممرض متوسّلًا، فقال له: «لا أستطيع، هو في عمليةٍ جراحية بالتأكيد، ولا يمكن خروجُه الآن». زام الرجل، ثمّ تأوّه وهو يحاول أن يعتدلَ كأنّه ينوي التوجّهَ إلى وليد في العمليات، لكنّ الممرض ضغطَ عليه، وأجبره على البقاءِ على الطاولة، فقال: «ما اسمك؟». ردّ عليه الممرض بحزم: «اسمي أحمد، ولن أتركَك تتحرّك». نظر الرجلُ لأحمد متوسّلًا متردّدًا، ثمّ قال

وهو يأخذ نفَسًا عميقًا: «اسمع يا أحمد، سوف يدخلُ من هذه الغرفة رجلٌ مسلّح بعدَ دقائق، وسوف يقتلني، وأريد أنْ أصل لوليد قبلَ أن أموت».

نظرَ له أحمد غيرَ مصدّق، وردّ عليه بطريقةٍ توحي أنّه لم يقتنع بكلام الرجل، ويظنّ أنه يهذي.. فقال الرجل: «إصابتي الحالية قاتلةٌ على أيّة حال، وأنا لست مهتمًّا بالنجاة قدرَ اهتمامي بأن أرى وليدًا، أرجوك». ظهر التردّدُ على وجه أحمد لِلَحظة دونَ أن يردّ، وكان هناك أحد الأطباء الصّغار يبدو مهتمًّا بالحوار، وقال بتعجّل: «سوف أستأذنُ لك طبيبَ الجراحة المسئول ليرسل وليدًا إليك، ولكنّي لا أضمن أنْ يأتي بسرعة».تدخّل أحمد قائلًا: «يا دكتور، لا تسمع كلامَه؛ إنّه مجنون». لكنّ الطبيب لم يُعرْه انتباهًا، ثمّ انصرف مسرعًا، وعندها قال أحمد وكأنّه يبرر تعاطفَ الطبيب: «هؤلاء الأطباء المتدربون قليلو الخبرة وسريعو التأثر بما يقوله مرضى الطّوارئ رغمَ أن أغلبكم يخرف».

مدّ الرجلُ يدًا مرتعشة في جيب قميصه، ثمّ أخرج منه محقنًا غريبَ الشكل، وأظهره لأحمد قائلًا: «اسمع، عِدْني لو قتلني المسلّح فسوف تأخذُ هذا المحقنَ وتغرسُه في كتف وليد دونَ أن تسأله، أو تقول لأحد». ضرب أحمد كفًّا بكفّ وهو يؤكّد لنفسه أنّ الرجل مجنون فعلًا. كانت الغرفةُ خالية إلّا منهما، فاستطرد الرجلُ قائلًا: «أظنّ لو أنني قتلت الآن فسيكون هذا إثباتًا كافيًا على عقلي، وعلى خطورة

مهمّتي». زفرَ أحمد في ضيق، وقال: «حسنًا، أعطني الحقنة، وسوف أعطيها لوليد لو تمّ قتلُك، رغم علمي أنّه قد يقتلني إذا أعطيتُه حقنةً مجهولة من مخبول مثلك». ابتسم الرجلُ ابتسامة باهتة، وهو يستشعرُ عدم الصدق في كلام أحمد، ثمّ وضع المحقن بحرص على القائمِ المعدني أسفلَ الفراش الذي يرقدُ عليه، وضغط على جانب المحقن، فاكتسبَ لون القائم المعدني، وصار شبهَ مُختفٍ عن العين، وهو ما أثار دهشةَ أحمد، وجعله يشعر أن الرجلَ وراءه سرّ حقيقي.

دخل الغرفة طبيبُ الطوارئ، نظر لأحمد بدهشة، وهو يسأله عن السببِ الذي لم يجعله ينقل الرجلَ لغرفة الأشعة، فقال أحمد: «يرفض التحركَ من هنا قبلَ أن يأتي وليد». فتساءل الطبيب بدهشة: «وليد ممرّضُ العمليات؟!». فتدخّلَ الرجل وقال بصوتٍ متعب إنّ وليدًا صديقٌ مقرّب له، وإنّه يريد أن ينتظره. فقال الطبيب بحزم: «هذا تهريج، خذْه يا أحمد إلى غرفةِ السونار حالًا».

خرجَ من الغرفة دون أن ينتظرَ الرد. انخرط أحمدُ والرجلُ في جدال قصير قبلَ أن ينفتح باب الغرفة بعنف، ويدخل منه الرجلُ قويُّ البنية الذي كان يطاردُه من قبْل. لم يمنحْ أحمد فرصةً للحديث وعاجلَه بلكمةٍ قويّة ألقتْ به لآخر الغرفة، ثمّ هجم على الرجل المُصاب وهو يحدّثه بعنفٍ بلغة غريبة. لم يردّ عليه الرجلُ المصاب فأخرج قويُّ البنية من جيبه آلةً

حادّة ضربه بها أكثرَ من مرّةٍ وهو يحثّه على الإجابة، لكنّ الرجلَ لم يجبه حتّى يئس منه في النهاية فقضَى عليه.

كان أحمد في جانبِ الغرفة يحاول القيامَ متألّمًا من الضربة، ومن السقطة، متعجّبًا من أنّ هذا الصّراع لم يجذبْ أحدًا.أخذ الرجلُ العنيف يفتّش ثيابَ القتيل باحثًا عن المحقن، وبينما هو منشغلٌ قفزَ أحمد عليه وضربَه بعنف بوعاءٍ معدني ثقيل. تألّم الرجلُ من الضربة لكنّه اعتدل سريعًا، ووجّه ضربةً قوية لأحمد أسقطته ثانية، وقبل أن يهجمَ عليه فُتِح بابُ الغرفة ثانية، وكان الدّاخل هو وليد،وهو يقول: «أنا وليد، مَن يريدني؟».

كان وليد شابًّا أبيضَ، ذا شعرٍ ناعم أسود فاحم اللون، عيناه بنيّتان واسعتان، أنفه أشمّ عريض قليلًا، وفكّه السفلي عريض حادّ، كان متوسط الطول نحيفًا، لكنْ ذو بنية عضلية جيدة تجعله واثقَ المشية والوقفة. فوجئ وليد بالغرفةِ المقلوبة، وأحمد الملقى على الأرض، وبالقتيل الموجود على الفراش، ثمّ انتابته رعدةٌ حين التفتَ الرجل العنيف له متجهّمًا متحفّزًا،فقال أحمد وهو على الأرض يتأوّه من قوة الضربة: «هذا اللعين الملقى على الفراش هو مَن أرسل في طلبك، لكنْ دعك منه الآن، واهربْ بسرعة واستدْعِ الأمن». تحفّز الرجلُ العنيف أكثر، وقال بصوت خشن: «إذًا؛ فهو أنت». فقال وليد بدهشة كبيرة: «أنا ماذا؟!»

لم يردّ الرجلُ وقفز نحو وليد وأمسكه من رقبته قبلَ أن

يتحرك، في تلك اللحظة أدرك أحمد صدقَ الرجل المقتول وخطورةَ مهمّته كما قال، ودون تردّد أمسك بيده القائمَ المعدني الذي يعلق عليه محاليلَ المرضى وهوى بكلّ قوّته على رأس الرجل الذي تراجعَ من الضربة دون أن يسقطَ، ثمّ قفز نحو المحقن، وألقى نفسَه على وليد وغرس المحقنَ في كتفه. صرخ وليد متفاجئًا وأطلقَ الرجل العنيف صيحةً غاضبة وهو يقول: «لا... أيها اللعين، سوف أقتلك». ثمّ هجم على أحمد محاولًا الفتكَ به.

-٢-

لم تكن بدايةُ يومِ وليد سهلةً على أية حال، كان في الليلة السابقة مناوبًا في مستشفى خاص اضطرّ للبقاء مستيقظًا أغلب الليل، ومِن فرط إجهاده استغرقَ في النوم وهو في الباص المتوجّه لمستشفى الحسين. فاتته المحطةُ، وحين استيقظ وجدَ نفسَه في الضفّة الأخرى من النيل، ووصل المستشفى متأخّرًا أكثر من ساعة. كان واقفًا خارجَ غرفة العمليات حين فوجئ بالطبيب المتدرّب يطلب منه الذهابَ للطوارئ بسرعة لنجدة أحدِ أقربائه.

حين وصلَ لغرفة الطوارئ، ورأى المنظرَ الذي أدهشه وأرعبه في نفس الوقت، كاد ينادي رجالَ الأمن، لكنّ توالي الأحداث جمّدَ حركته، وصلتْ دهشته ذروتَها حين غرس أحمد المحقن في كتفِه. لم يعرفْ ما الذي حدثَ له بعدها، شعر بغضبٍ عارم يجتاحه، ووجد نفسَه يهجم على الرجلِ العنيف الذي كان يحاول ضربَ أحمد في تلك اللحظة. التفتَ الرجل إليه ودفعَه بقوة في صدره فسقط أرضًا، ثمّ قال له: «حسنًا، سوف أتخلّص منك أوّلًا».

قبلَ أن يفعل شيئًا رفع كرسيًّا وقذفه نحوه، فنحّاه الرجل كأنّما يهشّ ذبابة. كانت قوة الرجل واضحة، وبدا للجميع أنّ وليدًا هالك لا محالة حينَ بركَ الرجل فوقه محاولًا كسر رقبته. تملكت أحمد شجاعةٌ كافية في تلك اللحظة،

وأمسك مقصًّا طويلًا من بين الآلاتِ الطبية، وغرسه في عنقِ الرجل الذي استمرّ في محاولة قتل وليد كأنّ شيئًا لم يحدث.

انتابت أحمد نوبةُ هياج، وتوالت طعناتُه للرجل وهو يصرخُ بعنف، ثمّ تدخّل آخرون في المعركة التي انتهتْ بمقتل الرجلِ العنيف وإصاباتٍ متفرقة في جسدي وليد وأحمد. امتلأت المستشفى برجالِ الشرطة والمحقّقين في وقت قصير، وتمّ أخذُ وليد وأحمد لغرفة الأشعة التّليفزيونية للاطمئنان عليهما.

كان الشابّان لا يزالان في صدمةٍ ممّا حدث، ورأسُ كلّ منهما يموج بأفكار عديدة. بعد أنِ انتهت فحوصُهما على خير جلسَا في غرفةٍ صغيرة يستريحان. قال وليد وهو يربّت على كتف أحمد بامتنان: «لقد أنقذتَ حياتي اليوم». فقال أحمد: «لم أفعلْ غيرَ الواجب، ثمّ إنه كان سيقتلني أنا الآخر».ضحك وليد وهو يمازحُه ويقول: «كنّا استرحنا من الدنيا، ومن هذا المستشفى». كانا متقاربيْن في العمر، وبينهما ودٌّ بدأ منذ تدرّبَ وليد على يدِ أحمد في أوّل أيام عمله، قطع وليد الضّحكاتِ وهو يسأله بجديّة: «هل ستفسّر لي ما فعلتَه إذًا، ما هذه الحقنة؟ وكيف طاوعك عقلك أن تعطيها لي؟!».

وجمَ أحمد لحظة ثمّ تكلّم ببطء، قصّ عليه ما قاله الرجلُ الذي أعطاه المحقن بالتفصيل، وبصدق، ثمّ أضاف: «حين

وجدتُه قد مات في سبيلِ إيصال المحقن لك توقّعت أنّ الأمر مهمٌّ جدًّا». عقد وليد حاجبيه قائلًا: «ماذا لو كان جاسوسًا أرسلوه لقتلي». ضحك أحمد وقال إنّ الرجل لم يَبدُ عليه أنّه قاتل. «ما حدث كلّه شيء جنوني أشبه بالأفلام الهندية، أقول لك دعْنا ننسى ما حدثَ، ولو شعرت بأيّ تعب نتيجة هذه الحقنة فسوف يُعالجونك». ثمّ ضحك وهو يناول وليدًا كوبَ الشاي الذي أحضرته العاملة.

غيرَ أنّ اليوم مضى دونَ أحداث تُذكر غير متاعب العمل المعتادة. بعد انتهاء الجراحات،دخل وليدأحدَ غرف الإنعاش الفارغة وأغلقَها على نفسه واستغرقَ في نوم عميق، كان ذلك أفضل له فالوقتُ الذي سيستغرقه في الذهابِ إلى بيته سيوفّره للنوم قبل أن يحين موعدُ عمله في المستشفى الآخر. في المساء، وبينما كان في سيارة أجرة في طريقه إلى عملِه الليلي، كانت السيارة تمرُّ في شوارعَ ساكنة بين المقابر،وهو يتحدّث في الهاتف مُعتذرًا لزميله عن تأخره حينَ فوجئ بيدٍ تختطف الهاتف منه، وينطلق صاحبُها سريعًا بدرّاجته النارية، وخلفه شابّ آخر.

في العادة، كان سينسى الأمر مُكتفيًا بالسّباب والدعاء على السارقين، لكنّه وجد الغضب يتصاعد في أعماقه، ووجد نفسَه يقفز من السيارة بعد أنْ طلب من السائق الوقوف. ركض خلف الدّراجة،انعطف خلفها في شارعٍ تلو الآخر بسرعة أدهشتْه وأخافته في آنٍ واحد. حين اقترب

مِن الدراجة مسافة كافية قفزَ عليها وأوقع راكبيها أرضًا، واشتبك معهما في عراكٍ عنيف انتهى بانْتصاره واستعادةِ هاتفه، ثمّ أخذ الدراجة وركبَها حتى طريق النصر، حيث استقلّ باصًّا للمستشفى وهو مندهشٌ من كلّ ما يفعله، كأنّ عفريتًا قد لبسه وتصرّف بالنيابة عنه.

في الطريق، تساءل عن ما حلّ به، وهل السببُ كان تلك الحقنة الغريبة أم شيء آخر! لم يكن شخصًا انْهزاميًّا أو جبانًا من قبْل، لكنّه لم يكن متهوّرًا أيضًا، ولم يشتركْ في عراك من قبل إلّا نادرًا، ولم يخطرْ بباله يومًا أن يطاردَ لصّيْن على دراجة وسطَ المقابر، وأنّ لديه قوة جسدية تكفي لإسقاطهما أرضًا.

دخل بابَ المستشفى، توجّه في البداية نحو العمليات، وقف عند الباب الخارجي، أشارللممرضة الجالستِ على المكتب أمامه،وعندما انتبهت قال بتوتّر: «يارا هنا؟». ابتسمت الممرضة بخبث مُتسائلة عن السبب، وهي تعرفه، فقال بضيق: «ناديها لو سمحتِ». بعدَ ثوانٍ وجدها آتية نحوه مِن نهاية الممرّ الطويل، تأمّلها بخجل، ينظر لوجهها الخمريّ المليح، وخصلة الشعر التي هربت من طرحتِها، ثمّ يهرب بعينه، ثمّ يعود يلقي نظرةً نحو زيّ العمليات الذي يكتسب سحرًامختلفًا وهو يتألّق على جسدها، ثمّ ينظر لأسفل، ثمّ يتأمل عينيها وهي تقتربُ وتمنحه ابتسامة يتوقُ لها طيلة يومه.

مدّ لها يداً خجلى تحمل كيسًا ورقيًّا، وهو يقول: «طلبت منه أن يزيدَ لك الجبن كما تحبّينه». ابتسمتْ يارا بحبور، وهي تشكرُه بشدّة، وتأخذ الكيس من يده. ثمّ مدّت يدها له بثمنِ العشاء الذي أصرّت أن يأخذه. حاول أن يتكلّم معها لكنّ الكلماتِ خرجت منه متعثرةً بلا معنى محدد، وقبلَ أن تتكلّم هي سمعَا صوتَ طبيب التخدير يناديها بصوت عالٍ متعجّلًا عودتها لغرفة العمليات بالداخل. انصرفَ وعلى وجهه ابتسامةٌ واسعة كأنّه قضى معها ساعة كاملة، وأسرع نحوَ القسم الداخلي حيث يعمل.

في الصباح، رنّ هاتفه، وكان المتصلُ مندوبًا من شركة شحن شهيرةٍ أخبرَه أنّ لديه طردًا مرسَلًا إليه. أثار الأمرُ دهشته؛ فهو لا يعرف أحدًا يمكن أن يرسلَ إليه طردًا بتلك الطريقة المكلّفة، لكنّه أخبر المندوب بالوقتِ والمكان المناسب لاستلام الطّرد منه. كان الطردُ يحوي علبةً بها ساعة إلكترونية تشبه تلكَ التي تتزامن معَ الهواتف المحمولة، وكان معها ورقة صغيرة مكتوبٌ عليها.. «إذا كنت قد تسلّمت جرعتَك من الحقن، وجرّبت شيئًا مِن تأثيرها، فرجاءً ارتدِ هذه الساعةَ فقط عندما تكون وحدَك خلفَ بابٍ مُغلَق».

كان شكلُ الساعة وطريقةُ وصولها يبعثان على الشكّ، ويزيده تلك الرسالة الغريبة المصاحبة لها، لكنّه لم يفكرْ في الأمر كثيرًا، فقد كان ما جرّبه مع تلك الحقنة عجيبًا

بالفعل. لم ينمْ إلّا ساعتين ليلًا، واستيقظ صافي البال شديدَ الانتباه أكثرَ من المعتاد، هذا بالإضافة إلى مغامرته الغريبة في المقابر والقوّةِ المفرطة التي شعر بها، والتي جعلته يتفوّق على رجُليْن أقوى منه.

حين عادَ لبيته أغلق بابَ غرفته، وجلس على الفراش، وارتدى الساعة، وما إنْ فعل حتى وجدَها التصقت بمعصمه، وأُضِيء بها زرٌّ صغير، ووجدَ مكتوبًا على الشاشة.. «اضغط الزرَّ المضيء»، وبدافع مِن الفضول والترقب لما سيحدثُ ضغط الزرَّ، وفوجئ بضوءٍ شديد يبهره وإحساسٍ غامر يملأ كيانه كأنّه يطفو على سائلٍ لزج،وغير قادرٍ على تحريك أصبع واحد. سيطرَ الإحساس الغامرُ عليه مدّةً لا يعلمها قبلَ أن ينقشع الضوء ويتحرّر جسده، ويجد نفسَه على أرض صلبة ملْساء في مكانٍ لم يره في حياته.

-٣-

شعورٌ بالخَدر كان يسري في جسدِه مصحوبًا برعْدةٍ خفيفة، وإحساس بالخوف لم يخالطه إلّا حين كانت أمُّه على وشك الخضوعِ لجراحة قلبٍ مفتوح منذ عامين. كان في قاعة واسعة ذات سقفٍ مرتفع كأنّها ملعبُ كرة سلة خالٍ من المدرجات. الأرض والجدران مَلْساء، والإضاءة خافتةٌ غير محدّدة المصدر. نظرَ يمينًا ويسارًا، ثمّ التفّ بجسده مائة وثمانين درجة وهو بَعْد جالس، لم يرَ بابًا ولا ممرًّا، ولا أيّ شيء يدلّ على اتّجاه. أرض وجدران وسقف بنفس اللون، رماديّ معرق بخطوط سوداء خفيفة دون أي تفاصيل. لعنَ في سرّه غباءَه وفضولَه اللّذيْن جعلاه يُقدم على ارتداء تلك الساعة، أو السوار، وانتقاله المفاجئ إلى هذه القاعة القاحلة.

سمع صوتًا مدوّيًا من يمينه كاحتكاكٍ معدني، التفت لمصدرِ الصوت فرأى بابًا يُفتح في الحائط قبلَ السقف مباشرةً على ارتفاع يُقارب خمسة عشر مترًا، ثمّ ظهرت عدةُ بروزات على ارتفاعات متفاوتة، وكلمة مكتوبة بالضّوء على الحائط.. «تسلّقْ». أثارت الكلمةُ استنكاره في البداية، وهو يتساءل عنِ المجنون الذي يطلبُ منه التسلقَ لهذا الارتفاع مُعتمدًا على بروزات مُتباعدة هكذا!.

فكّر لحظة أنّ مَن أحضره إلى هنا هو مَن حقنَه بتلك

الجرعة التي جعلته يطاردُ دراجة نارية ويسقطُ لصّيْن، ابتسم ساخرًا وقد أعجبته تلك الفكرةُ الشبيهة بالأفلام الأمريكية. قفز نحو أول بروز، واستطاع الوصولَ إليه بسهولة، ثمّ قفز للثاني، فالثّالث،حتّى السابع، وعندها تجمّد للحظةٍ حين نظرَ إلى أسفل وأدرك الارتفاعَ الذي صار فيه. أخذ نفسًا عميقًا وهو يفكر كيف وصلَ إلى هنا!؟ وكيف يتعامل ببساطة مع ذلك الوضع الغريب؟!.

سيطرتْ عليه الهواجس وهو يحاول استنتاجَ أيّ حقيقة من الغموض الذي يحيط به دون جدوى. انتبَه على حقيقة أنّه متعلّقٌ بذراعه على هذا الارتفاع منذُ دقيقتين دون أدنى إحساسٍ بالكلل. شدّ جسدَه ثانية، ودفعه لأعلى تجاهَ البروز التالي وهو لا يزال يفكّر في موقفه الملتبس، لكنّ يدَه انزلقت وهوَى للأرض مُغمضًا عينيه من الفزع وترقّب الصدمة.

آلمتْه السقطةُ لكنّها لم تصبْه بأيّ ضررٍ يُذكر، ظلّ جالسًا في مكانه يفكر في خطوته التالية، هل يتسلّق ثانية أم يجلس بلا حراكٍ منتظرًا ما سيحدث. لنْ يعرّض نفسه لألم سقطة أخرى، وليدع مَن أحضره إلى هنا يشرح له أوّلًا ما يريد من هذه اللعبة. لم يكن هناك مبررٌ لمحاولة التسلق الأولى، أو مبرر لارتدائه تلك الساعةِ العجيبة التي جاءتْه بطريقة مُبهمة، المبرر الوحيد فقط هو أنّه كان متعَبًا للغاية من تلك الدوامة التي يعيش فيها بين مستشفى صباحي

وآخر ليلي من أجل أن يوفّر بعض الجنيهات. لا يذكر آخرَ مرّةٍ نام في بيته على فراشه وهو لا ينتظر أن يوقظه مرافقُ مريض أو طبيبٌ بسببٍ لا يستحق. كان هذا مبررًا كافيًا لأن يفعل أي شيء يكسر تلك الحلقة المفرغة التي يشعر أنّها تأكله، وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين بعد.

«تسلّقْ تجاه الباب ثانية يا وليد». جاءه صوت من أعلى، عقد حاجبيه مفكّرًا دون أن يتحرك فقال الصوتُ ثانية في إلحاح: «تسلّقْ ثانية، ولا تتباطأ، ألا تريد العودةَ إلى بيتك» قام وهو يقول لنفسه إنّه لا ضررَ من محاولة التسلق ثانية حتّى ينهي تلك اللعبة السخيفة ويعود إلى بيته كما يقول ذلك الصوت.

تسلّقَ ثانية حتى وصل قربَ الباب ثمّ سقط ثانيةً من على ارتفاعٍ يناهز أربعة طوابق دون إصاباتٍ أيضًا. أصابه غضبٌ شديد لأنّ البروز الأخير كان زلقًا، وكأنّ أحدهم وضع زيتًا عليه متعمّدًا إسقاطه. قام وهو يقسمُ أنّه سيضرب الشخص الموجود خلفَ هذا الباب أيًّا كان، ومادام لديه قوة تحميه من صدمةٍ كتلك؛ فلابدّ أنه يستطيع استخدامها لتأديب ذلك اللعين الذي يتلاعب به.

وصلَ أخيرًا للباب، وجده يُفضي إلى ممرّ قصير، فيه عدةُ أبواب، أخذ يحاول فتحها بعنف،والغضبُ يتصاعد في أعماقه دون مبرر. ظلّ على حاله تلك وقتًا لم يحدّده حتى أحس بالتعب وبعودةِ عقله إليه ثانية، جلسَ على الأرض

أمام أحد الأبواب. جاءه صوتٌ مختلف يسأله بنبرة هادئة: "هل يمكننا أن نتحدّث الآن؟". ردّ وهو يلوّح بيده: "هيّا اظهرْ وبان يا عمّنا الخطير".

انفتحَ أحدُ الأبواب، وجد أمامه غرفةً فسيحة فيها منصّة، جلس عليها ثلاثة أشخاص، رجلان وامرأة، وفي مواجهتهم مقعد وثير، أشار له الرجل الجالسُ في المنتصف بأنْ يتقدم ويجلس عليه. كان أوّل ما خطر بباله أنّ الموقف أشبه بالمحاكمة، وأخذ يفتشُ في ذاكرته عن سبب تلك المحاكمة، مسترجعًا كلّ الأخطاء التي ارتكبها من قبْل عن عمد أو دون قصد. إذًا الموضوع ليس مجرّدَ قصة تشبه الأفلام الأجنبية، وإنما محاكمة له جزاءَ ما اقترفه في حياته، رغم أنه لا يتذكّر ذنبًا فعله يستحقّ محاكمة بهذا التعقيد.

تحدّثت المرأةُ التي كانت ترتدي سترة زرقاء فوقَ قميص أبيض، وكان شعرها قصيرًا، وترتدي قرطًا كبيرَ الحجم بشكلٍ مثير للتعجب، قالت: «نحن نقدّر مدى الدهشة والخوف الذي تعانيه الآن، لكنّنا نريد صالحك، ولعلّ أكبر دليل على ذلك هو تلك القدراتُ التي بدأت تكتشفها بعدَ أن تلقيت جرعةَ التنشيط الجيني». رغم أنّه لم يفهم ما تعنيه المرأة بعبارةِ التنشيط الجيني، إلّا أنه لم يعلق بذهنه، غير أنّهم يستدلون على أنّهم يريدون صالحَه بالقدرات التي اكتشفها في نفسه، فسأل مستنكرًا: «هل سلّطتم

عليّ اللصّيْن بالأمس؟». ضحك الرجل الأشيب الجالسُ في المنتصف قائلًا: «كلّا بالطبع، كانت تلك صدفةً غير مقصودة، لكنّنا قصدنا أن نسقطك أكثرَ من مرّة لتكتشفَ أنّ جسدك ليس هشًّا كبقية البشر».

أكملتِ المرأة الشرح، كأنّ الحوار بين وليد والأشيب لم يحدث: «أنت تمتلك عيبًا جينيًّا، أقصد وراثيًّا، هذا العيب يوجد في عشرةٍ بين كلّ مليار إنسان، وهذا الجين يكسب تلك القدرات التي بدأتْ تكتشف بعضَها اليوم هذا، الجين خامل، ويحتاج إلى الجَرعة التي حقنّاك بها كي ينشط ويكسبك تلك الخصائص، وهذا الجين...». قاطعها وليد بصوت عالٍ قائلًا: «أنا لا أفهم شيئًا من كلامك، ولا أفهم سببَ أن أجلس أمامكم كأنّني في محاكمة، بينما أنتم تحاولون أن تشرحوا لي شيئًا يخصّني!».

قام الرجلُ الثالث الذي كان شابًّا قريبَ العمر منه، وأخذ كرسيّه ووضعه أمامَ كرسي وليد جالسًا أمامه مباشرة، ثمّ قال: «اسمعْ يا وليد، سوف أشرح لك من البداية، أوّلًا أنت الآن موجود في إدارةٍ تابعة لهيئة شبيهةٍ بالمخابرات، وسوف يتمّ تعيينك بها براتبٍ كبير، لكن أوّلًا أريدك أن تفتحَ عقلك معي كي تفهمَ ما سنقوله لك لأنّه صعب الاستيعاب».

كانت تلك أوّلَ جملة تحمل معنى منطقيًّا بالنسبة له منذُ ارتدى ذلك السوار العجيب، المخابرات قادرةٌ على

كلّ شيء بالطبع، ولابدّ أنّهم خدّروه وجلبوه إلى هنا. هل سيعمل جاسوسًا في دولة مُعادية، أو سيتمّ زرعُه بين الجماعات الإرهابية ليقضي عليهم، أم أنّهم سيرسلونه مع القوات الخاصّة مثلًا ليساعدهم. دارتِ التّساؤلات في رأسه مصحوبةً بإحساس بالإثارة والسعادة، وأنه على وشكِ الدخول في مرحلةٍ مختلفة في حياته،قبلَ أن يقاطعه صوتُ المرأة ثانية: «إدارتنا مختلفةٌ قليلًا عن المعتاد، نحن مسئولون عن علاج المشكلات التي تحدُث نتيجة التنقل غير الشّرعي عبر الكواكب». اتّسعت عيناه دهشة، لكنّ دهشته تضاعفت حين أكملت المرأة: «أنت الآن في كوكب يسمّى كوكب حورام،وقد أحضرناك هنا لتبدأ العملَ معنا».

كان الشابُّ الجالس أمامه هو مَن أخرجه من موجةِ الذهول التي انتابته حين قال: «أنا أعلم أن هذا كثيرٌ عليك لتستوعبه مرّةً واحدة، لكن...». قاطعه وليد قائلًا: «اسمع يا باش مهندس، أنا رجل مشغول، ولديّ مُناوبة ستبدأ بعدَ ساعات معدودة، ولا أملك رفاهيةَ التخلف عنها، والاستسلام لتلك الحكايات السخيفة». ربّت الرجلُ على كتفه وهو يؤكّد له أنه سيعود، ويجد نفسه في غرفتِه في ذات اللحظة التي انتقلَ منها هنا. أخذَ نفَسًا عميقًا وهو يقول: «اللّهم طوّلك يا روح». فقال الشاب: «قمْ معي لأريك شيئًا». فهتف محتجًّا: «أقول لك عندي مناوبة فتريد أن تأخذني في جولة!».

حادَثَه الشابّ بهدوء، وصبر حتّى أقنعه بالذهاب معه، دخلَا ممرًّا طويلًا يتفرع من الغرفة وقال له: «اسمي رمزي، وأنا مِن نفس عُمرك تقريبًا،عيّنت بالهيئة منذُ عدة أشهر، هذه الهيئة اسمها (مساعك) اختصارًا لجملة (مكافحة السّفر الإجرامي عبر الكواكب) وهي الهيئة المسئولة عن منْع السفر غيرِ الشرعي الذي يهدفُ لاستغلال الكواكب الأقلّ تقدّمًا». قال وليد: «هل اصطحبتني لجولةٍ في هذا الممرّ القبيح لتعيدَ على سمعي هذا الكلام؟». فقال رمزي: «كلّا.. أنا فقط أحاول تعريفَك بنفسي حتى نصلَ إلى المركبة التي ستأخذُنا في الجولة». فوجئ أمامه بمركبة تشبه السياراتِ الرياضية، وداخلها سائقٌ ينتظرهما، ما إنِ اقتربا حتى فتحت فجوةٌ في جوانبها ليركبا منها، ثمّ انغلقت ثانية كأنّها فتحة العدسة في كاميرا ضوئية.

شاهد العالمَ الخارجي من المركبةالتي طارتْ بهما على ارتفاع متوسط ، الشمس أبعدُ قليلًا عن المُعتاد، وهي تميل نحوَ المغيب، الأفقُ مشوب بألوانٍ بين الأخضر الزرعي والأصفر الرملي، والمباني في الأسفل تبدو كعلبِ الكبريت الطافية على بركةٍ من الماء، حيث لا شوارع بينها؛ بل مساحات مائية. شكّ فيما رآه، فسأل رمزي: «ألا يمكن أنْ يكون هذا الزجاج مجرّدَ شاشة تعرض فيلمًا مسجّلًا». لم يكدْ يكمل سؤاله حتى فُتح الزجاج ولمسَ وجهَه الهواءُ البارد في الخارج، هواء ذو رائحة غريبة كأنّك تستنشق

أوكسجين من أسطوانة، لكنّها مختلطة برائحة اليود،كأنّك على شاطئ البحر. قال وليد: «ما اسمُ هذا الكوكب؟». فأجاب رمزي: «حورام، إن اسمَه أقربُ للأسماء الفرعونية في بلدك». فهزّ وليد رأسه بطريقةِ العالم ببواطن الأمور دون أن يعقّب.

-٤-

كان يجهّز أدويةَ المرضى وهو يحاولُ أن يدفع عنْ ذهنه ذكرياتِ رحلته الغريبة التي حدثت اليوم. كان الموضوعُ كله أشبه بالحلم، ارتدى السّوارَ في الثالثة عصرًا فوجد نفسه في مكان غريبٍ قضى فيه عدّة ساعات، ثمّ عاد إلى غرفته في نفس التّوقيت الثالثة عصرًا بالضبط. وكأن مَن أخذوه كانوا يتوقّعون منه أن يشكّ في نفسه، ويعتقد أنّه كان يهلوس، فكتبوا له على شاشة السّوار.. «موعدُنا غدًا في نفس الوقت». وتركوا له جهازًا لوحيًّا فيه المعلومات الكاملة التي يحتاجُ لفهمها في تلك المرحلة.

حاول أن ينتزعَ نفسَه من تلك الأفكار، وبدأ مروره على المرضى، وقياس علاماتهم الحيوية، وإعطاءهم أدويتهم بنظامٍ صارم لا يسمحُ باختلاطها. كان مخلصًا في عمله الذي بدأه منذ أنهى السنةَ الثالثة في معهد التّمريض؛ أيْ قبل تخرّجه الرسمي بعامين. كان يحتاج العمل بشدّةٍ لمساعدةِأبيه في تجهيز شقيقتِه للزّواج، ولذلك جمعَ بين الدراسة والعمل في العامين الأخيرين في دراسته.

كان على وشكِ إنهاء عمله حين وجدَ يارا تُقبل عليه من نهاية الممرّ، مرتدية زي العمليات الخاصّ بها، ذا الأكمامِ الطويلة والتّطريز المنمّق باسمها على الجيب العلوي. مدّت يدَها وسلمت عليه برقةٍ وحيّته بعذوبةٍ تقطر من كلماتها

الهادئة، تلك العذوبةُ التي أكّد بهاء- زميلُهما- أنّ وليدًا هو الوحيد الذي يتوهم أنها موجودة، مشدّدًا على أنّ يارا فتاة عادية جدًّا. فتحت الكيس، وأخرجت منه لفافة وهي تقول إنّها حضّرت عشاءًا خفيفًا ليتناولاه معًا.

لم يتصارحَا بالحبّ بعد، لكنّ كلّ مَن يعمل معهما بالمستشفى يقسمُ أنّهما حبيبان يتقابلان كلّ يوم، وعلى وشك الارتباط الأبدي. كان يريد مصارحتَها بمشاعره فهو يحبّها بالفعل، لكنه يخاف من ردّةِ فعْلها، يراها أجملَ من أن تقعَ في حبّ شابّ خجول رقيقِ الحال مثله. كانت تلك أول مرّةٍ تأتي له بعشاءٍ من صنع يديها، وكأنّها علامة منها تشجّعه على مصارحتها بمشاعره، لكنّه يظلّ خائفًا من أن يكون موضوعًا في منطقةِ الصداقة عندها.

«الكبدة هذه من اخْتصاصي، لن تجد فتاةً تعدّها مثلي». قالت وهي تفتح علبَ الطعام التي هبت رائحتُه عليه، فأسالت لعابه. كانا في غرفة مكتبِه، والبابُ مفتوح.

«ألفُ هنا». قال شقيقُ أحد المرضى وهو مارٌّ بغرفتهما، فهتف وليد: «تفضّل». دون أن يعنيها حقًّا، فقد كان يريد أن يستغلّ المناسبة لمُفاتحتها. «تعرف، أمّي تقول دومًا بختُ العدالى مائل لتحذّرني كلّما رفضتُ عريسًا تظنّني أريد واحدًا غنيًّا،أويشبه نجومَ السينما». قالت وهي تضحك، ثمّ تقرّب علبة المكرونة، وتطلب منه أن يغترفَ منها، ثمّ أضافت: «أريدُه ابنَ حلال، يحبّني، يراعي ربّنا

فيّ، نكافح ونبني بيتنا معًا».

«ها هي تُعطيك مفتاح الحديث؛ فتناولْه أيّها الغبي». قال لنفسه وهو يبتلعُ لقمته، ويتأمّل في عينيها طالبًا أمانًا إضافيًّا، ويقينًا بعدم الخذلان، وأحسّ أن عينيْها تعطيانه ما طلب، لكنه آثر السّلامةَ فقال ملمّحًا: «أنا طيّب وابنُ حلال، و....». سكت؛ فقالت: «و...»، تطلب منه أن يكمل مشجّعة، كان يريدُ أن يقول إنّه يحبّها، لكنّ الكلمة تعثّرتْ في حلقه فقال: «وأكافح جيدًا، أعملُ في مكانين، وأكسب كثيرًا».

بدَا أنها فهمت أنّه لا يزال خجلًا؛ فحاولت أن تنقل الموضوعَ لمنطقة أخرى تبتعدُ عن خجل الحبّ، لكنّها تبيّن في نفْس الوقت أنّها تهتمّ بمستقبله، وتوحي أنّ ذلك المستقبل جزءٌ من مستقبلها هي أيضًا،فقالت:»لكنك تضيّع وقتَك في العمل هنا، زملاؤك في الحسين يقولون إنّك ممرضُ عمليات ماهر، لماذا تقضي الليلَ في مناوبة وأنتَ يمكن أن تحصل ضعفَ الأجر لو ساعدت في الجراحات؟».قال إنّه يعلم ذلك، لكنّه يفضّل العملَ ذا الأجر الثّابت، فالعملُ في الجراحات يزيد وينقص،وأحيانًا ينقطع.

انتهى العشاء، وقبل أن تنصرفَ قال لها بتردّد: «عيدُ ميلادك الأسبوع القادم، هل يمكن أن أطلبَ أن نحتفل به معًا في مكان خارج المستشفى؟». اتّسعت عيناها في دهشة، فسقط قلبه بين قدميه خشيةَ أن تغضب، لكنّها

أدركته قائلة: «موافقة بشرط..». قال لها مبتسمًا: «اؤمري». فقالت إنّها سوف تكتفي بالخروج معه، لكنْ عليه أن يعدَها ألّا يُحضر هدية وإلّا فلن تذهب. استنكر كلامَها فقالت: «يكفي ما ستدفعُه، لا تكلف نفسَك أكثر، اتّفقنا؟» لم يجدْ بدًّا من الموافقة قبل أن تودّعه منصرفةً لعملها.

حينَ صار وحيدًا في غرفته فتحَ حقيبته، وأخرج الجهازَ اللوحي، وبدأ يقرأ. كانت معلومات غريبةً معقدة عن الجيناتِ والخصائص الوراثية، وعنْ وجود عددٍ محدود من البشر يملكون جينًا ذا خصائصَ فريدة، وأنّ هذا الجين خامل. كان ما يثير دهشته هو أنّه يستوعب تلك المعلومات بسهولةٍ شديدة، وكأنّ هذا أحدُ التّغيرات التي طرأت عليه بعدَ الحقنة الغريبة. كانت المعلومات تؤكّد له أنّه مِن أصحاب هذا الجين، وأنّه قد تمّ تنشيطُه، وأنّ خصائصه تظهر بالتدريج. استجاباتٌ أسرع، معدلُ استيعاب وفهْمٍ أكثر من الطبيعي، استعادة ذكريات خاملة والاستعانة بها في اتّخاذ قرار لحْظي، وقدرة على المحاكاة غيرُ اعتيادية. كانت تلك هي الخصائص العقلية، أمّا الجسمانية فتشمل القوةَ الجسدية وسرعةَ الحركة ومرونةً بالعظام والأنسجة تسمحُ بامتصاص الصّدمات مهْما كانت قوتها، وهذه الخاصيةُ الأخيرة لها علاقةٌ بخاصية أخرى في فيزياء الجسم سوف يتمّ شرحُها في القسم الثّاني الخاصّ بالمعلومات

الفيزيائية.

قبل أن يبدأ قراءةَ القسم الثاني حاول أنْ يجرّب صدقَ المعلومات التي قرأها للتو، اصطادَ بعوضة طائرةً وعيناه مُغلقتان، أمسك محقنًا في يده واستعملَه كسهم، وصوّب به على حروف مكتوبةٍ في إعلانات الحائط، ثمّ أمسك خيطًا جراحية وحاولَ إدخاله في إبرة المحقن وعيناه مُغمضتان، وبينما هو منهمكٌ في تجاربه فوجئ بمُحسن- طبيب القلب- يسأله مندهشًا: «ماذا تفعل يا بني؟ أجننت!». ضحك متوتّرًا وهو يقول: «مجرّد ملل يا دكتور». فقال محسن: «حسنًا، قمْ بالله عليك نمُرّ على مرضى القلب، لكنْ أحضر أوّلًا جهاز رسم القلب في غرفة ٩».

أنهى عمله، وعادَ لقراءة الجزء التالي في المعلومات الموجودة على الجهاز اللوحي. لم يقم كعادتِه بتحضير خليطِ الشاي والقهوة الذي يشربه في بداية نوبتجيته، فقد كان ذهنُه صافيًا تمامًا. كوكب حورام أحد ثلاثة كواكب وصلوا لدرجةٍ من التطور مكّنتهم من السفر عبر الكواكب، واكتشاف أنّ البشر موجودون في حوالي عشرةِ كواكب في الكون. البشر في تلك الكواكب مختلفون في درجةِ تطورهم؛ فهناك بشرٌ لا يزالون بدائيّين تمامًا، وهناك بشر متقدّمون جدًّا، وهناك آخرون في مراحلَ مختلفة بينهما. اكتشف البشرُ في الكواكب المتقدمة طريقةً للانتقال تسمّى «الانتقال البنيوي» عن طريق جهاز يفكّك ذرات الجسم،

ويعيد تركيبها بعد عبورها من ثقبٍ في بنية الكون، يقوم الجهاز نفسه بخلقه لينقل الشخصَ أو الآلة من نقطة في الكون لنقطة أخرى تبعدُ عنها ملايين السنوات الضوئية.
اتّفقت قياداتُ الكواكب الثلاثة المتقدمة على تشكيل هيئةٍ تنظّم السفرَ بين الكواكب لتمنع الأشخاصَ والمنظمات ذات الأغراض الشريرة من استغلال الكوكب البدائية لمنافعهم الشخصية.

حينَ أنهى قراءةَ هذا الجزء ثارت داخلَه تساؤلاتٌ كثيرة عن السبب الذي يُخيفهم من سفر الناس عبرَالكواكب، وتخيّل- للحظةٍ- أنّ الحكومات تريد الاستئثارَ بهذه التقنيات،واستغلالَ الكواكب البدائية لصالح الكبار فقط، تساءل- أيضًا- عن السبب الذي جعلهم يخْتارونه؛ هل مجرّد وجود هذا الجين المتفوّق والقدرات التي اكتسبها بسبب تنشيطه، أم أنّ هناك سببًاآخر؟!.

كانت هناك فقرةٌ أخيرة لم يقرأها بَعْد، أجابت سؤالَه الأخير.. هناك نوعان من الانتقال عبر الكون؛ الانتقال الخطيُّ وفيه تصابُ خلايا الانسان بإنهاكٍ شديد تمنعها من تكرار التجربة خلال شهرٍ كامل، وهي الطريقةُ التي ينتقل بها الناس عادة، لكنّهم لا يقدرون على العودة إلى كوكبهم إلّا بعد انقضاء شهرٍ من الكوكب الذي سافروا إليه، لكنّه حين يعود يجد أنّه غاب عن كوكبه ربع المدّة تقريبًا.

الطّريقة الثانية، وهي الانتقالُ البندولي، وفيها يذهب

الإنسانُ ويعود بين نقطتين في الكون مرّات متكرّرة يقضي فيها مُددًا متساوية. هذه الطريقة لا يمكن السفرُ بها إلّا للأشخاص الذين يحملون جينَ وليد، الجينُ الفائق، وهو يسافر بواسطةِ جهاز على شكل سوارِ المعصم يتمّ فيه ضبطُ مكان الذّهاب والعودة، فيقضي يومًا في كوكبه، ويومًا في الكوكب الذي يسافر إليه، وفي كلا الكوكبين يعودُ لنفس الوقت الذي انطلق منه، فيبدو كأنّه يعيش يومَه مرتين. حدث هذا المرة السابقة حين سافرَ لكوكب «حورام»، قضى هناك يومًا، ثمّ عاد للأرض في نفس الثّانية التي سافر منها، فبدا وكأنّه لم يغبْ عن غرفته إلّا ربع ثانية فقط، وها هو يقضي يومَه هنا يعمل وينام، ويقابل حبيبته، وسوف يعود هناك في الساعة الثّالثة من ظهر غدٍ ليرجع لنفس النقطة حيث كان يقف مع رمزي يشرحُ له بعض التعليمات.

أصابه القلقُ حين قرأ ذلك، فهذا يعني أنّه سيعيش يومين كلّ يوم، وسنتين كلّ سنة، ولو استمرّ الوضعُ هكذا فترة طويلة فسوف يشيخُ قبل الأوان. سرعانَ ما اختفى هذا القلق فقد وجدَ فصلًا إضافيًّا يشرح أنّ الجين الفائق يجعل خلايا الإنسان تقاوم تأثيرَ السن، وأنّه يمكن أن يعيش ثلاثة أضعافِ الإنسان العادي الذي لا يملك الجين. إذن سيتجوّل عبر الكواكب، ويعيش هنا وهناك دونَ أن تتأثر حياته، ولا مستقبله، ولا علاقته بأهله أو بزوجته المستقبلية.

كان يهمّ بقراءة الجزءِ الثالث من المعلومات، لكنّه وجد

موظفةَ الاستقبال تهاتفه وتخبرُه أن يقوم بتجهيزِ غرفةٍ لاستقبال مريضةٍ جديدة تعاني من مضاعفاتِ ورمٍ في الرقبة، وتحتاج إلى جرعة طارئة من العلاج الكيماوي، معَ رعاية مكثفة، وهو ما يعني أنّه سيقضي الليلة جالسًا إلى جوارِها ليتابع حالتَها حتّى الصباح، وهي وظيفةٌ في رأيه أهمّ كثيرًا من المهمّة الغامضة التي يريدون تكليفَه بها.

-٥-

كان التطورُ التكنولوجي المذهل سببًا في اكتشاف كواكب عديدة مأهولة بالناس. كلّهم بشر مثلنا تمامًا، الاختلافاتُ بيننا وبينهم كالاختلافاتِ بين الأعراق المختلفة في كوكب الأرض، الناس أطولُ قليلًا أو أقصر، عيونٌ أوسع أو أضيق، جمجمةٌ أعرض هنا، وأنف أدقّ هناك، لون بشرة مُتباينة،أوملمس جلدٍ مختلف.

الاختلاف الأوضحُ كان التباين الشّديد في التطور التكنولوجي، ولا يعني ذلك أنّهم أقلّ تطوّرًا فقط، بل-أيضًا-أنّ البيئة في كلّ كوكب أنشأت تكنولوجيا مختلفة عن بقية الكواكب، فبدلًا من استخدام النّفط في الأرض هناك وقودٌ من نوع آخر في كوكب حورام، وبدلًا من رقائق السّيليكون هناك معدنٌ يبثّ نوعًا من الإشعاع يؤدّي نفس الغرض في كوكب يضاع.

كان وليد يقرأ تلك المعلوماتِ وهو مذهول، الخيالُ الذي شاهده في الأفلام كان دومًا يفترض وجودَ كائنات عجيبة، متطوّرة نعم؛ لكنّها ذات ذيول أو رؤوس مشقوقة أو آذان مدبّبة، لكن لم يقلْ أحد إنّ بشرًا عاقلين مثلنا يعيشون في كواكبَ أخرى. كان يتمتم وهو يقرأ تلك المعلومات أثناءَ جلوسه جوارَ مريضة الأورام التي يلاحظها..

«احْك لي يا بني، ما يثير دهشتك!؟». انتبه على صوت

المريضة المتعَب، فقال لها: «قصة خيالية يا مدام نورة، لكنْ عجيبة جدًّا». ابتسمت وقالت: «لا يوجد منها نسخةٌ في كتاب بدلًا من هذا الشيء الذي يُصيب بالصداع، عندي فضولٌ لقراءتها». فقال: «سأبحثُ لك» ثمّ عاد لقراءته.

البشرُ أصحاب التقنيات الحديثة موجودون في ثلاثةِ كواكب: حورام وأكورا ويضاع.تمّ تأسيس منظّمةٍ مشتركة بين تلك الكواكب، وتمّ الاتفاق على عدم التدخّلِ في الكواكب الأقلّ تطوّرًا،والاكتفاء بدراستها ودراستِهِ سكّانها في سريّةٍ تامة، ويعني هذا وجودَ أشخاص من الكواكب الثلاثة يعيشون بيننا، ويدرسون أحوالنا دون أن ندري.

عقدَ وليد حاجبه،وقال بصوت مرتفعٍ قليلًا: «يا أولاد الـ...». فضحكت المريضة حتى سعلت وهي تقول: «أوّل مرّة أرى أحدًا منفعلًا بالقراءة هكذا!». فردّ عليها بتوتّر: «لأنّني جديد على هذا النّوع من القراءة». فقالت: «ربّنا يحميك يا بني، أكملْ، لا أريد تعطيلك».

حدثتِ المشاكل عندما قرّر البعضُ من هنا وهناك الخروجَ على تعليمات الحكومات في تلك الكواكب، وقاموا بتنظيم رحلاتٍ سياحية واستكشافية، واستغلال للناس في الكواكب الأقلّ تطوّرًا، وأدّى ذلك إلى تبادل الاتهامات بين الحكومات، ثمّ اتفقوا على مكافحة تلك الرحلات سويًّا، ومعاقبة مَن يقومون بتنظيمها أو الاشتراك فيها.

لم يتوقّفِ الأمرُ عند هذا الحدّ، فكما اتّفقت الحكومات على مكافحةِ تلك الجريمة، اتفق راغبو الثّراء الفاحش في الكواكب الثلاثة على ممارستها، وأسّسوا منظمةً قوية تنظم رحلاتٍ للأثرياء بمقابلٍ ماليّ ضخم، وبالطبع كان العميلُ يبقى شهرًا كاملًا على الأقلّ، وقد يبقى أعوامًا في الكوكب الذي يفضّله حسبَ رغبته،وكان هذا يتطلب سفرَ مجموعة من مرتزقة تلك المنظمة لمصاحبةِ العميل وحمايته، وجعل رحلتَه ممتعةً بالشكل الذي يرغب به، حتى لو شمل ذلك قتلَ بعضِ سكّان الكوكب، أو استغلالهم، أو التجارة بهم. لم تكن المشكلةُ فقط وجودَ احتمال في تغيير مصير أشخاص أو جماعات، لكنْ- أيضًا- في ممارساتٍ بشعة دون رادع.

«يا أولادَ الملاعين!». هتف وليد ثانيةً، فقالت المريضة وهي تضحك: «يبدو أنّ هذا الكتاب يثير جنونَك». أصابه الخجلُ ولم يدرِ ماذا يقول، كان دواؤها على وشكِ الانتهاء فأغلق الجهاز اللّوحي، ووقف قائلًا وهو يشير لزجاجة الدواء: «أوشكت على الذهاب للبيت». شكرتْه المرأة، فتركَها واتّجه نحو الهاتف الداخلي، وطلب الطبيبَ المناوب ليطمئنّ على المريضة قبل أنْ تذهب إلى بيتها، ويعود هو إلى غرفته ليكملَ قراءة المعلومات.

في اليوم التالي، في الثالثة عصرًا، ضغط رمزَ الانتقال في سواره، وعاد إلى نفس المكان الذي غادرَه في كوكب

حورام. كان رمزي واقفًا في نفس الوضعيّة، واضعًا يديه في جيبه، إلّا أن الصورةَ اهتزّت أمامه للحظة، ثمّ ثبتت. قال رمزي وهو يربّت على كتفه: «ستشعر باهتزاز خفيفٍ وزغللة بالعين في الثّواني الأولى من وصولك، هذا طبيعي». ثمّ ابتسم مُضيفًا: «أحسدك أنا كثيرًا على قدرتك على الانتقالِ البندولي، لابدّ أنه أمرٌ مدهش». ردّ وليد: «أنت تراه مدهشًا، وأنا حتى الآن أشعر أنّني أهلوس».

قادَه رمزي إلى غرفة نومٍ مكتوب على بابها اسمُ وليد، كان مبهورًا بأثاثها الفاخر، فراش وثير ومقاعدُ مريحة ومرآةٌ كبيرة وحمّامٌ أوسع من غرفة نومِه في بيته، به حوض استحمامٍ كبير. في الجدارِ المواجه للفراش كانت هناك شاشةٌ مسطّحة تحتلّ ربعَ الحائط، حين فعلها وجدها غنية بالموادّ التليفزيونية، وألعاب الفيديو من كوكب الأرض. طلب منه رمزي أن ينام قليلًا ليبدأ معه بعدَ ذلك تدريبًا قصيرًا.

تركَه رمزي ومضى للقاء رئيسِه ليُطلعه على المستجدّات مع وليد. كانت تلك أوّل مهمةٍ يقوم بها فعليًّا بعدَ فترة طويلة من العملِ الإداري. كان شديدَ التحمّس لوليد؛ لأنّه أول مجنّد من أصحاب الجين الفائق منذُ فترة طويلة، ولم يصدّق نفسَه حين تمّ تكليفُه بالعمل معه وبتجهيزه للمهمّة. الجين الفائق كان اكتشافًا لعلماء كوكب يضاع في أشخاصٍ نادرين جدًّا في كوكبهم، وأعطاهم ذلك نقطةَ تفوّق،ولذا

قام العلماءُ في حورام وأكورا بتحليل مليارات العينات من الأحماض النوويّة للبشر،ووجدوا عندهم أشخاصًا تحمل ذات الجين،وبدأوا بتجنيدهم لمطاردة الخارجين على قانون الانتقال البنيوي.

وقف أمامَ الرجل الأشيب والسيدة ذاتِ الأقراط الكبيرة، وتحدّث عن ما أنجزه في إقناع وليد وتأهيله نفسيًّا للمهمّة. المرأة، واسمها ناديا، كانت من حورام مثلَ رمزي، بينما كان الرجل الأشيب، واسمُه «كودو»،من كوكب يضاع. كان مقرُّ هيئة (مساعك) في كوكب حورام، لكنّ الفرَقَ العاملة تضمّ بشرًا من كلّ الكواكب؛ المتطورة منها والبدائية.

قال كودو: «اسمع يا رمزي، أريدك أن تتقنَ تدريبه في أقربِ فرصةٍ نريد، فشريكتُه في المهمّة جاهزة، ولا نريد أن نتأخّر أكثرَ من ذلك». هزّت ناديا رأسها موافقة، وأكملت: «المجموعة المستهدفة تقومُ بأنشطة سيئة للغاية في شوريد، ولديْهم خطط شديدة الخطورة». طمأنَهم رمزي على استعداده وخطّتِه التي وضعها لإكمال تدريبِ وليد في ثلاثة أيام فقط، فقال كودو: «المهمّ أن يعي أنّ وجود الجين الفائق لنْ يحميه من الموت، هو فقط يجعل أنسجتَه أكثر مرونةً وتحمّلًا، لكنّه يمكن أن يُقتَل، والخارجون يعرفون ذلك».هزّ رمزي رأسه موافقًا، فأشارت ناديا له بالانصراف، فقال رمزي وهو يقف مستعدًّا للمغادرة: «سوف أعدّه خلال يومين بنسبة ثمانين بالمائة، لكنّني أريد الاستعانة في اليوم

الثالث بشريكتِه في المهمة لأدرّبه على التنسيق معها في العمل». فقال كودو: «حسنًا، سوف أرسل في طلبها، لكنِ افْعل ما عليك أوّلًا».

انصرفَ رمزي بخطوات مسرعة، وذهب إلى غرفته متحمّسًا، وهو يعيد في ذهنه كلّ الخطط التي جهّزها لتدريب وليد. لولا أنّ القوانين تجبره على الخلود إلى النوم لساعاتٍ محددة لذهب إلى وليد وأيقظه، وبدأ تدريبَه الآن، لكنْ لا مجال لمخالفة القواعد. كان أبوه من العلماء المهمّين في هذه الإدارة، وكان واحدًا ممّن فقدوا حياتهم في مكافحةِ الخارجين على القانون، ولذا كان رمزي يعتبر العملَ في هيئة مساعك مهمّةً سامية.

-٦-

كان الحصانُ طويلًا، يعلو ظهره عن الأرض متريْن، يشعر مَن يركبه أنّه يركب جَملًا، أو أنه سائقُ شاحنة نقلٍ ضخمة، ينظر للأرض وهي تنسابُ من تحته كأنها قاع وادٍ سحيق، ويخالطه إحساسٌ بأنه على وشك السقوطِ فيه. كان وليد على صهوةِ ذلك الحصان المرتفع ينهب الأرضَ بسرعة، مطاردًا راكبًا آخر فوقَ حصان مماثل في أرض صخرية جرداء، وقد بدا في الأفق البعيد تلٌّ يكسوه عشبٌ أخضر يميلُ للصفرة. كان الراكبُ ماهرًا، كلّما أوشك وليد على الاقتراب منه غمزَ حصانه بكعبِه فتزداد سرعته، وتتّسع المسافة بينهما.

مالَ وليد بجسده على الحصان مُسترجعًا كلّ المعلومات عن كيفيةِ معاملة ذلك النوع من الأحصنة الذي يعيش في القارّةِ الشرقية في كوكب شوريد. ربّت بيده على عنق الحصان بثبات وهو يميلُ بجسده أكثر حتّى صار ملتصقًا به، ثمّ غمزه بقدمه فانطلق الحصان ينهبُ الأرض أسرع، حتّى حازى الحصان الآخر، ثمّ بدأ صعود التلّ المعشوشب قبله، وهو يستحثّه على اللّحاق به، بصوتٍ بدا عليه الزّهو.

تغيّر الحال أثناءَ صعود التل، فقد تأخّر وليد عن منافسه ثانية؛ لأنّه كان (أو حصانه) أكثر مهارة في تسلّق المنحدر. حين وصلَا إلى أعلى التلّ قال الراكبُ الآخر بصوتٍ أنثوي:

«استجمع تركيزَك الآن، ودعْكَ من هذا التنافسِ الطفولي».
هزّ وليد رأسه موافقًا رفيقته في المهمّة، كان اسمُها دالا، ملامحها أقربُ كثيرًا للملامح التترية بالوجه المسطح والأنف العريض قليلًا، والعيون الضيقة، إلّا أنّ لون بشرتها كان خمريًّاما أضفى عليها طابعًا مختلفًا عن الملامح المُعتادة. كانت قصيرةَ الشعر، قصيرة القامة، عريضةَ الكتفين، موفورة العضلات كأنّها خرجت لتوّها من تدريبٍ على رفع الأثقال.

كان التلُّ الذي وصلَا لقمّته يشرف على مدينةٍ مترامية الأطراف، مُحاطة بأسوار بدتْ لهما أبراجُها من بعيد، مدينة أشبه بمدن القرون الوسطى، كان الجزءُ الموجود في سفح التل مزروعًا بما يُشبه عيدان الذرة، لكن أطول كثيرًا، تمتدّ إلى حقول واسعة، تنتهي وسط البيوت في أطراف المدينة. هبطَا التلَّ بهدوء، وتسلّلَا بين عيدان الذرة، حتّى وصلا بداية طريقٍ يمتدّ إلى داخل المدينة. استمرَّا في طريقهما الذي تُحيطه حقولُ الذرة، حتّى بدا لهما سورُ قصرٍ مُحاط بالحقول مِن كلّ الجهات. نزلَا عن حصانيْهما، وتسلّلَا السور لداخل القصر، كان المطلوبُ القبض على ثلاثةٍ داخل القصر، صاحبه واثنيْن من عُملاء المنظمةالموجوديْن لحمايته. الوقت كان مبكرًا،ومِن المفترض أن يكون كلّ مَن بالقصر يغطّون في النوم، إلّا أنهما فوجئا بحارسيْن يقطعان عليهما الطريق، ويشتبكان معهما.

دارتْ معركة قصيرة، اشتبك كلّ واحد منهما مع حارسٍ في معركة بسيوف قصيرة عريضة ذات حدّين. كان وليد يضع عينًا على غريمِه ليتخلّص منه، وعينًا على رفيقته ليطمئنّ أنها لن تتفوّق عليه. أدّى تشتّته لإصابته بجرحٍ في ذراعه، أثار الجرحُ غضبه فهجم بعنفٍ على الحارس وهو يصرخُ بصوتٍ عال، نجح في التخلّص منه، واستدار نحوَ رفيقته فطعن غريمها في رقبته، وصرخَ ثانية بزهو، وهو يرفع سيفَه لأعلى ويشيرُ لها بالتقدم. فوجئ الاثنان بمجموعةٍ لا تقلّ عن عشرةِ حرّاس تهاجمهم، دافعًا عن نفسيْهما ببسالة، جرح ذراعه ثانية، ثمّ انغرستْ حربةٌ في ساقه فأسقطته أرضًا، ثمّ هوى سيفٌ على صدره فشقّه، وهو ينظر في ذهول.

فتحَ عينه وهو ينزع أسلاكَ جهاز المحاكاة عن جسده في غيظ. «هل تريد أن تموتَ في أول مهمّةٍ لك، هل تظن أنّك تمارس أحدَ ألعاب الفيديو!؟». قال رمزي في غضب، فأضافتْ دالا وهي تتخلّص من الأسلاك بدوْرها: «إذا أرادَ أن يموت وحده فهذا شأنه، لكنّني لن أسمح أن يتسبّب بموتي معه». بدّل وليد نظره بينهما وهو مرتبكٌ لا يعرف كيف يردّ، جاء صوت السيدة ناديا عبرَ ميكروفون قائلة: «وليد، أريدك في مكتبي الآن».

شعرَ رمزي بالضيق، وأحسّ أنه قد فشلَ في أحد أوجه تدريبِ وليد، وأنّ المهمة قد تُسنَد لغيره. كان قد أمضى

يوميْن في تأهيله وتلقينِه كلّ المعلومات التي يجب أن يعرفها أوّلًا، ثمّ وضعه على جهازِ المحاكاة لتدريبه على الحياةِ وعلى القتال في كوكبِ شوريد. في اليوم الثالث عرّفه على دالا، الفتاة اليضاعيّة التي سترافقُه في المهمّة، وبدأ معها تجاربَ محاكاة مشتركة مع وليد اختَتَماها بهذه التجربة التي فشلت تمامًا.

بعدَ عدّة دقائق مرّتْ عليه كأنها دهر، عاد وليد، وعلى وجهه ابتسامةٌ هادئة، فبادره بالسؤال عن ما دارَ مع ناديا. قال وليد إنّها أثنتْ على مهارته، وعلى نجاح رمزي في تدريبه، وأنها سألته بعضَ الأسئلة لتتأكّد من فهمه لأبعادِ مهمّته. «كيف أجبتها؟». سأل رمزي في لهفة، فأجابه وليد أنّه شرح لها أنّ المهمة هي القبضُ على رجلٍ سافر بشكل غير شرعي، اسمه كيمان، وأنّ الرجل يعيشُ كالأمراء في أطراف مدينة دشان، وهي إحدى أكبر المدن في مملكة سارتا التي تحتلّ أغلب القارة الشرقية في كوكب شوريد. «قلتُ لها إنّني متفهّم تمامًا أنّه لديه أرض كبيرة ومزارع وقصران، وأنه مقرّبٌ من أمير المدينة، ويعدّ واحدًا من نبلائها، وأنّ نظام الحياة فيها يشبه كثيرًا الحياةَ في العصور الوسطى، رغم أنّني قبل هذه الأيام لم أكنْ أعرف كيف كانت العصور الوسطى!».

أعاد وليد عليه الخطّةَ التي شرحها أمامَ ناديا، سينضمّ للعمل في مزارع كيمان، ويتقرّب منه، وسوف تقوم دالا

بمهمّة جنّد فيها مرتزقة من نفْس الكوكب لاختطافِ كيمان هذا، وإذا فشلت تلك الخطةُ، أو قام المرتزقة بخداعنا؛ سوف ننتظر حتّى يتقرّب كلانا منه، ونختطفه نحن بأنفسنا، ثمّ نعيدُه إلى هنا في كوكب حورام.

«سألتني- أيضًا- لماذا لا نغافلُه ونضع سوارَ الانتقال البنيوي في رسغه مباشرةً دون أن نتكلف عناءَ اختطافه». سأله رمزي: «وبماذا أجبتَها؟». قال ببساطة: «قلت إنّ المنظمة الإجرامية التي تخدمهم تقوم بحقنهم بشريحةٍ تمنع فعاليةَ سوار الانتقال، وإنّنا يجب أن نختطفَه لمكان آمن لنزيل تلك الشريحةَ من جسمِ كيمان، ثمّ ننقله بواسطة السوار». زفر رمزي في ارتياحٍ، فأكمل وليد بضيق: «لكنّها عنّفتني لأنني كنتُ متسرّعًا أثناء المحاكاة، وأنّني لم أستطع التحكمَ بنفسي، وقالت أيضًا إنّني يجب أنْ ألتزم باحترام الفريق، وأنْ أتعاون مع زميلتي بدلًا من أن أتنافس معها، لكنني أكّدت لها أنّ ما حدث كان سببه أنّنا في تدريب، وأنّني كنت أريد أن أثبتَ كفاءتي أمام مدرّبي». وغمز بعينه لرمزي الذي لم يفهمْ مقصده، لكنّه طلب منه الاستعدادَ لجولة أخرى من المحاكاة.

بعد انتهاءِ التدريب جلس الثلاثةُ يتناولون الغداء، ولكلّ منهم وجبةٌ تناسب الأكلَ الذي اعتاد عليه. رمزي أكّد لوليد ودالا أنّهما جاهزان لتنفيذ المهمّة بدءًا من الغد، وأنّ بقية اليوم سيقضيانه في راحة. دالا كانت هي الأخرى مِن

أصحاب الجين الفائق، كانت تلك هي مهمّتها الثانية بعد أنْ أدّت مهمتها السابقة بصحبةِ شخص آخر كان أقدمَ منها. استطاعت إثبات كفاءتها في المهمة، ولذلك تمّ السماحُ لها بمهمة جديدة تكون هي العضوَ الأقدم في الفريق؛ أي أنها ترأس وليدًا.

قال وليد لرمزي بصوتٍ خافت وهُما يغادران طاولةَ الطعام: «أريد رأيك، هناك تلك الفتاة.. زميلتي.. ونحن مقرّبان، وقد طلبت منها أن نخرج معًا للمرأة الأولى لنحتفلَ بعيد ميلادها». ابتسم رمزي وسأل: «وهل وافقت؟». فقال: «نعم، لكنها أقسمتْ عليّ ألّا أحضر هدية حتى لا تكلفني». فقال رمزي:«أنت محظوظٌ يا رجل، حسنًا، لا تحضر هدية كما طلبتْ، لكن خذْها لمطعم فاخر يقدّم عشاءًا رومانسيًّا، وليس لمطعمِ وجبات سريعة».

«أنتما أحْمقان، بالطبع لابدّ أن تحضر لها هدية، لا يهمّ سعرُها، لكن يجب أن تكون شيئًا يعيش معَها لا يفارقها، لا تحضر عطرًا مثلًا؛ بل شيئًا ترتديه أو تزيّن به غرفتها، هذه أوّل هدية، ولابدّ أن تكون أبدية». استدار وليد بدهشةٍ لدالا سائلًا: «هل في كوكبكم يفكّر النساء بنفس الطريقة؟!». فقالت: «بالطبع، ثمّ إنك سوف تتقاضى من الهيئة هنا أجرًا مُجزيًا يمكّنك من شراء ما تريد». فقال وليد: «لا أريد أنْ أثير تساؤلاتها». فقالت: «لن تتساءل، لا تقلق، ثمّ إنّ هذه أول مرّة، ولابدّ أن تترك انطباعًا جيدًا، دعْك من رمزي؛ قد

يكون ماهرًا في التدريب لكنّه أحمق فيما يخصّ النساء».

-٧-

كان كيمان واقفًا في حقلٍ زراعي يمتدّ على مرمى البصر، مزروع بشجيرات بنيّة تشبه القطن، وممتلئ برجال ونساء كثيرون يمشون بين الشجيرات، ينتقون منها الأوراقَ المصابة. كان يستمتع بدفء الشمس والنّسيمِ الهادئ النقي، الذي كان محرومًا منه في وطنه الأصلي. في كوكب اكورا، ليس هناك مجالٌ للاستمتاع بجوٍّ كهذا، حتّى لو كنت فاحشَ الثراء مثل كيمان لأنّ التلوثَ جعل الجوَّ في الكوكب شديدَ السوء، وهذا مِن ضمن أسباب تضحيته بأكثرَ من نصف ثروتِه ليستعينَ بمنظّمة «فيرس» لتنقلَه إلى كوكب شوريد للعيشِ في مملكة سارتا.

اختار أنْ يكون إقطاعيًّا صاحبَ أراض شاسعة يخدم فيها المئات من الفقراء من أبناء سارتا، ويتبعه جيشٌ صغير من المرتزقة يخدمونه ويحرسون أملاكه، ويُعير بعضَهم للأمير أحيانًا حين يريد الاستعانةَ بهم في تأديب الخارجين، أو في صراع محدود مع بعض الأمراء الآخرين.

مدينة دشان إمارةٌ شبهُ مستقلة فيم ملكة سارتا التي تحتلّ أغلبَ القارة الشرقية في الكوكب الذي يتكوّن من ثلاثِ قارات تعوم في محيطٍ واحد. كانت سارتا مملكةً مقسّمة إلى عشراتِ الإمارات، ورغم أنّ كلّ الأمراء يتبعون ظاهريًّا لملكٍ واحد، لكنْ كان بينهم صراعات مستمرّة، وكالعادة

كان الفقراءُ والبسطاء هم مَن يدفعون ثمنَ تلك الصراعات.

ظهورُ كيمان أعطى قوةً إضافية لمدينة دشان وأميرِها، وكان هذا يهدّد التوازن الموجود لأن كيمان بعدَ عامين من وجوده في شوريد بدأ يفكّرُ في توسيع دوْره بدلًا من أن يكون مجرد إقطاعي؛ بدأ يخطّط لمساعدة أمير دشان في السيطرةِ على الإمارةِ المجاورة، بشرط أن يكون هو نائبَه في حكمها، ومع الوقت يستقلّ هو بها، ويصير أميرًا بدوْره.

«أيّها المشرف شنتو». هتف كيمان وهو يشيرُ لرجل سميك الرقبة، قصير القامة، ممتلئ، يقف على مسافةِ أمتار منه. أقبل شنتو نحوه، فقال كيمان وهو يشيرُ نحو أحد المزارعين: «هذا الرجل بطيء للغاية، أدّبْه حتى يُسرع». قال شنتو مرتبكًا: «لكنّه مريض يا سيدي!». فقال بحزم: «نفّذ ما أقول». ذهب شنتو مهرولًا نحوَالمزارع، ونخسَه بعصًا في نهايتها إبرتان رفيعتان، فصرخ الرجلُ، والمشرف يطلبُ منه العجلة.

حاول الرجلُ أن يسرع في عمله رغمَ إعيائه، سار كيمان ببطء نحْوه، وأخذ يراجع الشجيرات التي نظّفها الرجلُ حتى وجدَ ورقة شجرٍ مريضة، أكمل طريقَه نحو المزارع، ثمّ هوى على ظهرِه بعصا رفيعة، وهو يقول: «أيها الغبي الكسول، لقد تركت ورقةَ شجرٍ متعفّنة». أمسك الرجلُ بالورقة، وعلى وجهة أماراتُ الألم، تأمّلها فوجد أنّ تغيّر لونها كان عاديًّا وليس فيها تعفّن، فقال لكيمان: «إنّها سليمة يا

سيدي».فهوى عليه بالعصا ثانية وهو يقول: «هل تفهم أكثرَ منّي؟». دمعت عينا الرجل، وقام يكمل عملَه، لكنّه ما لبث أن سقطَ على الأرض من الإعياء.

«شنتو، دعْ هذا الرجل يرتاح قليلًا، ثمّ اجعله يُكمل عمله حتى لو بقي يعملُ طوال الليل». هتف كيمان، فوقف فتى من المزارعين قائلًا: «أنا سأكملُ عمله يا سيدي». قالها بصوتٍ خاضع، لكنّ عينَه كانت تحمل لمحةً من التحدي، فقال كيمان: «حسنًا، دعْ هذا الفتى يقوم بعمل زميله بعدَ أن ينهي عمله، ثمّ اجعله ينظفُ الأعشاب الضارّة من حقل ثمار البتايا». قال الفتى معترضًا: «لكن هذا ليسَ مِن عملي يا سيدي». تجاهله كيمان، وقال للمشرف: «إذا لم ينْهِ هذا العمل معَ طلوع القمر الأوسط لكبدِ السماء؛ علّقه مِن ذراعيه على الشجرة الكبيرة حتّى الصباح».

كاد الفتى يعترضُ ثانية لوْلا أنّ زملاءه جذبوه بعيدًا ليكمل عمله. تركهم وتوجّه نحو فرسه وامتطاه يصاحبه رجلٌ آخر ضخمُ الجثة على فرسٍ آخر. قال الرجل: «سيد كيمان، لقد انتهت مهمّتي أنا وزملائي الثلاثة، ويجب أن نرحلَ غدًا، فقد استقرّت الأمور، وصار عندك حاشية وجيشٌ صغير».قال كيمان مرتبكًا وقدْ تحوّلت شخصيته:»لكنْ يا عزيزي أوزلو، أنا أخشى أن ترسل هيئة (مساعك) عملاءها لاصْطيادي». قال أوزلو: «لا تخشَ شيئًا، لن يتمكّنوا من تجاوز هؤلاء الرجال».

قال كيمان مترجّيًا: «كلّا، أرجوك يا سيد أوزلو، أنا على وشك الدخول في منعطفٍ جديد في حياتي، وأريد محترفين مثلكم معي». حاول أوزلو أن يقنعَه أنّ الاتفاق ينصّ على انتهاء العمل معه بعدَ وقت محدد، فهناك عملاءُ آخرون، وأنّه- أيضًا- ينصحه بعدمِ توسيع نفوذه كثيرًا حتى لا تتعقّد الأمور معه، فالسلطاتُ الكبيرة تأتي معها مخاطر كبيرة.

«سوف أدفع لكم ما تريدون».

نظر له الرجلُ في غضب، وقال: «نحن محترفون يا رجل، نعمل لمنظمة كبيرة ولسْنا خدمًا عندك، أو مرتزقة كالذين استأجرتَهم». قال كيمان وقد زاد ارتباكه:«أعتذرُ لك، أنا لا أقصد وإنّما قصدت أن أدفعَ للمنظمة مقابلَ استبقائكم معي فترةً أخرى». فهزّ أوزلو كتفيه في استهانةٍ وهو يقول: «إذن تحدّث إليهم، وإذا وافقوا سنبقى معك».

وصلوا للقصر، أمسك أحدُ الخدم بلجام الحصان، وساعد كيمان على النزول في احترامٍ شديد. استقبله كبيرُ الخدم عندَ الباب،فتناول عباءته وعصاه الرّفيعة، وهو يسأل:«حمّامك جاهز يا سيدي، أم تريد الغداءَ أوّلًا ؟». فهزّ رأسه نافيًا وهو يأمره بأن يرسلَ الخدم للحمام.

كان حوضًا أشبهَ بحوض سباحة صغير، ماؤه ساخنٌ يتصاعد البخار منه، وقفت حوله أربعُ خادماتٍ تناوبن صبَّ الماء وسوائلَ أخرى معطّرة ذات ملمس محبّب كالبلسم؛

على رأسه وجسده، ثمّ تكبيسه وتدليكه قبلَ أن ينزل الحوض ويسترخي تمامًا. عندما فرغ، قام الخدم بتجفيفِه ومساعدته في ارتداءِ ملابسه، خرجَ من الحمّام، وبدلًا من أن يتوجّه إلى قاعة الطعام دخلَ غرفة نومه.

أزاح إحدى السّتائر عن الحائط، وضع كفَّه على بقعةٍ محدّدة تتعرف على بصمة يده فانفتحت فتحةٌ صغيرة بها ما يشبه عدسةَ الكاميرا، مسحت وجهه، ثمّ وخزته إبرة دقيقة تأكدت من حامضِه النووي قبل أن ينزاح بابٌ كامل، دخل منه إلى غرفةٍ ضيقة نزلت بها تحتَ الأرض إلى غرفةٍ واسعة ممتلئة بالشاشات والأجهزة.

أجرى اتّصالًا بالمنظمة عبرَ جهاز مُبرمج لذلك الاتصال فقط، لم يكن مسموحًا له التواصل بين هذا العالم ووطنه إلّا في أضيقِ الحدود، وتحتَ إشراف المنظمة. أجابه الموظفُ المسئول عنه فأخبرَه أنّه يريد تمديدَ خدمة الحراس الذين يرافقونه في كوكب شوريد وأنّه مستعدٌّ لدفع التكاليف. طلبَ منه الموظف مهلةً لمراجعة رئيسه المباشر قبل أنْ ينهي الاتصال، ويعود لغرفته بنفس الطريقة.

جلسَ في غرفة وثيرة ملحقةٍ بغرفة الطعام. قال لكبير خدمه: «هل جهّزتم العروس الجديدة؟». فقال: «نعم يا سيدي، إنها تنتظرُ إذنك بالدخول». فأشار إليها وهو يقومُ إلى طاولة طعامه. كانت طاولةُ الطعام تشبه الموجودةَ في الأرض بخلاف المعتاد في سارتا حيث طاولات منخفضة

قريبة من الأرض، لا يحتاج مَن يجلس إليها لمقعد؛ بل لحشوةٍ صغيرة فقط. جعل هذا الفتاةَ ترتبك، لكنّ كبيرَ الخدم شرح لها كيف تجلسُ على الطعام مع سيدها.

كان وحيدًا في هذا الكوكب، لم يكن هذا جديدًا عليه؛ فهو منذ الصغر بلا أصدقاء، ولم يتمكن من الاحتفاظِ بإنسانة في حياته أكثرَ من شهر. كان يعجبه في هذا الكوكب أنّ مِن حقّ سيد الأرض أنْ يختار أيَّ فتاة من الخدم في حقوله لتكونَ زوجة مؤقتة، بشرط ألّا يكون لها رجُلٌ موعودة له. كان يجد تسليتَه مع هؤلاء الفتيات، لكنّه لم يشعرْ بالراحة مع أيّ منهنّ، فكان يطلق الفتاة من خدمتِه بعدَ فترة قصيرة.

جلستِ الفتاة أمامَه خجْلى، كانت لها ذاتُ الملامح المميزة لقبيلتها التي تشكّل غالبيةَ الخدم والعمّال في سارتا كلها. كانوا شاحبي الوجوه، شعورهم ملساء، وعيونهم واسعة سوداء، ككلّ سكّان سارتا، لكنهم كانوا أكثرَ بياضًا، معَ نمشٍ خفيف يغطي الأنف والوجنات التي كانت أعرضَ قليلًا. لم تمدّ يدَها إلى الطعام إلّا بعد أنْ أمرها بذلك، أكلتْ لُقيمات بسيطة، ثمّ استأذنت منْه في القيام، نهَرَها رئيسُ الخدم، لكنّ كيمان أوقفه، وطلب منها أن تكونَ على راحتها اليوم؛ فهو يريد الاختلاءَ بنفسه ليفكّر في خياراته إذا رفضتِ المنظمةُ تمديدَ خدمة الحرس الموجودين لديه.

-٨-

لم يكنْ وليد يمتلك ترفَ التأخّر عن موعده مع يارا؛ كان هذا الموعدُ فرصة طالما حلمَ بها وخطّط لها على مدى الأيام السابقة. حين توقّف الباص في الزحامِ المروري، وقيل له إنّ الطرق مغلقةٌ نتيجةَ حادث، ترجّل من الباص وانطلق عدْوًا في شوارعَ جانبية. المسافة كانت خمسة كيلومترات تقريبًا، لو قطعها جريًا بسرعة متوسّطة سوف يصل في أقلّ من نصف ساعة، بينما لو انْتظر في الباص فيمكن ألّا يصل قبل ساعة.

كانت لديه القدرةُ على العدْو بضِعْف السرعة، لكنّه لم يكن يريد أن يلفتَ نظر أحد. وصل إلى المطعم قبلها، وقفَ مترقّبًا حتى رآها تترجّل من التاكسي الذي وصلت فيه، كانت في ثياب الخروج أجملَ وأكثرَ سحرًا، اقترب منها، سلّم عليها بدفء، ثمّ صحبها لداخل المطعم. قال هي ملاحظة عابرة عن التكلفة المبالغ فيها للعشاء في مثلِ هذا المطعم، لكنّه قال إنّ عيد ميلادها مناسبة تستحقّ أكثر.

استأذنتْ منه أن تذهبَ إلى الحمّام في البداية حتى يطلبَ طعامَ العشاء، قامت وتركت هاتفها على الطاولة، أتى رنينُ رسالة ثمّ ثانية ثمّ ثالثة، وكانت الرسائل تظهرُ على الشاشة وتختفي سريعًا. لم يستطعْ منعَ نفسه من اختلاس النظر، ومكّنته قدراته الجديدة مِن قراءة الرسائل رغم اختفائها

سريعًا. شعر بالضّيق الشديد من صديقتها التي ترسل الرسائلَ وهي تلومها على اختيارِها وليدًا للخروج معه فهو في رأيها لا يملك مؤهلات كافية وخجول ويبدو لها ضعيف الشخصية. بدأ الغضب يتصاعد في أعماقه لكنّه انطفأ سريعًا، وحلّ محلّه شعورٌ بالسعادة حين ختمتْ صديقتها برسالةٍ قالت فيها.. «لا أعرف سببَ حبّك له، صحيح أنّ مرآة الحبّ عمياء».

«أنا أحمقُ فعلًا». قالها وهو يخبط رأسَه بكفّه، ويارا تجلس وتسألُه عن السبب. ارتبك وأحسّ أنها ستعلمُ أنّه قرأ رسائلَ صديقتها، فقال بعفويّة: «أنا أحبّك». احمرّ وجهُها بشدّة، واتّسعت عيناها وظهرت رعشةٌ خفيفة في شفتيها وهي تقول: «ماذا؟!» فقال مستجمِعًا شجاعته ثانية: «أحبّك يا يارا». ثمّ ثبت عينَه عليها وهو يتأمّل ردةَ فعلها.

«لا تنظر إليّ هكذا». قالتها بصوتٍ خافت يملؤه الخجل. «انظر للطاولة، أو للناحية الأخرى». ابتسمَ وقد تصاعد الارتياحُ في أعماقه.

«لقد فاجأتني». قالت بهمسٍ مُختلط بأنفاسها المُتسارعة، أدهشته تلك الكلمة، لكنّه لم يردْ أن يخجلها أكثر، قال وهو ينظرُ للطّاولة: «منذ وقتٍ طويل وأنا أحلمُ بهذه اللحظة، وأتمنّى أن أصارحَك، لكنّني كنت خائفًا». فقالت: «لماذا؟». قال ببساطة: «لأنّك أجملُ من أحلامي، وأنا دومًا أخشى أنْ أحلم».

«كلامك حلوٌ جدًّا، أكمل». قالت وهي تبدي شوقَها لتسمع المزيدَ منه، لم يكن يعلم أن كلامه العفويّ سيسعدها هكذا، كان خجولًا كما قالت صديقتها، ولم يمتلك يومًا القدرةَ على الإقناع أو تزويق الكلام. فكّر أنها تحبُّه رغم أنه شابٌّ بسيط، خجول، فماذا لو عرفتْ أنّه يمتلك جينًا فائقًا يُعطيه قدراتٍ استثنائية، وأنّه عاد منذُ عدّةِ ساعات من كوكبٍ آخر، وسوف يسافر غدًا لكوكب ثالث لينقذَ أهله مِن الذين يستغلّونهم.

«سرحان في أيّ شيء وأنتَ معي؟».سألته فقال وهو يخرجُ علبةً فيها ساعة يدٍ نسائية من ماركةٍ شهيرة. «كنت أفكّر في اللحظةِ المناسبة لإعطائك هذه». عقدت حاجبيها متظاهرة بالغضب، لكنّ الفرحة كانت تطغى على ملامحها وهي تقول إنّه وعدها ألّا يحضر هدية. أمسكتِ الساعة وأحسّت من ملمسها وشكلِها أنّها أصليةٌ وليست مجرّد نسخة مقلّدة، فقالت: «أقسم لو كان ثمنُها أكثر من خمسمائة جنيه فسوف أجعلُك تعيدها». ضحك وهو يؤكّد أنّها أقلّ من ذلك، والحقيقة أن سعرَها كان خمسة أضعاف هذا الرقم.

بعدَ نهاية يومه التدريبي الثالث تقاضى أوّلَ مكافأة ماديةٍ على عمله، أخبره رمزي أنّه يجب أن يبتكرَ حيلة ليبرّرَ بها دخله المرتفع بعدَ ذلك. شجّعته تلك المكافأة على أنْ يشتري هدية قيمة وهو يقول لنفسِه إنّها أولُ الغيث.

انتهى لقاؤه الأوّل بـ «يارا» بعد أنْ أخبرته أنّها وجدت لهما عملًا في مستشفى آخر، سيعملان في العملياتِ بالتّبادل، وسيكون لديه فرصةٌ لتحسين دخله من أتعاب العملياتِ الإضافية. لم يشأ أن يجادلَها كثيرًا، بل أظهرَ لها سعادته بتلك الفرصة، ووَعَدها أن يتقدّمَ لهذا العمل في اليوم التالي.

إلّا أنّه لم يخبرها أنّه قبلَ هذا سوف يختلسُ يومًا في كوكبٍ آخر للبدء بمهمّةٍ جديدة. أحيانًا يشعر أنّ الحياةَ المزدوجة تلك لن تكون سهلةً عليه، إلّا إذا صارح أحدًا بها، لكنّه يعود ويخبر نفسه أنه لابدّ وأنْ يطيع الأوامر، ويُبقي الأمرَ سرًّا.

تذكّر وقتَ أن طلب منه رمزي أنْ يفكّر قبل أن يتّخذَ قرارَه، فحياتُه سوف تتغيّر إلى حدٍّ كبير، وسوف يخاطر بنفسِه أحيانًا. بالنسبة له لم يكنِ الأمرُ بحاجةٍ إلى تفكير، فقد تذوّق طعمَ القوة والسّرعة وصفاء الذهن، الصفاتُ التي جلبَها تنشيطُ الجين الفائق لديه، ولم يكن عنده الاستعدادُ للعودة لنفسه السابقة، أيضًا شعورُه أنّه سيكون بطلًا مقاتلًا ينقذ الناسَ في أماكن بعيدة، هذا حلم لا يعقل أنْ يتخلى عنه أيّ شابٍّ يعيش حياةً عادية خاملة، والمهمّ أيضًا أنّ هناك راتبًا مجزيًا يساوي أضعافَ ما سيجنيه لو سافرَ للعمل خارج مصر.

في نهاية اليوم السابق، جلس رمزي معه، أعطاه حقنةَ

تنشيط للجين طويلةَ المفعول تعمل لمدّة ستّةِ أشهر. أخرج له سوارًا جديدًا مختلفًا عن الموجود معه، كان السوارُ الجديد مصمّمًا ليحيط الذّارعَ من أعلى كي يكون مُختفيًا تحت ثيابه.

«هذا السوار يلتصقُ بذراعك تمامًا، ولا ينفصل عنه إلّا إذا لبستَ سوار المعصم». شرح له رمزي وهو يقلّب سوارَ الذراع بين يديه، وأضاف: «كلا السواريْن مصمّمٌ على الانتقال البينوي البندولي، لكنْ مع اختلاف نقطةِ الذّهاب، فبينما سوار المعصم مبرمَجٌ على المجيء هنا فإنّ سوارَ الذراع مبرمج على كوكب شوريد».

أخرج له حقيبةً يدوية تشبه واحدةً موجودة عند وليد، فتحها وأخرج منها زيًّا سميكًا ذا أكمام قصيرة، وحذاءً ذا ملمسٍ غريب، وتصميم أغرب، وبعض الأدوات المصنوعة من مادة معدنية خفيفة لم يرَها من قبْل، ثمّ قال: «هذه ملابسُك التي ستصلُ بها إلى كوكب شوريد، وهي تشبه ملابسَ المُزارعين هناك، هذه أدواتٌ للطعام والشراب، وهذا مقصّ لتلقيم الشجيرات، وهذا السكينُ المقوّس يُستخدَم في الأعمال الزراعية، سوف تذهبُ إلى مشرف العمال تتقدّم للعمل لديه، ستعرّف نفسَك بأنّك مهاجرٌ فقير من القارةِ الغربية، فملامحُك أقربُ لهم، ستقول إنك هربتَ من ويْلات الحرب التي قتلتْ كلّ عائلتك، وأنّك عملت في عدةِ مزارع من قبْل، وتريد العملَ لدى السيد كيمان».

«أين دالا ؟». قال وليد مستفهمًا، فقال رمزي: «لن تأتي اليوم فهي ستذهب من مدينتها مباشرة لمدينة دشان لتستأجرَ المرتزقة لاختطافه كما خطّطنا».هزّ وليد رأسه متفهّمًا، فقال رمزي:»من الآن اسمُك أونات، حاول أن تعتادَ هذا الاسم». فقال وليد وهو يرفعُ حاجبيه: «اسمٌ سخيف، ولكن ما باليدِ حيلة، فأنا أعملُ في هيئة اسمها (مساعك)،وهذا الاسم معاناة أخرى».

«ملحوظة أخيرة، مِن المفترض أنّ الحراس الذين عيّنتْهم المنظمة للعمل مع كيمان سيكونون قد تركوه في وقتِ وصولك، لكنّه سيكون محاطًا بمرتزقةٍ ماهرين، كيمان يريد السلطة، رجل مهووس بالتحكّم، وليس مجرّد متنزّه يريد أن يعيشَ في كوكب مختلف، وهذا ما يجعله خطرًا، ويجعل القبضَ عليه من أولوياتنا، ولذلك عيّنّا اثنين من أصحاب الجين الفائق للقضاء عليه، أريدُك أن تتوقّع الأسوأ، قد يستبقي أشخاصًا من المنظمة معه، فهو واسعُ الثراء، ويمكن ان يطلبَ هذا منهم، خذْ حذرك، ولا تُقْدم على خطوةٍ إلّا بالتنسيق مع زميلتك».

-٩-

اندفعَ شنتو مشرفُ العمال في أرض كيمان في سباقٍ محموم لكي يلحق سيدَه كي يعطيه عينة مِن المحصول الذي بدأتْ تباشيره في الظهور. كان النباتُ المزروع في الحقل الذي يشرف عليه نباتًا غريبًا على السارتيين، كانوا مُعتادين على زراعة نباتاتٍ للأكل، لكنّ السيد كيمان جاءهم ببذورٍ غريبة لنباتٍ تستخدم ثمارُه في نسج ثياب الأغنياء، قال إنّها من بلاد في القارة الشمالية التي يفصلُهم عنها بحرٌ واسع، ونادرًا ما يسافر أحدٌ من سارتا إلى هناك.

كان حقلُه واحدًا من ضمْن خمسة، وقد قال السيد كيمان إنّ أولَ مشرفٍ يأتيه بقطاف من حقله فسوفَ يُعطيه مكافأةً ضعف راتبه. وصلَ إليه وهو يتنفّس بصعوبة من الإجهاد، كان كيمان يجلس على عربةٍ مكشوفة يجرّها حيوانان أشبهُ بالحمير، لكن أسمن وأسمك جلدًا. اقترب منه وهو يمدّ يدَه إليه بالألياف الرقيقة ذات اللّون الأصفر الباهت التي جناها من إحدى الشّجيرات في حقله كان يرفع يدَه لسيده، ورأسُه محنيّ لأسفل كما جرتِ العادة. أمسك كيمان بالألياف، تحسّسها بيدِها وجذبها، ثمّ قال: «أحسنت يا شنتو، المكافأة لك». تهلّل وجه شنتو وهو يرفع وجهه لسيدِه الذي سأله: «هل وصل العمّالُ الجدد؟». فقال: «نعم يا سيدي، سوف آتيك بهم حالًا».

كان أوزلو على حصانِه جوار عربة كيمان، قال له بصوتٍ خفيض: «أما زلتَ مصرًّا على المضيّ في تلك الخطة؟». فقال كيمان:«نعم، لقد وعدتُ أمير دشان أنّني سوف أعرض عليه الثيابَ المدرّعة قريبًا». كان القماشُ الذي يغزَل مِن هذا النبات قويَّ التحمل، وبعد معالجته بنوع مِن الزّيوت والسوائل يصير مقاومًا للقطع، وهو ما يُعطي المحارب أفضليةً إذا ارتدى درعًا مغطّى بهذا القماش، وارتداه على رقبته ووجهه.

قال كيمان موضّحًا وجهةَ نظره لأوزلو: «سوف أستخدمُ هذه الدروعَ بشكل محدود، أنا لا أريد أنْ أكون إمبراطورية، فقط أريد أن يكون لديّ مملكة صغيرة، وليس مجرّد إقطاعية تتكون رعيّتي من ألفي مزارع وخادم». هزّ أوزلو كتفيه باستهانة، وقال: «كما تشاء، لكنْ تذكّر دومًا أن الطموحَ الكبير يجلب مخاطرَ كبيرة، أنتَ لا ترغب أن تدفعَ حياتك ثمنًا لأحلامٍ كتلك، أو تلفت انتباه هيئة (مساعك) فيرسلوا إلينا جيشًا للقبض علينا». قال كيمان مُعترضًا: «أنت تعرف أن الهيئةَ ترسل شخصين أو ثلاثة على الأكثر؛ لأنّهم لا يريدون أهلَ هذا الكوكب أن يعرفوا أن هناك بشرًا في الكون غيرهم، و....». قاطعه أوزلو قائلًا: «إذا وجدوا أنّك ستغير شكل الكوكب وتوازنه بشكلٍ كبير، فساعتها لن يمكننا التنبؤ».

كان كيمان على وشكِ الردّ عليه، لكنّه وجد شنتو مقبلًا

عليه، وبصحبته أربعُ نساء وتسعةُ رجال. بدأ يسألهم عنْ خبرتهم في العمل، ويطلب من شنتو توزيعَهم على العمل في الحقول الخمسة لجنيِ محصولِ النبات الجديد.

«وأنت ملامحك غريبة عن سارتا، ما اسمك؟ ومن أيّ البلاد أنت؟». قال كيمان موجّهًا كلامه لشابٍّ أبيض اللون،فاحم الشعر، طويل، بني العينين، يبدو متمتّعًا بقوة جسدية أفضلَ من الباقين، قال الشابّ: «اسمي أونات يا سيدي كيمان، وأنا من القارة الغربية، وهربت إلى هنا بعد أنْ قتلتِ الحربُ أهلي». قال أوزلو: «سمعت عن تلك الحرب، هل كنت جنديًّا فيها؟، قلِ الصدق». قال أونات (وليد): «كلّا يا سيدي، أنا من قبيلة كلّنا مزارعون لا شأنَ لنا بالحروب، وقد هربتُ في سفينة مع مَن تبقّى من أهل قريتي بعدَ أنْ ذبح أعداؤنا الجميع». قالها وبان على وجهِه التأثّرُ كأنه على وشكِ البكاء، فقال كيمان بضجر: «حسنًا، لستُ بحاجة لسماع قصة حياتك، بنيتُك ستجعلك تعملُ مع مَن ينقلون المحصول في العربات».

أنهى بضجرٍ استطلاعَ بقية العمال، ثمّ طلبَ من المشرف أن يوزّعهم كما قال، ثمّ جلس على عربتِه فاردًا ظهره على الكرسي بوخم، وهو يهتف بالحيوانيْن للتحرك. كانت العربة تتهادى نحوَ قصره، يرافقه أوزلو الذي كان حارسَه الشخصي. قال له متسائلًا: «ألا زلت تفكّر في تجنيد بعضِ هؤلاء العمّال؟». فقال كيمان: «نعم، ولكنْ ليس

الآن، أريد أن أركّزَ في مسألة صنع الدّروع، وعندها يمكنُ للأمير أن يتنازلَ عن شرطه بأنْ أساعده بخمسمائة مقاتل يمكن أن يخفضَ العددَ إلى مائةٍ أو مائتين، وبالتالي تقلّ التكلفة». ترجّل من عربته أمام القصر، ودخل بخُيلائه وحولَه الخدم،وهو يفكّر ثانية في اقتراح أوزلو بتجنيد بعضٍ من الفلاحين بدلًا من استئجارِ المرتزقة الذين يطلبونَ مبالغَ طائلة. كان اقتراحًا وجيهًا، لكنّه يثير في داخله مخاوف لم يصارحْ أوزلو بها. هو يرى أنّ هؤلاء المزارعين مقموعون مقهورون مُعتادون على الذلّ والاستكانة. هُم لا يتخيّلون أنفسهم قادرين على شيء غير رعايةِ الأرض والزرع، لكنّه إذا جند بعضهم سيعرفون أنّ في داخلهم قوةً أخرى، وإمكانيات جديدة، وقد ينشقّ واحدٌ من المجندين ويحرّض أهلَ قبيلته على الثورةِ على أصحاب الأراضي والأمراء.

قبيلةُ دراب (قبيلة العمّال والمأجورين)، لا تزال منذ قرون تعملُ في الخدمة والزراعة تحت سيطرةِ الأغنياء من قبيلةِ عنيت (القبيلة التي ينتمي لها أغلب الأمراء وأصحاب الأرض). كان هذا هو الحالَ في أراضي سارتا كلّها منذ إنشاء المملكة الحالية منذ خمسةِ قرون تقريبًا على يد عنيت الكبير الذي خسفَ الأرض بالدرابيّين، واستعبدهم. طوال تلك السنين لم يقمْ واحدٌ من الوجهاءِ باستئجار واحدٍ من الدرابيّين للعمل في أيّ مهنة ذات شأن، وخاصّة المهن القتالية.

خطرَ في باله أنْ يبحث بين العمال على بعضِ المهاجرين واللاجئين من بلادٍ أخرى، فهُم سيكونون طوعَ بَنانه، ولن يتعاطفوا مع ذويهم من الدّرابيين المقهورين شاحبي الوجوه. هو نفسه بينَ الوجهاء هنا يعدّ أقلَّ شأنًا لأنّ نسبه في قبيلة عنيت غيرُ موثّق بشكل كامل، لكنّ ثراءه تغلب على تلك النّقطة، ومكّنه أيضًا من اكتسابِ صداقةِ الأمير بالهدايا الفاخرة. كان يخطّط لليوم الذي يستطيعُ فيه أن يتغلّبَ على الجميع، ويؤسّس مملكة صغيرة، لكنّ أفكاره دومًا كانت تتخبّط بين المساواةِ بين الأغنياء والفقراء حيث يخضعُ له الجميع دونَ اختلاف وبينَ المحافظة على النظام الموجودِ، مع إخضاع الأغنياء بالامتيازات أحيانًا، وبالتّهديدات أحيانًا أخرى.

أحلامُه كانت تتراوحُ بين إمارةٍ صغيرة وإمبراطوريةٍ تملك القارةَ الشّرقية بأكملها. يقضي لياليه يخطّط وينظّم الدولة التي ينوي إقامتها، ثمّ يعود مرّةً أخرى، يحجم أحلامه، ويجعلها في حدود لا تجلبُ عليه المصائب، كما ينصحه أوزلو دومًا. الإمارة الصغيرة مريحة، تجعله يعيش منعّمًا ويمتلك رقابَ الآلاف، ويغيّر مصيرهم بقرارٍ منه، لكنّها تبقى ضعيفةً يمكن لأميرٍ قويّ طموح أنْ يغزوها ويستولي على كلّ ممتلكاته، ويضطرّه هذا للعودة إلى كوكبه لحياةٍ راكدة بلا معنى.

كيمان كان يعيش منعّمًا منذ صغره، لم يفسدْه التّدليل،

تعلم جيدًا، وبدأ يعمل في شركات أبيه منذ أنْ كان يدرس، تعلّم الإدارة وتحمّل المسئولية، لكنّه كان يرى الحياةَ بلا جديد، بلا معنى يثيره، لديه كلّ شيء، لا يوجد تحدٍّ حقيقي أمامه. كان لا يرى فائدةً في الفوز بصفقةٍ هامّة أو تحقيق أرباحٍ عالية لشركاته إلّا إضافة ملايين جديدة في حساباته.

ثمّ ماذا؟ كان ذلك هو السؤال دومًا،وهو ما وجدَ إجابته حين سمعَ عن منظمة السفر الكوني من أحدِ أصدقائه، كانت الاستعانةُ بخدمات تلك المنظمة خروجًا خطيرًا على القانون، وهو ما أضاف لذّةً لمغامرته. دفعَ لهم مقابل تأمين حياةٍ له في المكان الذي اختاره، وقرّر أن يكون واحدًا من الوجهاء أوّلًا، ثمّ بدأ يطوّر من فكرته، وبدأ التحدّي يتزايد في داخله، ويخلق في نفسه حبًّا للحياة لم يشعرْ به من قبل.

دخلَ غرفته، كانت الفتاةُ الجديدة في انتظاره، زوجتُه المؤقتة كما يقتضي عرفَ سارتا. كان صاحبُ الأرض من حقّه أن ينتقي زوجةً من فتيات المزارعين، زوجة مؤقتة ينتهي منها إذا لم تنجبْ طفلًا خلال فترةٍ ما، وإذا أنجبت فإنّها تكون ضمنَ زوجاته، ويعفى أبواها من الخدمة في الأرض، لكن تنقطع صلتُها بقبيلتها وتصير عضوًا في قبيلة الزوج. كان كيمان لا يريد أبناءً في البداية، وكان يتّخذ الزوجاتِ من بنات الفلاحين ليتجنّب الوحدة، لكنّه بدأ منذُ فترةٍ قصيرة يفكّر أنْ يكون له أولادٌ لينشئ بيتًا كبيرًا باسمه بعد أن يؤسّس إمارته المرتقبة.

تأمّلَ الفتاة التي كانت قليلةَ الكلام منذُ دخلت بيته، كانت لا تحاول فتحَ حوار معه أو إرضاءه كما فعلتِ الفتيات من قبْلها، لم تحاول إثارةَ إعجابه أو إظهارَ اهتمامها المبالَغ به، وإنّما تطيعه قدر ما يطلبُ فقط، تتصرّف بمُنتهى الأدب والطاعة، لكنْ يبدو من ملامحها وتعبيراتِ وجهها أنّ لديها الكثير ممّا لا تفصح عنه.

لم يتخيّل وليد أبدًا أن يمرّ عليه يومُ عمل بهذا الطول، يحمل فيه عربةً صغيرة يتجوّل بها من أوّلِ الحقل لآخره، مسافة تتجاوز الكيلومتر ذهابًا وإيابًا، يستريح ربع ساعة في آخر كلّ مشوار، حتّى تمتلئ العربة ثانية. كانت عربةً خشبية،العجلات عبارة عن جذوعٍ أسطوانية تمتد بعرض العربة، تمشي بخشونة، وتتعثّر كثيرًا، وتنحشرُ الحصوات السميكة فيها فتوقف العجلات فيضطرّ إلى جرّ العربة بصعوبة، ثمّ يتوقف ويسلّكها، ويزيل الحصا، ويعيد مشيَه. كان راتب العامل هو غذاءَ يومه، وأجرَ الكوخ الذي يقيم فيه؛ الأكواخُ جميعها ملك صاحب الأرض، وإذا استطاعَ العامل إنجازَ قدرٍ أكبر من العمل فإنه يتقاضى أجرًا إضافيًّا من عملةِ البلد، وهي أحجار مصقولة، زرقاء اللون شبه شفافة، يمكنه أن يدّخرها أو يبادلها بأشياء أخرى من السوق.

جلس منهكًا على الفراش المحشوّ بما يشبه القش، جاءه رجلٌ عجوز يجرّ في يده حيوانًا في حجمِ خروف كبير تمّ جزّ صوفه للتوّ، ويتقافز إلى جواره حيوانٌ آخر يشبه القرود الصغيرة، لكنّ شعرَه أقلّ، وملامحه قريبة من البشرِ بشكل منفّر. «هذه الشّاوا لك، تحلب لبنها كلّ صباح وتشربه ليعينك على العمل». بدّل وليد عينَه في قرفٍ بين ضرع الشاوا المنتفخ ووجه الرجل العجوز، وقال: «شكرًا، أنا لا

أشرب اللبن، يمكنك أن تحتفظَ بها». فقال الرجل بحزم: «القواعد هنا أنّك مسئول عن تربيةِ الشاوا والعنايةِ بها، يمكنك أن ترمي اللبنَ أو تبيعه، ولكن لابدّ أن تحلبَها كلّ صباح حتّى لا تمرض، لو ماتت سوف تُحرَم من اللحم شهريْن».

أشارَ وليد للحيوان شبيه القرد بحذر، وهو يسأل عنه، فقال الرجل: «الأوران، آه نسيت، أنت من القارة الغربية وليس لديكم أورانات، هذا خادمُك الشخصي ورفيقُك يرتّب لك البيت، ويرمي القاذورات، ويشعل لك النارَ كما أنّه مسلٍّ جدًّا، لكن عليك أن تختارَ له اسمًا». نظر وليد ثانية للأوران، وبدا على وجهه علاماتُ الرفض، فقال العجوز: «لن تستطيع العيش في هذا الكوخ دونَ أوران صدّقني، إنّه خادم الفقراء أمثالنا، فالأوران للفقير مثل الدرابي للغني». شعر وليد بالضّيق من تشبيه الرجل، فلا يصحّ له أن يشبّه أبناءَ قبيلته (دراب) بحيوان، لكنّ الجُملةَ بدت أنّها مستعمَلَة كثيرًا كأنّها مثلٌ شعبي.

«سؤالٌ أخير، ألا يستطيع هذا الـ..أوران أنْ يحلب الشاوا؟». سأل وليد فضحكَ العجوز قائلًا: «يمكنُه بالطبع، لكنّها لن تسمحَ له، وقد تقتلُه برفسةٍ قوية».لم يجادلْ كثيرًا، ربط الشاوا في أحد أعمدةِ الكوخ الخارجية، ثمّ وجدَ الأوران يقفزُ فيحضر عشبًا من كومةٍ موجودة بين الأكواخ،ويضعه أمامَها، ثمّ يملأ إناءً بالماء، ويضعه لها

أيضًا، ويربّت على رقبتها، ثمّ يقفز داخل الكوخ.

جلسَ الأوران على الأرض جوارَ الفراش، هشّه وليد، وأمره أن يجلسَ بعيدًا عن فراشه. أطاع الأوران أمرَه، وجلس قربَ الباب، لكنْ ولدهشته بدتْ على وجه الحيوان أماراتُ الحزن. ظنّ أنّها مجرد خيالاتٍ، نفضَها عن رأسه وتوجّه إلى الحمّام في ركن الكوخ قاصدًا أن يستحم. بدأ يخلعُ ملابسه، همّ أن يقذفها بعيدًا على الأرض لكنّه وجد الأوران يقفزُ ويلتقطها منه ويرتّبها بعنايةٍ على الفراش. جعله الوجه شبه الآدمي الذي ينظر إليه يشعرُ بالحرج وهو يهمّ بخلع ملابسِه، لكنّه سخرَ من نفسِه، وأكملَ حمّامه، ثم ساعدَه الأوران أيضًا في ارتداء ملابسه.

رقدَ على الفراش، نظرَ للحيوان الجالس عند الباب، والذي كانت عيناه معلّقةً به كأنّه ينتظر أمره لفعلِ أيّ شيء. فكّر قليلًا وهو يتأمّله، ثمّ قال: «اقترب».قفز الأوران نحوه، ووقف يتطلع إليه مترقّبًا، فقال وليد وهو يشيرُ لنفسه: «أونات». هزّ الأوران رأسه متفهّمًا، وهو يكرّر نغمة الكلمة بغمغمةٍ قريبة تمامًا من الاسم.أشار وليد للأوران وقال: «لوز». حملقَ الأوران فيه بتركيز، واتّسعت عيناه فكرّر قائلًا: «لوز، اسمك لوز». ردّد لوز نغمةَ اسمه بغمغمةٍ وهو يشير إلى نفسه، ويكرّرها، واتّسع فمُه كأنه يبتسم.

رقدَ وليد على فراشه يستعدّ للنوم، فتحَ لوز الباب،

وأحضر حزمةً تُشبه القشّ، واقترب ببطء من فراشِ وليد، وعينه مثبّتة عليه كأنّه يرجوه. لم يتحرّكْ وليد وانتظر، فرشَ لوز حزمة القش على الأرضِ ببطء جوارَ فراش وليد، ثمّ كوّم جسدَه عليها وهو ينظرُ إليه كأنّه يرجوه ألّا يطرده بعيدًا. ابتسم وليد متأثّرًا، وقال: «لا بأس، نمْ، لكن لا تُصدر صوتًا، و..» لم يكملْ جملته فقد راح لوز في النوم من فوره.

استيقظَ بعد ثلاث ساعات. كانت السماءُ مضيئةً بأقمار كوكب شوريد الثلاثة،إلّا أن القمر الأوسط كان أكثرهم لمعانًا. وقف أمامَ كوخه يتأمل المنظرَ الخلّاب، لكنه تنبّه سريعًا أن وقفته في وقتٍ متأخر كهذا قد تلفتُ نظرَ أحد، فدخل وأغلق بابه، ثمّ عاد إلى طرفِ فراشه متجنّبًا أن يوقظ لوزًا.

في اليوم التالي،عاد إلى غرفته في منزلِه في عين شمس، على فراشه، الساعة الثالثة عصرًا، كانت أمّه على وشك إعدادِ الغداء، وأبوه يشاهد إعادةً لبرنامج مسائي. فتح جهازَه اللوحي، وعالج شاشتَه بطريقة محدّدة، وهو يثبت سماعةً في إذنه. فتح الاتصالَ مع رمزي: «أنت لم تخبرني أنّ في الموضوع قرودًا وخرفانًا!». عقد رمزي حاجبه متعجّبا، فقال: «في هذا البلد يعطون كلّ عاملٍ قردًا يخدمه، ونعجة يطلبون منه حلبَها، أنا أحلبُ نعجة على آخر الزمن، والاسمُ أنّني بطل ينقذ الكون!».

ضحكَ رمزي وطلبَ منه أن يهدأ ويعطيه تقريرَه، فقصّ عليه كلّ شيء من لحظة وصوله ومقابلته للمشرف شنتو، ولقاءه بكيمان، ثمّ قال: «أعتقد أنّ حارسه الضخم هذا ينتمي للمنظمة». سأله رمزي عن سبب شكّه، فقال وليد: «شيء ما في ملامحه وحركته، ثمّ إنّه يخاطب كيمان باعتدادٍ بالنفس يتناقض مع الخضوع الذي يُظهره الجميع له». فقال رمزي وقد أعجبته الملاحظة: «كيمان واسعُ الثّراء، ويمكن أن يطلب من المنظمة تمديد خدمتِهم له، وفي الأغلب هناك آخرون، ولذلك يجب أن تأخذ حذرَك كما قلت».

قال وليد: «بالطبع. فهذا البغلُ يمكنه كسرُ رقبتي إذا....». قاطعه صوتُ أمّه تنادي من الردهة: «وليد، الغداء جاهز». فقال: «حاضر». ثمّ التفت محدّثًا رمزي الذي قال: «لا تقلق، أنت قوي أيضًا، وإذا لم يكن من أصحابِ الجين الفائق فسوف تتغلّب عليه بسهولة، لكنْ على أية حال لن تقبضَ عليه وحدك، ستكون دالا معك». «الغدا يا وليد، لا تتعبْني معك» قاطعه صوتُ أمّه ثانية، فضحك رمزي وقال: «الآن اذهب إلى أمّك قبل أن تقرصَك من أذنك».

-١١-

مدينة دشان هي أكبرُ مدن مملكة سارتا، أميرُها ينحدر من نفسِ الأصل الذي تنحدر منه العائلة الملكية، تطلّ على النّهرِ العظيم الذي يفصلُها عن مدينة دركا الأصغر منها. يتفرّع من النهر بحيرةٌ عذبة مترامية الأطراف، تطلّ المدينة على جزءٍ منها، وتطلّ الحقول الكبيرة على باقي ضفافِها، ممّا يجعل الأراضي سهلةَ الري أكثر من أيّ مدينة أخرى.

وصلتْ دالا لأطرافِ المدينة ذات صباح، قضتْ يومها تطوفُ بالمدينة، وتستطلع أسواقها وساحاتها. في المساء، توجّهت إلى الجزءِ البعيد عن ضفاف النهر، وعن الحقول، ذلك الجزء الذي يفصل المدينةَ الفعلية عن الأرضِ الجرداء التي تمتدّ مسافة شاسعة تفصلها عن مدينة الساحل الغربي. كانت تلك الأطراف مكانًا للصناعات والحرف، مصانع مكشوفة لا تغطيها إلّا أسقفٌ من القش دونَ جدران، العددُ الأكبر منها يقوم بتصنيعِ مواسير من مادة شبيهة بالخزف تستخدَم لريّ الحقول، وبعضها ينسج الثياب، والآخر للحدادةِ، وغيرها. كان العمالُ في تلك المصانع مِن قبيلة دراب، بينما المشرفون والحرفيّون الذين يديرون الأجزاءَ الفنية من العمل كانوا مِن قبيلةٍ أخرى، أو من الفرع الفقير في قبيلة عنيت. كانوا يعيشون في أكواخ مكدسة مُتلاصقة بينها أزقّةٌ ضيقة، كانت مساحةُ تلك المنطقة واسعةً، يعيش فيها آلافُ العمّال وأسرهم، ويختبئ في

بعضها أناسٌ خارجون على القانون.

دالا كانت تمشي بين الأكواخ نحوَ هدفها المحدد كأنّها تحفظ خارطةَ المكان عن ظهر قلب، كانت تخبئ في حزامِها خنجرًا، وصرّةً من العملةِ الحجرية الأغلى ذاتِ اللون الوردي. تتلمس طريقَها في الليل الذي كان خافتَ الضوء حيث القمرُ الأوسط لا يزال صغيرًا. كان القليل من الناس في الشوارع، وبعضُ حيوانات الأوران التي أثارت تقزّزها فقد كانت تراها للمرّةِ الأولى.

طرقتْ على أحد الأكواخ كان كوخًا حجريًّا مميّزًا وسطَ الأكواخ الطينية الأخرى، فتح لها شخصٌ ملثّم بابَ الكوخ، طلبَ منها رسم الدخول، فتحت الصرة، وأخرجت من بين الأحجار الوردية حجرًا أزرق وأعطتْه إيّاه. لاحظت أنّ عينا الرجل التمعتَا في جشع حين رأى الأحجار الوردية، لكنّها لم تهتم، تبعته إلى داخل الكوخ، ثمّ نزلت سلّمًا تحت الأرض يقودُ إلى نفق طويل تضيئه بعض المشاعل.

سألها الملثّم: «مَن تريدين في الأنفاق؟». قالت: «أريد هادو». نظر إليها مقطبًا حاجبيه وهو يتأمّلها، ثمّ قال: «حسنًا، سوف تتركينَ ثلاثَ فتحات، وبعدها تدخلين الفتحةَ الرابعة، سوف تقودُك إلى نفق آخر، في نهايته ستجدين واحدًا من مساعدي هادو سيقودُك إليه». بدأت تمشي بحذرٍ في النّفق الممتدّ على مرمى البصر، لم تظهرْ أيّ فتحاتٍ على يمينها أو على يسارها، وبدأتْ تشكّ أنّ في الأمر

خدعةً ما، فنظراتُ الملثم كانت تشي بنيّته السيئة.

سمعت صوت طقطقة كأنّ بعض الصفائح تخبط في بعضها، تحسّست جدارَ النفق من أعلى، فوجدت حبلًا مثبّتًا، به بعضُ الأكواب المعدنية التي تُصدر ذلك الصوت. «ربما تكون لغة تواصلٍ بين مَن يديرون هذه الأنفاق». قالت لنفسِها وهي تكملُ المشي وقد زاد توتّرها، وجدت رجليْن قادميْن في الاتجاه المقابل، تحسّست خنجرها لكنّ الرجليْن تجاوزاها دونَ أن يلتفت أحدُهما لها.

أخيرًا، رأتْ أولَ فتحةٍ في النفق، أخذت نفسًا عميقًا لم تكمله، فهواءُ النفق كان سيّئ الرائحة، فكّرت إن كانت الفتحةُ التالية ستكون على نفْس المسافة الطويلة. لعنتْ في سرّها هؤلاء المسئولين في الهيئةِ الذين كان يُفترض بهم إمدادُها بمعلوماتٍ أكثرعن تلك الأنفاق، وما يجري فيها، فقط أخبروها بكيفيةِ الوصول إلى هذا الكوخِ الحجري وطريقة التواصل.

رأتْ في لهبِ إحدى الشّعل خيالَ الفتحة القادمة، اطمأنّت وأسرعت المشي، وبينما كانت تمرّ من أمامِ الفتحة فوجئت برجليْن يجذبانها بقوّةٍ داخلها. سقطت أرضًا وسمعت أحدهما يقول بصوت كالفحيح وهو يشهرُ خنجرًا كبيرًا: «أعطينا صرّة الحجارة الوردية، وسوف نتركُكِ تعودين بسلام». غمغم زميلُه بكلامٍ غير مفهوم هو الآخر، وهو يمسك عصاةً في طرفها شوكة مدبّبة.

ابتسمتْ ساخرة وهي تقول: «لا يمكن أن تتصوّر سعادتي بوجودكما هنا، لقد أوشكت على البكاء من كثرة الملل». تبادل الرجلان النظراتِ وهما يظنّان أنّها تهلوس. هجمَ عليها صاحب الخنجر فقفزت من مكانها فاختلّ توازنه، وأكملت هي بضربةٍ على رأسه بكعبِ خنجرها فأسقطته أرضًا. هتف الآخر بسبابٍ لم تفهمه وهو يهوي على رأسها بعصاه، لكنّها تلقفتها بيدها في حركة سريعةٍ أذهلته قبلَ أن تنتزعها من يدِه، وتهوي بها على رأسه، فتُسقطه قبل أن يحاول الآخر انتزاعَها من يدها، فتفلتها هي وتستدير لتواجهَه ثانية.

وقفَ الرجلُ أمامها موجّهًا طرف العصاة المدبّب نحوها، بينما زميله لا يزال على الأرض يتلوّى من الألم. حاول الأولُ طعنها لكنّها أمسكتِ العصا منه بعدَ أن تفادت جزأها المدبّب، ثمّ نزعتها من يده بسهولة، وهوت بها على قدم زميله الراقد على الأرض فكسرتها وهو يصرخ من الألم، ثمّ لفّت العصا في الهواء، وهوت بها بقوّة على فكّ الواقف أمامها، وأعادت لفّها ثانية ثمّ هوتْ على ساقه بعنفٍ فكسرتها وجعلته يسقطُ أرضًا وهو يصرخ.

اجتذبَ صوتُ الصرخات أناسًا آخرين جاؤوا جريًا نحوها، فقالت لنفسها بجذل: "يبدو أن الأمور تتحسّن". لكنّها تذكرت أنّه من غير المفروض أن تظهِرَ قدراتها أمامَ الكثيرين؛ فوقفت في اعتداد، وقالت بصوت مرتفع: "أريد مقابلةَ هادو سيد الأنفاق، لا أريد قتالَ أحد". قال واحد

منهم: "لماذا إذَا اعتديتِ على هذيْن الرجلين؟". فقالت بحزم: "كنت أدافعُ عن نفسي، كانا يريدان سرقةَ الأتعاب التي جئتُ لأدفعها للسيد هادو".

اقترب الرجلُ من المصابيْن، وسألهما، فحاولا أن ينكرَا، فضرب أحدَهما في ساقه المكسورة فاعترفَ أنّه حاول سرقتها، واعترف أنّ حارسَ الباب هو مَن أرسل له إشارةً ليسرقها. أشار الرجلُ بيده لاثنين من مرافقيه ليحضرَا حارسَ الباب، وقال لها: «سوف أرافقك إلى هادو بنفسي، أنا راعي الأنفاق، والمسئول عن حفظ الأمن فيها».

رافقتْه دالا حتّى وصلوا جميعًا إلى ردهة واسعة، جلس فيها هادو على أريكةٍ منخفضة بلا قوائم،وإلى جواره رجلان مسلّحان بسيوفٍ قصيرة عريضة. قصّ عليه راعي الأنفاق ما حدث قبلَ أن يقذف رجل آخر بالملثّم ليسقط على الأرض أمامَ هادو وهو يتوسل. دارت أمام عيني دالا محاكمةٌ سريعة للملثم، أوّلًا كشف وجهَه الذي كان مشوّهًا من إصابات قديمة، ثانيًا اعترف بأنّه منذُ فترة ينتقي الضعفاءَ والنساء ليسرقهم بمعاونةِ أصدقائه، ثمّ أتبع اعترافَه بتوسّلٍ حارّ لهادو ليعفو عنه.

أشارَ هادو لمساعديه فأخذوا الرجل وهو يتوسّل ويبكي، بدأ صوته يخفتُ كلّما ابتعدوا به حتى غابَ تمامًا، ثمّ نظر إلى دالا وقال: «ما الذي أتى بمحاربَةٍ مثلك هنا؟ لا يوجد في سارتا كلها نساءٌ مُحاربات». قالت «أنا لستُ من

سارتا، جئتك أطلب خدمةً بمقابل مجزٍ، فهل توافق؟». ضحك هادو وقال: «ولماذا لا آخذُ المقابل وأتخلّص منك؟!». فقالت: «لأن سمعتك تسبقك، أنت رجلٌ تحترم العقود، ولست مجرّدَ لصٍّ مثل تابعك هذا».

سحبَ أحدُ معاونيه سلاحه غاضبًا من طريقتها، فأوقفه هادو وقال مستفسرًا: «ماذا تريدين؟». قالت: «هناك رجلٌ اسمه كيمان، واحد مِن ملّاك الأرض، أريدك أن تختطفَه لي». ضحك هادو ساخرًا، وقال: «كيمان مِن أبغض الملّاك إلى نفسي حقًّا، وهو لا يمتلك أقرباء نعرفهم، لكنّه يحيط نفسَه بحرّاس أقوياء؛ ممّا يجعل اغتياله صعبًا، فما بالك بخطفِه، ثمّ إنّ الاعتداء على واحد من ملّاك الأرض أمرٌ خطير على أيّة حال». قالت وهي تنظرُ بتحدٍّ: «قيل لي إنّك أقوى رجل في دشان، وإنّك تفعل أيّ شيء يُطلَب منك مادام الثمنُ موجودًا!». أخرجت الصرّة، وعدّتْ عشرَ قطعٍ من الحجارة الوردية، ثمّ قالت وهي تمدّ يدَها إليه: «أظنّ أنّ عشرَ قطع وردية كبيرة ثمنٌ جيد!». أمسك القطع في يده وهو يتفحّصها قائلًا: «العشرُ قطع تكفي لقتله، وليس لاختطافِه».قالت: «سوف أحضر لك غدًا خمسَ قطع أخرى، ما رأيك؟». نظر إليها مليًّا ثمّ قال: «أحضري خمسَ قطع أخرى غدًا، وسوف أختطفه وأسلّمه لك في الأرض الجرداء الجنوبية غربي طريق القوافل بعدها بيومين، وعندها سأستلم منك خمسة أخرى».

-١٢-

عودةُ وليد لنقطةٍ زمنية تحرّك منها كانت تستغرقُ أقلّ من ثانية، لكنّه يصاب بارتباك في حواسه سرعانَ ما يزول، لكنّه كان يشغل باله، ماذا لو جاءت لحظةُ الانتقال وهو وسط معركة ما؟ قال رمزي إنّ لديه ساعتين يمكن الانتقالُ أثناءها، وإلّا سيكون عليه الانتظار يومًا آخر، وأنّ هذا الانتظار يعني تأخّره في العودة ساعة يكون خلالها مختفيًا عن مكان وجوده. كانت تلك الأفكار تمرّ في رأسه وهو يركب سيارة إلترامكو عتيقة تمشي ببطء في شارع أحمد عصمت في قلب عين شمس. ابتسمَ وهو يتذكّر «لوز» الذي كان ينظرُ إليه حين انتقل للأرض المرة الأخيرة وعلى وجهِه تعبيرٌ مضحك وقد شرع أذناه.

حين عادَ إلى بيته، أغلق بابَ غرفته بعد أن أخبر أمَّه أنّه سينام ساعتين، وصل إلى كوخه ووجد لوزًا ينظر إليه بوجهٍ يبدو عليه الاندهاش. قام وربّت على رأسه، وطلب منه أنْ يشعل النارَ ليحضر شرابَ الأعشاب الذي يخلطه بلبن الشاوا. قالت له جارتُه وهي إحدى العاملات على تلك الطّريقة حين عرضَ عليها أنْ تحلب الشاوا الخاصّة به، وتأخذ اللبنَ لها. جرّبها ووجد طعمَه يستحقّ عناء حلب تلك الحيوانة السميكة.

خلعَ ثوبَه واطمأنّ أن سوار ذراعه مختبئ تمامًا كحرباء

تتوارى في الشجر، وأنّ حوافّه لا تبرز مِن جلده بأيّة حال. خرج إلى الحقل وتسلّم مهامّه لهذا اليوم، كان من المفترض أن يعمل مع ناقلي المياه وهُم عمّال يقومون بتدويرِ رافعات تنقل الماءَ من البحيرة إلى بركة تنقل الماء لمواسير خزفية تمرّ في الحقول. استغرق ساعة في عمله، ثمّ شعر بملل جعله ينتهز فرصة أن المشرفَ غيرُ موجود وقام من مكانه وأخذَ يتتبع مسارَ تلك المواسير. لاحظ أن كلّ واحدة كبيرة يتفرّع منها مواسيرُ أصغر، في بداية كلّ واحدة رافعة، جلس إلى جوار رافعة منها يتأملها قبل أنْ يشعر بسنٍّ حادّ ينغرس في عنقه، ويخرج سريعًا.

شعرَ بألم شديد واستدارَ ليرى مَن أصابه فوجد المشرفَ ينظر له بحزم، وبيده عصا طويلة في آخرها إبرتان دقيقان. اعتراه غضبٌ شديد لكنّه تمالك نفسه بقوة وهو يقبضُ كفّه في غيظ، داهمه ألمٌ شديد في مكانِ الوخزة، فوضع كفَّه عليه وهو يتأوّه، ابتسم المشرف بظفر وهو يقول: «ستؤلمك طولَ اليوم فنحن نغطّي هذه الإبر بسائلَ من إحدى الحشرات، هذا جزاءٌ بسيط لإهمالِك في عملك».

قام متّجهًا نحو مكان خدمته، وهو ينظر شذرًا للمشرف، الذي قال له: «لو كرّرتها سوف تنال ثلاثَ وخزات، وخصمَ طعام يوم». عاد يديرُ الرافعة وهو يكتم غيظَه، يسبّ هيئة (مساعك)، وذلك العملَ الغريب الذي وضع نفسَه فيه. كان يتخيّل حين دربوه أنّه سيحارب الأشرار أو يقود مجموعةً من

المقاتلين للقضاءِ على مجرم ما، لكنّه بدلًا من ذلك وجد نفسه يعمل أجيرًا تحت إمرةِ مشرفٍ غليظ الخلقة والعقل.

قال زميلُه الذي انهمك في رفْع الماء هو الآخر: «أنت محظوظ لأنّ مشرفنا هنا ليس شنتو، هذا المشرفُ طيب». فقال باستنكار: «هكذا وطيّب!، هل هذا مقبولٌ لديكم؟». قال الرجل: «نحن الدّرابيون معتادون على هذا في العمل، لكنّنا في مأمن من الحروب والنزاعات كما يحدث في بلادكم، الحروبُ هنا تقوم بين السّادة وجنودهم ومرتزقتهم، وبينهم اتّفاق أننا مثل الأرض والزرع لا أحد يمسّنا، لكن مَن يستولي على الأرض يستولي على ولائنا». سأله وليد بتهكمٍ حاول أنْ يداريه: «تعني أنّكم عبيدٌ لمالك الأرض؟!». ردّ الرجل بحزم: «كلّا، ليس في قارتنا عبيد، نحن نعمل ونتقاضى أجرًا، ونساؤنا ملك لنا، وليس لسيد الأرض، من حقّه أن يتخذ زوجة مِن بناتنا لغرض الإنجاب ليكثرَ من ذريته، إذا أنجبت تصيرُ زوجة دائمة في قصره، ويتحرّر أبواها من الخدمة، وإن لم تنجبْ تعود لأهلها وتتزوّج ثانية إذا شاءت». أثار الكلامُ دهشة وليد أكثرَ، فسأل في فضولٍ ويدُه تتراخى عن الرافعة: «وهل تقبل أن تتزوّج امرأة كانت في بيت السيّد فترة؟!». قال الرجل: «لا تتوقّف عن العمل؛ لو رآك المشرف فسيعاقبك». عاد وليد لتحريك الرافعة بقوّة، فابتسم الرجلُ في رضا وأكمل: «لا أفهم ما المانع!، زوجتي مثلًا تزوجت مرتين قبلي؛

لم أكنْ أنا زوجَها الأول، إذا قرّر الرجل أو المرأة إيقافَ زواجهما، يعود كلّ واحد منهما لكوخٍ صغير، ويتزوّج ثانية، هذه هي سنة الحياة». بدا على وجْه وليد عدم الاقتناع فسأله الرجل: «هل عاداتُ الزواج لديكم في القارة الغربية مختلفة؟». قال وليد باقتضاب محاولًا إنهاء الحديث: «نعم، بعض الشيء».

شعر وليد باهتزازٍ في مكانِ سوار ذراعه، كان اتّصالًا من دالا، وكان من المفترض أن يتلقّاه حين يكون وحيدًا،لم يكنْ بمقدوره الابتعادُ عن العمال فقد فعلَها مرّة، ولا يمكنه أن يكرّرها الآن، فكّر أن ينتظرَ حتى يحين وقتُ راحته لكنّ الاهتزاز استمرّ في إلحاح، فكّر قليلًا ثمّ تظاهر أنّه يحكّ ذراعه وفتحَ الاتّصال.. «حولي الكثيرون ولا أستطيعُ التحدث». قالها بالعربية بصوت منغّم كأنّه يغني فسأله أحدُ العمّال: «ماذا تقول؟». ردّ عليه: «أغني بلغتي الأمّ لأسلّي نفسي».

وصلَ كوخه في منتصف اليوم، جلسَ على فراشه، وأمر لوزًا بأنْ ينتظر خارجًا، طأطأ لوز رأسه، ودلّى أذنيه، وبدا أنّه لا يريد الخروج، أو ربّما شعر أنّ وليدًا يطردُه من الكوخ، فقال له: «أطعم الشاوا وأحضرْ لها الماء». هزّ لوز رأسه وفرَدَ أذنيه ثانية، وخرج يتقافز. أغلق الباب ثمّ ضغطَ سواره في نقاطٍ متوالية بتتابع معيّن، وانتظر قليلًا، جاءه ردّ دالا.. «أين كنت؟». سألته بغيظ، فقال: «كنت

أروي الأرض، والمشرفُ والعمال عيونُهم علي، أين أنت؟ ومتى ستأتين؟». قالت: «لن أنضمّ إليك الآن، أريدك أن تسمعَني جيدًا».زفر في ضيق وهو يستمعُ لسيل الأوامر الذي انْهمر على أذنيه، وتفاصيل الخطّة التي أعادتها عليه مرّةً أخرى. قال لنفسه: «مشرف في الحقل، ومشرفة من كوكب آخر، ومشرف تمريض في مستشفى الحسين، ومشرفة في مستشفى آخر، أكثرُ شيء أمتلكه في حياتي هو المشرفون».

دالا تركتْ رقاقة تتنصّت بها على هادو الرجل الذي كلّفته باختطاف كيمان، كان الهدف أن تعرفَ متى سيحاولون اختطافَه كي يتواجد وليد في نفسِ التّوقيت في الحقل مع كيمان. الهدف كان اكتشاف حرّاسه، وهل هُم من المنظمة، أم مرتزقة عاديون، وإذا كان الحرسُ من المنظمة فهل فيهم واحدٌ من أصحاب الجين الفائق. كانت استجابةُ الحراس لمحاولة الاختطاف هي ما سيحدّد ردَّ فعل وليد، وهل سيتعاونُ مع الخاطفين، أم معَ الحراس، وهو ما سيحدّد خطوتهم القادمة في التعامل مع كيمان.

-١٣-

«لستِ كبقية الدرابيات يا فيكا، أخبريني ماذا وراءك». قال كيمان وهو يحدّث زوجته الجديدة أثناءَ العشاء، لكنّها لم تردّ كالعادة، ابتسمتْ فيكا بدبلوماسية،وشكرته بأدبٍ، فقال بغيظ: «لماذا تشكرينني، لماذا أشعرُ أنّ هناك جبلًا بيني وبينك؟!». قالت وهي تكسو وجهها بأوْسع ابتسامة تقدرُ عليها:»سيدي كيمان، أنا خادمتُك، وكلّ أمنيتي أن أنال رضاك».

هزّ رأسه في غيرِ اقتناع، كان يشعر بالسّخطِ الشّديد في أعماقه من فيكا، تلك الفتاة التي لا يبهرُها شيء كبقيةِ بنات قبيلتها. كلّ واحدةٍ منهنّ تنبَهِر بما في قصره من النعم، الأكل الذي لم تذقْ مثله يومًا، أنواع من الفاكهة التي لا يحقّ للدرابيين تناولُها إلّا في أحلامهم، خادمات يساعدْنَها في كلّ شيء، فراشٌ حريري ناعم الحشوة يختلفُ عن الفراش الخشن الذي اعتادته في بيتها. كلّ فتاة قبلَها دخلت قصره كانت تصرخُ في سعادة مع كلّ نعمةٍ جديدة، لكنّ تلك الفتاة، فيكا، لا يظهرُ منها إلّا الشكرُ المهذب الشبيه بردّ آلي على جهاز حاسوب شخصي.

«سوف آخذُك الليلة في رحلةٍ لن تنسيها». قال لها وهو يتأمّل ردَّ فعلها، لاحظ أنها انتبهت بصدقٍ للمرّة الأولى، وبدا على صوتِها الترقّبُ وهي تقول: «حقًّا يا سيدي؟!».

فقال: «نعم، بعد طلوع القمر سوفَ أجعلك تطيرين». ضحكتْ لأوّل مرةٍ وقالت: «أنت تمزح يا سيدي». قال لها: «سوف ترين». توتّرت ملامحها حين لمحتِ الجدّ في كلامه، فسألته: «هل تسخّر الأرواح يا سيدي، أو لديك ساحرٌ يخدمك؟!». ضحك وقال لها: «كلّا بالطبع يا فيكا، بعد ساعات ستفهمين قصدي».شكرته بأدبِها المعتاد، ممّا أثار غيظه ثانية،وأقسم بينه وبين نفسه أنّه سوف يرميها لأهلها إنْ ظلّت على برودها ذلك.

في المساءِ أخذها من يدِها، وضعَ عصابة على عينيها، جفلتْ وهي تسأله عن سبب وضع تلك العصابة، شعرَ أنّها توشك أن تنخرطَ في البكاء فقال لها: «اطمئنّي، لست من هؤلاء السادة الذين يعذّبون الفتيات، أو يلحقون بهنّ الأذى، ولابدّ أنّك عرفتِ هذا عني». أومأت برأسها موافقة فقال: «إذًا، لا تخافي، أغمضي عينيك ودعيني أريك العجب».

فتحَ بابَ الغرفة السرية، غرفة التقنيات الحديثة التي حذّره مسئولو المنظمة من أنْ يراها أحد من النّاس المحليين، لم يهتمّ بهذا التحذير وهو يُدخل الفتاةَ للغرفة، ويُجلسها في مقعد، ويجلس جوارها ثمّ يضغط رافعةً فتتحرّك المقاعد، تنتقل بآلياتٍ معقدة إلى ما يشبه الحظيرة. يزيل العصابةَ من على عينيها، ترى الفتاةُ نفسها في حظيرةٍ فيها عربة ذات حصانيْن، عربة مرتفعة لا يوجد مثلها في سارتا كلّها، وأمامها كان يمتدّ طريقٌ بين الحقول.

ساعدَها لتركب العربة، وقد بدأ الانبهارُ يظهر على ملامحها أخيرًا، قالت: «سيدي كيمان، هذه العربة أكبرُ من عربة الأمير التي يطوفُ بها على الحقول يومَ العيد». أضحكه قولُها، وأطفأ غيظَه قليلًا، فقال بزهو: «هذه العربة لا يوجد مثلها في سارتا كلّها، ولا حتى الملك نفسه، هل رأيتِ أحدًا يربط الأحصنة لعربةٍ من قبْل؟!». هزّت رأسها نفيًا، وهي مازالت تتأمّل العربة. أخذ يدَها، عاونها على صعودِ العربة وصعدَ معها، ثمّ أمسك لجام الأحصنة وتحركت العربة بهدوء أوّلًا، ثمّ بدأت سرعتُها تتزايد شيئًا فشيئًا، حتى صار الهواءُ يلفح وجهها بعنف، وبدأت فيكا تتمسّك بذراعه بقوّةٍ، خائفةً من السقوط، ربّت على كتفها وقال: «المغامرة الحقيقية لم تبدأ بعد».

قبلَ أن تسأله حرّك رافعةً إلى جواره فانفتحت جوانبُ العربة وخرجتْ منها أجنحة عريضة، ثمّ بدأتِ العربةُ بالارتفاع عن الأرض مسافة متريْن تقريبًا. صرخت فيكا من فرط الإثارة، وتمسّكت بكيمان أكثر، وهي تسترجع حكاياتٍ سمعتها عن عربات ذات أجنحة تجرها الأحصنة حتّى تطير بها عن الأرض قليلًا، وسمعت- أيضًا- أنّ هذه العربات قتلت أميرين من قبل، وأن الملك منعَها تمامًا، لكنّ بعضَ السادة يستخدمونها سرًّا.

هتفتْ بصوتٍ عال: «سيدي، هل يمكن أن نسقط، أنا خائفة». ربّت عليها مطمئنًا وهو يقول لها ألّا تخشى شيئًا

طالما هي معه، ثمّ جذب رافعةً أخرى فارتفعت العربةُ أكثر. كانت تكنولوجيا العربةِ حديثةً لكنّها متخفّية في شكل عربةٍ بدائية، حاول بعضُ الناس استخدامها للطيران، لكنّ المشكلة أنّ الأحصنة كانت تُصاب بالإجهاد، أو يسقط أحدُها متعَبًا فتتوقّف العربة فجأة وتسقط. طلبَ كيمان من المنظّمة تصميمَها بحيث تطير بقوةِ دفْع متقدمة، لكنّها تبدو لمَن يراها أنها تلك العربةُ البدائية الشهيرة التي تسبّبت في موت وإصابةِ العديدين. كان الحصانان يجْريان بسرعة معقولةٍ لا تجهدهما، وفي نفس الوقت تكفي لإيهامِ فيكا أنّ عدوهما هو سبب الطيران.

كانت العربةُ تطير بشكلٍ هادئ طمأن فيكا، وجعلها تتحدّث معه دون خوف من السقوط. ارتاحتْ في جلستها، وانقشعت عنْ وجهها غمامةُ الجدية والتّسليم والودّ المصطنَع. تحولت الخادمةُ المطيعة المستكينة- صاحبةُ الابتسامة الدبلوماسية- إلى فتاةٍ مبتهجة تنبض بالحياة وهي تنظرُ حولها فترى الحقولَ في ضوء القمر الهادئ تتمايلُ مع النسيم الليلي الخفيف، وترى سيدها يجالسُها بودٍّ حبيبٍ يطلب الوصال.

سألتْ في تردّد: «هل أخذتَ أحدًا قبلي في جولةٍ كهذه؟». قال لها: «كلّا». فقالت: «لماذا أنا؟». اتّسعت ابتسامتُه وهو يقول لها: «لا أدري، هناك شيء يحيّرني فيك لا أعرف ما هو!». فقالت مُرتبكة: «أعتذر لك يا سيدي لم أقصدْ

أن.....». قاطعها قائلًا وهو يضغط بيده على زرّ خفي يسمحُ بهبوط العربة تدريجيًّا: «لا تعتذري، أريدُ منك أن تحدّثيني على طبيعتك، اعتبريني زوجًا عاديًّا من قبيلتك، وليس زوجًا من السادة». فقالت بتردّد: «هل هذا ممكن؟، أخشى أنْ أسيء الأدبَ دون أن أشعر».

وصلتِ العربة ثانية، عادَا إلى غرفته بنفس الطريقةِ وهي معصوبة العينين، كانت لأوّل مرةٍ على طبيعتها؛ فتاة كأيّ فتاة، سألها عن سبب تحفّظها السابق، فقالت: «أنت سيد، وأنا مجرّدُ فتاة درابية عادية، أعرفُ أنّه لن يكون لي قيمة في هذا البيت أكثرَ من خادمة، إلّا إذا استطعت أن أنجبَ لك، كنت أعرف أن كلّ هذه النعم التي تبهر كلّ الفتيات مجردُ نعَمٍ مؤقتة لا تستحق أن أستمتعَ بها لأنني إذا فعلتُ فسوف يُصيبني ما أصاب الفتيات الأخريات». سألها عنهنّ، فقالت: «تقضي الواحدةُ منهنّ أيّامًا طويلة لا تُطيق حياتها، لا تستريحُ في فراشها المصنوع من القشّ بعدَ أن نامت على فراشِك الناعم، لا تستطعمُ أكلَنا ولا شرابَنا، ولا تطيق أهلها ولا حيواناتها، لم أكنْ أريد أنْ أصير لما صرنَ إليه».

أعجبه منطقُها، وشعر لأوّل مرةٍ أنّ هناك شخصًا يستحقّ أن يكون رفيقًا له في هذا الكوكب. كانت خططُه الطموحة للحُكم، وتوسيع النفوذ دومًا، ينقصها وجودُ إنسانٍ إلى جانبه يشاركه ذلك الطّموح، لم يكنْ هذا يعني- بالطبع- أنه

سيُطلعها على خططه، أو سيخبرها أنّه من زمن مختلفٍ وكوكبٍ مختلف، لكنّها صارت مؤهّلةً لذلك بعدَ فترة ما قدْ تطول أعوامًا.

سألها: «ما الذي جعلَكِ اليوم تتخلّين عن هذا التحفّظ؟». قالت: «أنّك عاملتني بطريقة مختلفة عنهنّ، وأخذتني في مكانٍ سريّ خاصّ بك، أنا أعرفُ أنّ الملك منعَ استخدام تلك العربات، أنت أطْلعتني على هذا السرّ، وطرتَ بي في السماء». كانت تعني السماءَ حرفيًّا ومَجازيًّا، تعني أنها طارت جسدًا وروحًا.

صارحتْه بأنّ أكثر ما كانت تخشاه هو أنّه شابّ يستحقّ أنْ تحبه أيُّ فتاة، وأنها لم تكن تخشى التعلّقَ بالنّعم الموجودة في قصره أكثرَ ممّا كانت تخشى التعلقَ به هو، أن تصير تلك الفتاة التي أحبَتِ السيد الذي لم يفتحْ لها قلبه يومًا. «أغلبُ الفتيات لا يقعنَ في حب السادةِ لأنّ السيد غالبًا يكون رجلًا كهلًا أو بغيضًا، لكنّك سيدٌ مختلف، أحيانًا تكون قاسيًا مع العمال في الأرض، أو عنيفًا، لكنّ الكثير من السادة هكذا، فذلك طبعهم المعتاد، لكنّك دومًا تعامل الفتياتِ بتهذيب يندر وجودُه بينهم، وهذا وحده كافٍ لأنْ تقع الفتاةُ في حبك، وهو شيء مرعب للدرابيات أمثالنا اللّواتي لا يحقّ لهنّ حبّ سيّدٍ مثلك».

سألها وقدِ انفتحتْ لها في قلبه دروبٌ كثيرة لتسلكها: «إذًا، أنت الآن لا تخشين أنْ أتركك إذا لم تنجبي؟».

فقالت: «لابدّ أن أخشى هذا، لكنّ السعادة التي أشعر بها الآن تستحقّ المخاطرة». سألها ثانية: «إذًا، لماذا تستنكرينَ على الفتيات الأخريات السعادةَ التي كنّ يشعرنَ بها من وجودهنّ في القصر؟». فقالت: «لأنّ السعادة في حبّ رجلٍ مثلك تستحقّ المخاطرة، فهي أكبرُ بكثير من السعادة التي تسبّبها الحياةُ في قصر، والتمتع بالنعم الموجودة فيه». تأمّلها وهو يهزّ وجهَه الذي كسته ابتسامةٌ عابرة، وقال: «مَن أنت بالضّبط؟». ضحكت وقالت: «أنا فيكا، خادمتك يا سيّدي كيمان».

-١٤-

«مالكَ مشغول؟». همست يارا تسأل وليدًا وقدْ لاحظت شرودَه منذ أن وصلَا للمستشفى. كان العملُ هادئًا، ليس هناك عمليات جراحية تتطلّب وجودَه للعمل بها، وكانت هي في القسم الداخلي، والمرضى لديها بخير. قال لها: «لا شيء». ألحّت في السؤال، وأقسمت عليه ألّا يخفي عنها شيئًا إنْ كان ثمة ما يعكّرُ صفوه. أقسمَ لها أنّه لا يخفي عنها شيئًا، لكنّ صوته كان منخفضًا متردّدًا وهو يتحاشى النظرَ لعينها، وهو ما جعله يشعر أنّهالم تقتنع بصدقِه.

«أنا أيضًا أحبّك». قالتها وهي تجمعُ بقايا الطعام في كيسٍ معها، وتتحاشى النظر إليه. كانت أول مرّةٍ تردّ له الكلمة منذُ قالها لها، احمرّ وجهها خجلًا، واحمرّ وجهه أيضًا، ولم يستطع التحدث، فقط كانت أنفاسُه تعلو وتهبط سريعًا، وفكّر لحظتها أنْ يصارحها بكلّ شيء حتّى لو اتهمته هي بالجنون، ولو أثار غضبَ رمزي والهيئة كلّها.

قالت إنّها لن تضغطَ عليه في محاولة معرفةِ ما يشغله، وهو ما جعله يشعر بالضيق من نفسه أكثر، قاطعتهما فتاةٌ سمراء في العشرينيّات قائلة: «آنسة يارا، أمّي تشعر بصعوبة في التنفس». قامت يارا معها وهي تطلبُ منه أن ينتظرها، لم تمضِ دقيقةٌ حتى جاءت العاملة تقول: «أستاذ وليد، آنسة يارا تقول لك اطلبْ طبيبَ العناية المركزة،

المريضة توقّفت عن التنفس». هبّ واقفًا منْ فوره، وأمرَ العاملة أن تطلبَه هي، وجرى نحوَ الغرفة وهو يدفع أمامَه عربة الطوارئ.

كانت يارا واقفةً تحاول إجراءَ إنعاشٍ للمريضة، وتضغط على صدرها. أوقفها وليد فقد كانت ضغطاتُها ضعيفة غيرَ مُجدية، بدأ هو يضغط صدرَ المريضة بقوةٍ كافية مرات متتابعة، ثمّ يمسك بالونًا تنفّسيًّا ويدفع به الهواءَ في فمها، شرح ليارا كيف تدفعُ الأنفاس لفمِ المريضة بشكل فعّال، وعاد هو يضغط صدرَها بقوّة.

مرّت دقائقُ وهو يضغط صدرَ المريضة حتى عادتِ العاملة وهي تقول: «طبيب العناية المركزة في الطوارئ يُجري إنعاشًا لحالةٍ هو الآخر». قالت يارا بيأس: «المريضة لن تعاودَ التنفس يا وليد، والهواء يتسرّب ولا يدخل صدرَها، ماذا أفعل؟!». هتف بها آمرًا إيّاها أن تلصق قناعَ الهواء بوجه المريضة جيدًا، وتدفع الهواء في فمِها، واستمرّ يضغط صدر المريضة،والوقت يمرّ، والطبيب لم يأتِ بعد.

مرّ ربع ساعة كاملة، وبدأتْ يارا تشعر بالذهول،فضغطُ صدر المريض أثناء الإنعاش أمرٌ مُجهد جدًّا، ولا أحدَ يقوم به أكثرَ من دقائق معدودة، ثمّ يطلب من أحدٍ أن يكمل مكانه، لكنْ وليد ظلّ يضغط صدرَ المريضة بفعالية أكثرَ من ربع ساعة، وكانت نسبة الأكسجين في دم المريضة تتحسّن، وكأنّ قلبها هو الذي ينبضُ بالفعل. وصل طبيبُ

العناية المركزة أخيرًا، أعطى للمريضة أدوية، وصعقَ قلبَها مرّة حتى عاد نبضُها ينتظم، وقام بتركيب أنبوبٍ تنفّسي لها، وأمر بنقلها للعناية المركزة.

«ما هذا؟!» قالت يارا بإعجابٍ بعدَ أن تمّ نقلُ المريضة، وجلسا وحدهما ثانية، نظر لها وليد مستفسرًا، فقالت: «أنتَ لم تشاهد نفسك، كأنّ هناك عفريتًا ركَبَك، ألم يوجعك ذراعاك؟!». ارتبك وقال لها: «أنا أذهبُ إلى مركز رياضيّ باستمرار». نظرت إليه مليًّا ثمّ قالت: «لماذا أشعر أنك تكذبُ في هذه أيضًا!.. هل تتناولُ منشّطات؟!». أقسمَ نافيًا بإصرار وهو ينظرُ في عينيها ما جعلَها تغيّر نظرتها وتقول: «لكنك كنتَ مُذهِلًا بحقّ. المريضةُ على قيد الحياة بفضل مهارتك». كان يتمنّى أن يقول لها إنّه الجين الفائق هو ما يجعل حواسَّه شديدة الدقة، وأنّه يستطيع القيامَ بأشياء كثيرة لم يتخيّلْ أنّه سيقوم بها.

بعدَ أن اختلى بنفسه فتحَ اتصالًا برمزي، وسأله عن إمكانية أن يخبر يارا بسرّه، جاء الرد كما توقّع بالرفض الشديد والاستنكار أيضًا، وأنّ معرفة هذا السرّ ليس في صالحها، فقال بهدوء: «إذًا، سوف أنسحبُ من العمل معكم بعدَ إتمام تلك المهمّة». فقال رمزي في ضيق: «هذا الكلامُ سابقٌ لأوانه، دعْنا ننهي مهمّتنا الحالية أوّلًا».

جلسَ في كوخه بعدَ عودته إلى دشان يفكّر في خطوته التالية، وما إذا كان العملُ مع هؤلاء الناس يستدعي كلّ

هذا العناء، هل يستحقّ أن يعيش حياةً مزدوجة بهذا الحجم. الأمر ليس فقط كما يحسبونه، لا يتعلق فقط بازديادِ عمره، لكن- أيضًا- بتزاحم المشاعر عليه أكثر مما يحتمل. وقفَ «لوز» أمامه ينتظر منه أن يكلّفَه بمهمةٍ ما، قال في نفسه إنّه سيفتقد هذا الكائن كثيرًا حين يتمّ مهمته، ويبتعدَ عن هذا الزمان والمكان. اقترب لوز منه، ومسح وجهه في يده، وكأنه شعر بما يعتملُ في نفسه، ثمّ نظر إليه وهو يستأذنُ للخروج، فقال له: «لا تتأخر».

غابَ لوز بضعَ دقائق، ثمّ عاد إليه وفي يده حيوانٌ صغير بحجم الضفدعة، في قفصٍ خشبي في حجمِ كرة يد. نظرَ وليد بامتعاض وهو يقول للوز: «ما هذا القرف يا لوز؟!». هزّ لوز يده بطريقةٍ توحي أنه يطلب منه الانتظار، ثمّ أدخل أصبعَه في القفص وخبطَ برفق على رأس الحيوان، انتظرَ لحظة، لم يحدث شيء، ربّت ثانية ولم يحدث شيء، فقام بالقفز خارجًا، ومدّ يده في التراب ثمّ عاد، كان في يدِه دودةٌ مدّها للحيوان فالتقطها بلسانه وبدأ يمضغها، كلّ هذا ووليد يراقبُه في ذهول وغيظ دونَ أن يتكلم. حين ابتلع الحيوانُ وجبته ربّت لوز على رأسه ثانية فأطلقَ الحيوانُ صفيرًا منغّمًا جميلًا، ثمّ نظر لوز لوليد وهو يهزّ رأسَه ويديه مع النغم.

ظلّ وليد يقلب نظرَه مُندهشًا بين لوز والحيوان، وقد اتسعت ابتسامته وهو يقول: «أنت مشكلة، أنتَ أعقل من نصف الأشخاصِ الذين عاشرتهم». توقّف الحيوان عن

العزف، فقفز لوز ثانية وأطعمَه دودةً أخرى، وربّت على رأسه، فبدأ يعزف ثانية. فرَدَ وليد ظهرَه على الفراش وأخذ يستمتعُ بصوت النغمة وهو يحاولُ أن يغرق في النوم.

أيقظه ارتعاشُ سوار ذراعه، ضغطَ عليه فجاءه صوتُ دالا تنبّهه أنّ محاولة اختطاف كيمان سوف تتمّ، وأنّه ينبغي عليه أن يتواجدَ بالقرب منه ساعتها. «ينبغي أن تذهبَ إلى حقل الألياف، سوف يقومون بالمحاولة غدًا بعد الزوال حين يتبدل اتجاهُ الظل، كنْ قريبًا، لو بدأ حرّاسُ كيمان في التغلب عليهم قمْ بالدّفاع عنه وساعدِ الحراس، لو استطاعوا اختطافه قمْ بتتبّعهم». فقال: «كيف أتتبّعهم، الخطة لم تكنْ كذلك؟!». فقالت بحزم: «الخطة تتغير حسبَ الظروف، قم بتتبعهم فقدْ يتبعهم حراسُ كيمان، وتقوم بينهم معركةٌ أخرى، وقد ينجحون في اختطافه، ثمّ يحاولون الاحتفاظَ به ومساومتي عليه ثانية، أمّا كيف تتبعهم فهذا قرارُك، اتْبعهم جريًا، أو اختطف حصانًا أو بغلًا، المهمّ تصرفْ».

-١٥-

أبصر وليد عربةً تتهادى بين الحقول، يجرّها حيوانان سميكان أشبه بالحمير،لكن في البدانة والطولِ كانا أقربَ للبقر. كان في العربة كيمان بشَعْره الأسود، وقامته المديدة، وأنفه المدبّب، وعينييه العسليتين الواسعتين، وإلى جواره جلستِ امرأةٌ شاحبة اللون، لكنْ مليحة القسمات، طويلة الشَّعْر، وقد ارتدتْ زيًّا مزيّنًا بشرائطَ تمتدّ من الكتف حتى الوسط. «انظر يا أونات، إنها أوّلُ مرةٍ تركب فيها فتاةٌ درابية في عربة السيد». همست امرأةٌ بحسدٍ واضح وهي تحدّث وليدًا (أو أونات) الذي سألها باهتمام: «ما اسمها؟». قالت بذاتِ اللهجة الحاسدة: «اسمها فيكا، فتاة مجهولة، أتت إلينا من إحدى القرى البعيدة، انظر لقد سحرت الرجل».

تأمّل وليد المنظرَ دون أن يهتمّ بكلامِ المرأة؛ فقد كان يشغلُه عددُ الحراس الموجودين حول كيمان، كان أقربهم أوزلو، وهو قائدُهم، يركب فرسَه الكبير، ضخمُ الجثة، غليظ الملامح، قريبُ الشبه بالرجل الذي حاولَ أن يقتله حين بدأتْ كلّ هذه الأحداث. كان هناك حارسان آخران؛ واحد يقف أقربَ للعمال، وواحد يقف عند الطريق، وقد ربط كلّ منهما حصانَه بالقرب منه.

كان كيمان على عربته يحدّث الفتاة بحماس، ويشير إلى

الحقول والمزارعين، والفتاة عينها معلّقة بوجهِه تستمعُ إليه بكلّ حواسّها، وقد ملأتِ السعادة ملامحَها الرقيقة. تأمّلهما وليد وهو يفكّر في ما لو كان هو ويارا في العربةِ بدلًا منهما. كانا لا يبدو على كيمان أيُّ شرّ في وقفته تلك، مجرّدُ شابّ غني يستمتع بوقتِه مع امرأته، ويحاول إبهارها، كما يحاول وليد أن يفعل مع فتاتِه. طال تأمّلُه حتى لاحظَه كيمان فأشار إليه آمرًا إيّاه بالقدوم.

«ذكّرني يا ولد، ما اسمك؟». قال كيمان بغطرسةٍ أزالت من وليد ذلك التّعاطف الذي شعر به نحوَه منذ قليل، فأجاب بتزلّف مصطنَع: «اسمي أونات يا سيدي». فقال: «أحضر حفنة من الألياف من عربتِك لأريَها لسيدتك». ذهب وليد لإحضارِ الألياف فهتف به كيمان ثانية: «أسرع قليلًا أيها الملعون، أم تريدُ وخزةً في قفاك!». أسرع وليد الخطى وهو يُقسم أن يلقّن هذا المتعجرفَ درسًا لن ينساه بعدَ أن يقبض عليه، وأخذ يفتّش بعينيه عن الخاطفين الذين يفترض أنْ يظهروا الآن.

تغيّر اتجاهُ الظل للتّو بعدَ أن مالت الشمسُ نحو الغرب، لم يكن الجوُّ حارًّا، وكانت الشمس تبدو لعينِ وليد أقلَّ التماعًا وحرارة من شمسِنا. اقتربَ من كيمان بحفنةِ الألياف ومدّها نحوه وهو يحْني رأسه قليلًا كما العادة، أخذَ كيمان الألياف، وبدأ يعرضُها على فيكا، ويطلب منها أن تتحسّس نعومتها، وتجذبها بيدِها لتشعرَ قوّتها. تحرّك وليد مبتعدًا

نحو عربته، لكن كيمان هتف بغلظة: «هل أنت أحمق!، أنا لم أأذن لكَ بالتحرّك». شعر وليد بالغضبِ يتصاعد داخله، وشعر أنّه على وشكِ جذبِ كيمان من على عربته، وإسقاطِه أرضًا، وضربِه علقة كالتي ضربَها للّص الذي سرق هاتفَه من فترة.

علتْ وجهه نظرةٌ متحدّية وهو يقترب من كيمان قبلَ أن يسمع صرخة عالية، ويرى أوزلو يسقطُ من على فرسه وقدْ طعنه أحدُهم فجأة. في ناحية الطريق كان هناك ملثّمٌ يهاجم الحارس الآخر، ومن وسط الحقل ظهرَ ثلاثة يجرون بسرعة نحوَ العربة، وفي أيديهم سيوف قصيرة عريضة. اعتدل كيمان وحاولَ أن يمسك بلجامِ العربة لكنْ عاجله أحدُهم بضربةٍ من سوط طويل جعلَه يصرخ من الألم.

قبلَ أن يتحرك وليد فوجئ بخنجرٍ يطير نحوه، تفاداه في آخر لحظة، ثمّ ما لبث أنْ وجد السوط يهوي على وجهه. كان بإمكانِه القفزُ في الهواء، وتفادي الضربة، وإمساك المهاجم، وإسقاطه أرضًا في حركة واحدة؛ لكنّ هذا كان سيثير الشكّ، فاكتفى بتغطيةِ وجهه، وتلقّي الضربة على ذراعه، وهو يئنّ من لدغتها. في ناحية الحقل كان الحارسُ الثالث قد سقط على الأرض من وقع ضربتيْن مُتتاليتين، وأوزلو كان يصارع اثنين في وقتٍ واحد، وهو يتحرّك بسرعة وعنف، وكأنه لم يتلقّ طعنةً منذ قليل.

اشتبكَ كيمان مع واحدٍ من المهاجمين قبلَ أن يقفز من

العربة وهو يصرخ قائلًا: «فيكا، قودي العربةَ نحو البيت». فهتفتْ مُعترضة: «كلّا، لن أتركك يا سيدي». صرخ ثانية بالمشرف الذي كان يقفُ على مسافة قريبة: «شنتو، خذْها للقصر حالًا». كان شنتو مسَمّرًا في مكانه يتابع ما يحدث، وكأنّه يشاهد فيلمًا مفزعًا. حين سمع نداءَ سيده انتبه أخيرًا، وقفز نحو العربة وضرب الحيوانيْن يحثّهما على الحركة وسطَ اعتراضات من فيكا التي ظلّت تنادي على كيمان في فزع.

لم يحرّكْ أحدٌ من العمال ساكنًا، كانوا خائفين مأخوذين بما يحدُث، بدأت المعركة تميلُ نحو كفة كيمان وحرّاسه بعدَ أن تغلب هو على أحدِ الخاطفين، وأسقط أوزلو اثنين، وكان وليد يصارع أحدَهم بطريقةٍ أظهرت أنه يدافعُ عن نفسه فقط. فجأة ظهرتْ من بعيد عربةٌ كبيرة يجرّها ثلاثةُ أحصنة كبيرة (الأحصنة في سارتا كلها كبيرة، ارتفاعها قربَ المترين، وجسدها كتلة عضلية متحركة، إلّا أنّ تلك الأحصنة كانت كبيرةً أيضًا بمقاييسهم). كان على العربة خمسة ملثّمين نزلوا منها وهي تجري، انقضّ ثلاثة منهم على كيمان، فأمسكوا به، وبدأوا بتقييده بحبال غليظة،وهجم واحدٌ منهم على أوزلو فضربَه بعصا غليظة على رأسِه، وهو منشغلٌ بقتال آخر، فسقط مغمًى عليه.

ألقى الرجالُ كيمان في العربة، ثمّ بدأوا يقفزون فيها على التوالي، حتى ركبوا جميعًا، ثمّ انطلقت العربةُ تنهب الأرضَ

نهبًا، بسرعة لا يتخيل أحدٌ أن تنطلق بها عربةٌ تجرّها الأحصنة. نظر وليد يمينًا ويسارًا يبحث عن حصانٍ يلاحقهم به. كان حصان أوزلو الأقرب إليه، لكنّه لحدْسٍ في نفسِه اختار حصانَ الحارس الثاني القتيل، وقفز فوقَ ظهره وهو يلكزُه بقدمه ليجري سريعًا.

كانت العربة تكاد تختفي عن نظره، وهو يبذل جهدَه ليجعل الحصان يلحق بها، وكان الحصانُ يطيعُه باذلًا جهده كأنّه يعرف مهمتَه. انطلقت العربةُ في الطريق بين الأكواخ التي تقع على أطرافِ الحقول، ووليدُ خلفها. رأى لوز وليدًا قادمًا فوق الحصان فأصدر صراخًا خفيفًا لفت انتباهَ وليد، فنظر نحوه فوجدَه يقفز ناحيته ليقابله. صرخ وليد محذّرًا إيّاه، وقد تخيّل أن الحصانَ سوف يدهسه، لكن لوز قفزَ بكلّ رشاقة وتمسّك برِجْل وليد، ثمّ تسلق عليه وجلس خلفه على الحصان.

لعنَه وليد في سرّه، وقد شعر بالفزعِ لحظةَ أنْ أحسّ أنّ الحصان سيقتله. «ماذا تفعل، عدْ للكوخ» هتفَ وليد وهو يزيدُ من سرعة الحصان حتى لا يفقدَ العربة، لكنّ لوزًا تجاهل أمرَه للمرة الأولى منذُ تقابلا. أبطأ وليد من سرعةِ حصانه، وجذب لوزًا من ذراعه، وهتف فيه بقوة: «قلت لك عدْ للكوخ، وإلّا ألقيت بك بنفسي». ثمّ دفعه برفق، فقفز لوز مِن على الحصان، وعلى وجهه أماراتُ الحزن.

انطلقَ وليد مسرعًا ثانية، وقد صارت العربةُ بعيدةً للغاية

عن عينيه، ربّت على عنق حصانه وهو يحثّه على الانطلاق، وبالفعل بدأ الحصان يسرعُ أكثر، ويقترب من العربة، إلّا أن المسافة ظلّتْ بعيدة، وهو شيء في صالح وليد؛ حتّى لا يشعر قادةُ العربة أنه يطاردهم. انتهت منطقة الأكواخ، ثمّ اندفعتِ العربةُ في طريقٍ بين حقول أخرى، ثمّ أكواخ أخرى، ثمّ في النهاية اندفعت في طريقٍ تحيطه أحراشٌ من الجانبين، وهي بدايةُ الأرض الجرداء من الناحية الجنوبية.

شعرَ وليد أنّ المهمةَ على وشك الانتهاء، فالخاطفون يبدو أنّهم متوجهون بالفعل نحو منطقة لقائهم التي حدّدوها مع دالا. سوف يصلُ بعدهم مباشرة، ويجدها في انتظارهم، ويشارك معها في استلامِ كيمان وإعادتِه. غيرَ أنّ الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن فقد قامَ الخاطفون بالانحراف جانبًا، وسلكوا طريقًا آخرَ بين الأحراش يتّجه نحو تلّ الظلال، وهي منطقةٌ مليئة بالكهوف التي تشبه المتاهات. هدّأ من سرعةِ حصانه ثمّ ترجّل من عليه وبدأ يمشي حينَ لاحظَ أنّ العربة تمشي بصعوبة، وبينما هو يتابعهم بكلّ تركيزه سمع صوتًا يقترب من خلفه.

-١٦-

التفتَ وليد خلفه فوجدَ حيوانًا يشبه تمساحًا نيليًّا، طوله متران، أقدامُه كبيرة غليظة، ترفعه عن الأرض قليلًا، وتكسبه منظرًا أقربَ لتنّين الكومودو. كان التمساح يقترب منه فاتحًا فكّيه الطويلين، اللّذيْن تراصت أسنانهما الحادّة كأنّها جنود تتأهّبُ لمعركة. فكّرَ أن يجري فقدرتُه على العدْو صارت فائقة. التفتَ وبدأ يجري لكنّه وجد تمساحيْن آخريْن يخرجان من الأحراش، ويقفان في مواجهته. توقّف والتفتَ أمامه وخلفه، فرأى نفسه مُحاطًا بتلك التماسيح، والعربة التي اختطفوا كيمان فيها تبتعدُ عنه رغمَ أنّها مازالت تمشي ببطء.

فكّر أنْ يدخل وسطَ الأحراش ويعْدو أسرع، ثمّ يعود للطريق حين يتجاوز التمساحين، عاد وقال لنفسِه لابدّ أنّ الأحراش تعجّ بالمزيد منهم. وقف متردّدًا والثلاثة يقتربون منه ويُطبقون عليه الخناق، قفز داخلَ الأحراش بعد أن قالَ لنفسه إنّه يفضل الهربَ من خطر محقّق يراه أمام عينيه لخطرٍ مُحتمل أن لا يكون موجودًا.

دخلَ بين سيقان النباتات التي تشبه البوص لكنْ بأوراق متشعبة، دخل الثلاثة خلفه يدفعون النباتاتِ بأجسامهم المدرّعة بسهولة، بينما هو يعاني من خدوشها. اندفع بين النباتات مسافة أطولَ ممّا خطّط حتى وجد نفسه يخوض

بقدميه في وحلٍ وماء، كان قد دخل مستنقعًا، وكان المضيُّ في ذلك الطريق أكثرَ خطورة كلّما تقدم. خرج من الجزء الموحل، جرى داخل الأحراش بمحاذاةِ الطريق، تمساحان يطاردانه، والثالث يجري موازيًا له، كأنّما يريد أن يمنع محاولةَوليد العودة للطريق.

رغمَ الخطر قفزَ وليد نحو الطريق، حاول التمساحُ الثالث إيقافه، لكنّ وليدًا تفاداه بصعوبة مندفعًا نحوَ هدفه، لكنّه فوجئ بتمساح رابعٍ أصغر حجمًا يقف أمامه. أخرج وليد سكّينَه وحاول ضرب الكائن أسفل فكّه، لكنّ الضربة لم تصبْه بأذى يُذكَر، وهجم التمساحُ الثاني على ساقه فعضّه بقوةٍ أوجعته، لكنّه شعر أنها لم تمزّقْ لحمه كما كان يتخيّل. تدحرج على الأرض أسفلَ رقبة التمساح الأكبر، وطعنه عدّةَ مرّاتٍ متتالية، فسال منه دمٌ كثيف غمر وجهَ وليد قبل أن يخرّ صريعًا.

شعرَ وليد بامتعاضٍ شديد من رائحةِ الدم الزنخة، التي كانت أسوأ كثيرًا من رائحة الدم البشري التي اعتادَ عليها في عمله ممرّضًا في العمليات الجراحية. مسح وجهَه في كمّه سريعًا، لم يكن لديه وقتٌ ليتقيأ أو يمسك معدتَه حتى؛ كانت مهمتُه على وشك الفشل، وحياتُه على المحك. وجد التمساحَ الثاني الأصغر مُقبلًا عليه، فنزل على الأرض أسفله، وطعنه بنفس الطريقة التي طعن بها التمساحَ الأول، وهو يحاول إبعادَ وجهه كي لا يغرقه بالدّماء الزنخة، لكنها

انطلقت في وجهه كالنّافورة أكثر من المرةِ الأولى، فأخذ يسبّ للمهمّةِ وللكوكب بأسْره.

حاول الخروجَ للطريق ثانية وهو يتعثّر بين الشجيرات، وهو يمسح وجهه بذيل قميصه، سمع صوتَ التمساحيْن الباقييْن وهما يقتربان، جرى مسرعًا أكثر، ثمّ سمع صرخة مختلفة، ميّز فيها نغمةَ صوت لوز. أصابته الدهشة وهو يحاولُ استطلاع الأمر، فوجد التمساح مقبلًا عليه، يتخبط في خطواته، ولوز يعتلي رقبتَه ويضربه في عينيه حتى أدماهما، ثمّ قفز من فوق التمساح لوليد في وثبةٍ واحدة طويلة تثيرُ الإعجاب. أخذه وليد ورمَى بنفسه نحو الطريق وهو ينظر تجاه التّمساح الذي صار يتخبّط من عماه، ويرتطم بالتمساح الأخير ويسقطه.

كان شعور وليد مرتبكًا في تلك اللحظة، ضمّ لوزًا نحوَ صدره وهو يفكّر في ذلك الدافع الذي يجعلُ حيوانًا كهذا يتبعه كلّ تلك المسافة، وكيف قفز على ذلك التمساح ذي الأقدم الطويلة متخلّيًا عنْ خوفه الغريزي لإنقاذ شخصٍ أيًّا كان وضعه؟!. كان يفكّر في خطوته التالية، هل يطلب من لوز العودةَ أم يتركه يصاحبه في رحلته معَ كلّ ما يرافق ذلك من مخاطر؟، ثمّ انتبه على رائحة الدم الزنخة التي ملأته.

خلعَ قميصَه ومسحَ به وجهَه ثانية، ثمّ لبسَه مقلوبًا، فوجد نفسه غارقًا في تلك الرائحة بالكامل. بدأ التحركَ في طريقه، ولوز جوارَه، مسافة ليست بالقصيرة، وصل بعدها

إلى مفترق طرق. وقفَ حائرًا ينظر إلى الأرض، محاولًا إيجاد آثارٍ للعربة، ظلّ يائسًا للحظات ثمّ نظر إلى لوز وسأله: «هل تستطيع اقتفاءَ الأثر أيها العفريت؟». هزّ لوز رأسه وأخذ ينظرُ في الأرض وهو يقرب رأسه منها، ثمّ في النهاية اختار الطريقَ الأيمن.

كان وليد واثقًا من أن اختيار لوز صائب، فقد استطاع أن يتتبعه كلّ تلك المسافة. قبل أن يمشي في طريقه سمع صوتَ حوافر تقترب، التفتَ خلفه فوجد أوزلو قادمًا على حصانه وكأنه لم يصبْ بأذى أثناءَ المعركة السابقة، يتبعه حارسان آخران على حصانهما أيضًا. سأله: «ما الذي تفعلُه هنا أيّها المزارع؟!». فقال وليد: «تبعتُ هؤلاء المجرمين الذين اختطفوا سيدي كيمان». فقال وهو ينظر لوليد بمزيجٍ من التعجب والشكّ: «لماذا تتبّعتهم؟ ....و...».توقف ثمّ تشمّم الهواء، وأضاف: «ما هذه الرائحة النتنة؟». ثمّ أشار للوز سائلًا: «ولماذا أخذتَ هذا الأوران معك؟».

«اسمُه لوز، وهو الذي تبعني إلى هنا». ردّ وليد متلعثمًا، وهو يفكر في خطوته التالية، كان مقدم أوزلو غيرَ متوقّع إطلاقًا، وليس بإمكانه الآن الاتصال بـ «دالا» ليخبرها بذلك. دالا الآن تتبعه بواسطة نبضات يبثّها السوار في ذراعه، ويمكن أن تظهر في أيّة لحظة الآن، والخطة لا تتضمّن صدامًا مباشرًا مع أوزلو وتابعيه. سأله الحارس الثاني: «أنت لم تجبْ على القائد حين سألك عن سببِ

تتبّعك للمجرمين وسيدك كيمان؟». فقال وليد: «رأيت أنْ أعرف مكانهم ثمّ أعود لإبلاغكم يا سيدي».

أمرَه أوزلو أن يركبَ على الحصان الثاني خلفَ الحارس الذي تأفف من الرائحة، وطلب من أوزلو أن يجعل وليدًا يمشي خلفهم بما أنّهم يسيرون ببطء، أو يعود أدراجه حتى. قال أوزلو: «هذا الأوران يستطيع اقتفاءَ الأثر، وقد نحتاجه حين نصلُ لتلال الظل، ثمّ إنّ هذا الولد شجاع ويمكن أن نستفيدَ منه بأيّة طريقة حين نصل».قالها وعلى وجهِه ابتسامة غامضة أقلقتْ وليدًا، لكنّه تجاهل شعوره، وبدأ يتسلق الحصان، ثمّ ركبه خلفَ الحارس الذي كان متأفّفًا من الرائحة بشكلٍ واضح.

بعدَ مسيرة طويلة ظهرت تلالُ الظلال، تلالٌ حجرية داكنة،لونها أقربُ إلى البني، ترتفع عن الأرض في مستوياتٍ مختلفة كأنّها مصاطبُ مدرّجة من صنع البشر. كان الماء ينساب نازلًا من قممِها على سفوحها في مساراتٍ متفرقة حتّى يصل إلى الأرض، مكوِّنًا برَكًا صغيرة مستمرة في الأحراش. كانت التلالُ فيها فتحات مغارات وكهوف كثيرة، يقول العجائز إنها سكنٌ لمخلوقات أسطورية تأكل كلّ حيّ يدخل إليها، ولا تُبقي منه شيئًا، ولا حتى عظامه. وبعيدًا عن هذه الخرافات كان الجميعُ يعرفون أنّ الكهوف تتشعب في ممرّات كثيرة داخل التلال قد يتوه الواحدُ فيها عمرَه كلّه دون أن يخرج، ولذلك كان مَن يدخلها

يثبت حبلًا في أوّل فتحة ليدلّه على طريقِ عودته.

-١٧-

وقفتْ دالا بتوتّر تراقب تلالَ الظلّ من بعيد بمنظارٍ دقيق بحجم حبّةِ الفول تمسكُه بيدها اليسرى، ويبثّ على يدها اليمنى صورةً للمنطقة كلها. كانت ترى وليدًا ومعه ثلاثة أشخاص وقد تركوا أحصنتهم في سفح التل، وبدأوا بالصعود، يقودهم حيوانٌ أشبه بالقردِ الصغير. كانت الخطة قد تغيّرت بعد أنْ شعرت أنها على وشكِ إنهاءِ مهمتها الثانية، والحصول على مكافأة جيدة، مع تعزيز موقعها في الهيئة.

كان الحلُّ الأصوب الآن هو تركَ وليد يتقرب إلى هؤلاء الحراس، ويساعدهم في تحرير كيمان، وعندها يمكنه الانضمامُ إلى رجاله الذين يجنّدهم لمساعدته في تحقيق طموحه. في تلك الحالة كان دورُها أن تقوم بالانخراط وسطَ المزارعين،ومع الوقت تتحيّن الفرصةَ هي ووليد لاختطافِ كيمان والعودة به لينالَ جزاءه بالحبس في سجنٍ تابع لهيئة مساعك.

لم تكنِ القوانين تسمح بقتله، وهي في رأيها قوانينُ غبيةٌ، فمن السّهل دومًا قتل الهدف، وإرسال رسالةٍ للجميع أنّ مَن يخرق قوانينَ السفر عبرَالكون سينال جزاءً رادعًا. قال لها السيد كودو حين شرحَ لها سبب جعْل العقاب هكذا: «إنّ المخاطرة بالحياة تضيفُ لهؤلاء المغامرين بُعدًا ممتعًا

لمغامرتهم، أكثر مَن يدفعون للسفر عبر الكون هم أناسٌ يبحثون عن ما يثيرهم، عن ذلك الخطرِ المُحدق الذي يجعلهم يشعرون بفرحةٍ عارمة عندَ النجاة منه، هؤلاء يكون السجنُ بالنسبة لهم نهايةً أكثر مأساوية من القتل». قال لها أيضًا إنّ الاغتيال عقوبةٌ لا تطبقها الدول المحترمة ولا المنظماتُ الحكومية، وجريمة هؤلاء ليست بالبشاعة التي تجعلها تستحقّ القتلَ دون محاكمة، مع العلم أنّه لا يوجد جريمةٌ تبرّر القتل دون محاكمة مهما كانت فداحتها.

تحسّست جيبها، مازال بقية أجر المختطفين معها. تفكّر في الاحتمالات التي جعلت هؤلاء الخاطفين يخلّون باتّفاقهم معها، فالمشهور عن زعيمهم هادو أنّه يحترم اتفاقه مع مَن يدفعون مقابلَ خدماته.

في عمقِ الكهوف كان هادو يجيبُ على هذا السؤال لمساعده. كان قد تأكّد من تقييد كيمان وترك ثلاثة يحرسونه قبلَ أن يجلس مع مساعده في مغارةٍ مجاورة تتيح له رؤيةَ الممر الذي يقودُ لمحبس كيمان. كانت دهشةُ مساعده كبيرة حين أخبره عن نيّته عدمَ تسليم الأسير لتلك الفتاة الغريبة التي استأجرتهم لاختطافه، فقال شارحًا خطتَه: "هناك عداوةٌ بين أمير دشان وأمير مدينة دركا (التي تقع على الضّفة المقابلة من النهر) وقد وصلتني أخبارٌ أنّ هذا الرجل كيمان ينوي مساعدةَ الأمير في غزوهم".

شرح هادو بزهْوٍ لمساعده المذهول بالتفاصيل قائلًا إنّه

توقّع أن يكون أمير دركا هو مَن طلب اختطاف كيمان لكي يحصلَ منه على هذا السّر، ولهذا قرّرَ أن يختطف كيمان ويفاوض عليه أميرَ دركا مباشرة دونَ وسيط ليحصلَ منه على مكافأة أعظمَ كثيرًا. قال مساعدُه: "يمكن أيضًا أن تهدّده أنّك ستفاوض أمير دشان، وتعيد كيمان إليه إنْ لم يدفع ما تطلبه، أو تقيم مزادًا بينهما". ضربَه هادو على رأسه وهو يقول: "نصفُ كلامك الأول جعلني أقول إنّني علّمتك جيدًا، ثمّ أظهرتَ حُمقك ثانية حين اقترحتَ المزاد، نحن نريد أنْ ننتهي من تلك المهمّة سريعًا، والمزادُ قد يجعلهم يتّفقون علينا، أو يعطيهم فرصةً للوصول إلينا".

حكّ المساعد رأسَه مكانَ الضربة وهو يتعجّب من أنّ سيدَه يخشى أن يصل أحدهم إليهم في متاهةِ الكهوف تلك. سيدُه كان يستخدم طريقةً فريدة في الاستدلال على طريقه في تلك المتاهة، طريقة ورثَها عن أجداده كما يقول. هادو كان مِن فرع معروفٍ في قبيلة دراب لا يزال يدعي أنّ أجداده كانوا مُحاربين عظماء قبلَ أن تحدث نكبتهم على يدِ قبائل عنيت، والتي جعلتهم حتى اليوم خدَمًا عندهم.

كانت الأورانات في ذلك الزمنِ المجيد حيواناتٍ مقاتلةً تقذف على الأعداء سهامًا سامّة، وتهاجم أحصنتهم وتفْقأ عيونها، فتسقط الفرسان تحت أقدامها، وكانت تستخدَم- أيضًا- في معرفة الطريق داخلَ متاهات كهوف تلّ الظلال. كان دليلُ المجموعة يخزن بول أوران لمدّة يومين، ثمّ

يصطحب ذلك الأوران، ويسكب نقاطًا من بوله على طولِ طريقهم داخل الكهوف، وعندما يودّون العودة من حيث جاؤوا يجعلون الأوران يتشمّم طريقه مستدلًّا عليه برائحة بوله. اليوم صارَ الدرابيون خدَمًا، وصارت الأورانات مجرّدَ حيوانات منزليةٍ تساعد في نظافة البيت والعناية بالبهائم والزرع.

كان وليد على وشكِ اكتشاف تلك الطريقة وهوَ خارج الكهوف معَ أوزلو ومساعديه. كان «لوز» يقتفي الآثارَ بصعوبة، يدور بين فتحاتِ الكهوف المختلفة يقفزُ هنا وهناك، يقترب من الأرض بعينيه محاولًا إيجادَ أيّ دليلٍ على أنّ أحدهم مشى مِن هنا. كان أوزلو متوتّرًا، وهتف بوليد: «هل سيعرف حيوانُك الغبي هذا أيَّ الكهوف ندخل أم نظلّ هنا حتى الغد؟!». هزّ وليد كتفيه مبينًا أنْ لا حيلة له فيما يحدث. «اقتفِ أثرهم أنت ما دمتَ ذكيًّا هكذا». قال وليدُ في نفسه دونَ أن يصرّح،وهو يفكّر هو الآخر إنْ كان لوز سيجد الكهفَ الحقيقي أم لا.

كانت الأرضُ خارج الكهوف أقلَّ صلابة من داخلها، قد يترك مَن يمشي فيها أثرًا على الأرض، لكن كان من الواضح أنّ الأثر طفيفٌ جدًّا، أربك لوزًا في تتبّعه. مرتِ الدّقائق ثقيلة، وفي النهاية قال أوزلو: «يكفي هذا، سوف نقسّم أنفسنا، كلّ واحد ينظر في فتحاتِ الكهوف بنفسه حتّى يجد حبلًا أو شيئًا يدلّ أنّ الخاطفين تركوه ليدلّهم على

طريق العودة». جادله أحدُ مساعديه، لكنّه نهَرَه بقسوةٍ أقرب للسباب، وهو يأمره بأنْ يصعد هو وزميله للمستوى الأعلى في التلّ، ويترك هذا المستوى له هو وأونات (وليد) ليفتشاه.

بدأوا البحث، ومرّ الوقت دونَ جدوى، كان وليد يفتش ناحية، وأوزلو ناحية أخرى، وعندما التقيا في المنتصف تركهما لوز، وأخذ يتشمّم ناحية أوزلو. سأل وليد: «ماذا يفعل أورانك هذا؟» فقال له: «لا أعرف يا سيدي». زفر في ضيق وهو يأمره بأنْ يستدعيه ويبقيا معًا في انتظار مساعديه اللذيْن يبحثان في الأعلى. فجأة، وقف لوز أمامَ أحد الكهوف، وأخذَ يتقافز وهو يتشمّمه، ذهبَ وليد إليه، أخذ ينظرُ داخل الكهف، فلم يرَ شيئًا، جذبه لوز من يده، ودخل به في عمقِ الكهف عدّةَ أمتار، ثمّ أشار نحو بقعةٍ في الجدار وتشمّمها وهو يشير لوليد بأن يتشمّمها هو الآخر.

تشمّم وليد الرائحة، كانت رائحة بولٍ عطن زكمتْ أنفه، سأل لوزًا عن معنى ذلك، وهو يتّهمه بالقرف، أعاد لوز وضعَ أنفه بالقرب من أثرِ البول، ثمّ أشار للطريق داخلَ الكهف، لكنّ وليدًا لم يفهم. وصل أوزلو لفتحةِ الكهف متسائلًا، لم يحرْ وليد جوابًا، ظلّ لوز يكرّر حركته، يتشمّم أثر البول ويشيرُ للداخل. ضرب أوزلو جبهته بكفّه وهو يقول: «كيف غابت عن بالي تلك الفكرة!؟». سأله وليد فقال: «سمعتُ أنّ بعض اللصوص يستخدمون بولَ الأوران

كعلامةٍ للطريق داخل الكهوف، ويبدو أنّ هذا اكتشفها».

كانت دالا تراقبُ من بعيد، رأت وليدًا وأوزلو يدخلان أحدَ الكهوف، ثمّ يخرجان منه، ثمّ انضمّ لهما مساعدا أوزلو، ثمّ دخل الثلاثة معًا داخل الكهف. طلبت السيد «كودو»، وطلبت منه الإذنَ بالتسلّل خلف وليد ومرافقيه، فرفض، حاولت أن تقنعه قائلة: «سوف أنتظرُ حتى يخلّصوا كيمان من المختطفين، ثمّ أختطفه منهم، وسوف يساعدني وليد». رفض بإصرار وهو يقول إنّ في الأمر مخاطرة، وإنّهم لا يعرفون قدراتِ هؤلاء الحراس جميعًا، قد يكون منهم واحدٌ أو أكثر من أصحاب الجين الفائق، فمنظمة (فيرس) تجنّد الكثيرين منهم، وقد يقوم أحدُهما بتهريب كيمان وترك الاثنين الآخرين يتقاتلان معهما. «ابقي في الخارج ولا تتدخّلي إلّا في حالة خروج وليد وكيمان وحارسٌ واحد فقط، عندها يمكنكم التغلب عليه، واختطاف الهدف والعودة به». كان هذا آخرَ كلامه قبلَ أن ينهي الحوار معها. أغلقت الاتصالَ وهي تتميّز من الغيظ، وتلعن الأوامرَ، وتسلسلَ القيادة.

في الداخل، بدأ الأربعة بالدخول في عمق الكهوف، ولوز يقودهم وهو يتشمّم رائحة بول الأوران، كانوا يسيرون بهدوءٍ شديد، محاذرين أن يصدرَ منهم أيُّ صوت، حتى لوز كان يشير فقط دونَ صوت بعد أن أمرَه وليد بالهدوء.

في مفترق نفقيْن، سمعوا صوتًا قادمًا من الداخل، ثمّ

صيحة تحذيرية من أحدهم، تلاها قدومُ مجموعة مسلّحين هجموا عليهم بسيوفٍ قصيرة عريضة. كان وليد يحتاج أنْ يبدو فتى شجاعًا دونَ إطلاق العنان لقدراته (وهو ما سيثير الشكّ فيه)، ودون التظاهر- أيضًا- بقلّة الحيلة، وهو أمرٌ صعب. حين اندلعتِ المعركة، تأكّد أنّ أوزلو من أصحابِ الجين الفائق، فقد كان يقاتل ثلاثة مرّةً واحدة بحركاتٍ متتابعة وضرباتٍ مُزلْزلة.

هتفَ أوزلو بوليد وأحدِ مساعديه: «تتبّعا الأثرَ أنتما حتى تصلا للسيد كيمان». ثمّ أضاف وهو يكسرُ ذراع خصمه: «هيّا أيها الأحمقان، أسرعا». دخل وليد سريعًا حتى رأى كيمان مقيدًا وحوله رجلان متحفّزان للقتال. هجمَ عليهما هو ومساعدُ أوزلو، لكنّهما فوجئا بضربات من عصيان غليظةٍ تهوي على رؤوسهما. وقعَ مساعدُ أوزلو مغشيًّا عليه، بينما قام وليد من سقطته سريعًا، واستطاع التغلبَ على مهاجميه بسهولة بعدَ أن أطلق العنان لقدراته.

-١٨-

كانت دهشةُ كيمان كبيرةً حين وجدَ عاملًا بسيطًا من عمّاله يحرّره من قيده، ويساعده على الخروجِ من الكهف الضيقِ الذي كان فيه للنفق الخارجي، حيث قابل أوزلو وحارسَه الثاني، وهمَا قادمان لنجدتِه. كان يشعر بامتنانٍ لهذا الشابّ أونات (وليد) الذي خاطرَ من أجله دون أن يطلبَ أحدٌ منه شيئًا، وقرّر مكافأته حين يعودُ لقصره. كانت داخلَه تساؤلاتٌ كثيرة عن الذين حاولوا اختطافَه، لكنْ للأسف لم يبقَ أحدٌ منهم حيًّا، فقد هرب هادو واثنان معه، والبقية قتلهم أوزلو ومساعدَاه.

أمامَ باب القصر، كانت فيكا واقفةً تذرع الأرض جيئة وذهابًا، وهي تكادُ تموت قلقًا على سيدها وحبيبها كيمان. ما إنْ أبصرته قادمًا تجاهَها حتى ارتمتْ بين ذراعيه وهي تبكي من فرط التأثر بطريقةٍ جعلته هوَ الآخر على وشك البكاء. هدّأها وقال لها: «اطمئنّي عليّ، لا أحد يقدر على أخْذي منك، أو أخذك منّي». فقالت وهي تأخذُ بيده وهمَا يدخلان لبهو القصر: «لقد اختطفوا روحي معك يا سيدي، اختطفوا الأنفاسَ من صدري، والنبضَ من قلبي، يا أصلَ نفسي ومُنتهاها». أجلسها جوارَه وهو يقول في نفسه: «لو أنّ هناك شِعْرًا في لغة هؤلاء البدائيّين لكانت فيكا شاعرتهم، فهي تقول الكلام منمّقًا كالشّعْر».

تناول غداءه معها قبلَ أن يصل أوزلو للقائه، سأله كيمان: «ألم تعرفْ مَن هؤلاء المجرمون؟». قال أوزلو: «كلّا، لكني أظنّ أنك كوّنت عداوات في هذه الأرض تبرّر محاولةً كتلك».سأله كيمان عنِ احتمال أنْ تكون الهيئة خلفَ تلك المحاولة، فنفى أوزلو وقال إنّ هذا الأسلوب غريب عليهم، فهُم عادة ما يُرسلون مجموعةً تختطف الهدفَ وتعيده دون الاعتماد على السكان الموجودين، قال أيضًا إنّه فتّش جثث القتلى وتأكّد من عدم وجود أيِّ تقنيات متقدّمة مع أيّ واحد منهم. قامَ كيمان مِن على مقعده وقال بحزم: «إذن، أريدك أنْ تعلّق رؤوس هؤلاء الملاعين على مداخلِ حقولي». أومأ أوزلو رأسَه موافقًا، وإنْ مطّ شفتيه في غير اقتناع، ثمّ قال بعد صمت قصير: «أرى أيضًا أن ننشرَ بين الناس أخبارًا تقول إنّنا عذّبناهم بقسوة، وأنّنا قتلناهم بالبطيء حتّى يرتدع مَن يحاول تكرارها».

كان يشكّ أنّ حاكم دركا، الذي بدأ يظهِرُ العداوةَ لكيمان، هوَ مَن استأجر هؤلاء الخاطفين، أو أن لصوصًا حاولوا خطفَه لمساومته على أموالٍ يدفعها مقابلَ إطلاق سراحه. استبعدَ خيار وجود متمرّدين من الدرابيّين العمال رغمَ أن سمعةَ كيمان بينهم سيئة لأنّ الحالات التي قام فيها عمال بقتلِ أو خطف صاحبِ الأرض كانت نادرةً جدًّا، وتعرّضت فيها عائلاتُ الخاطفين للتنكيل الشديد.

قانونُ سارتا يُتيح للسيد أنْ يفعل في عمّالُه ما يشاء إذا

تمرّدوا عليه، وهو ما يجعلهم دومًا خاضعين له. «هذا الفتى الذي ساعدَ في إنقاذي، أونات، أريدُ أن نضمّه لرجالي، ما رأيك؟». سأل كيمان. فقال أوزلو: «دعني أستجوبُه أوّلًا لكي أطمئنّ أنه غير مَدْسوس علينا». فسأله بتوتر: «هل تظنّ أنه يتبع لهيئة مساعك؟». أجابه: «احتمالٌ ضئيل، وقد يكون أيضًا مدسوسًا عليك من أميرِدركا، أو حتى أمير دشان نفسه، فهو يحاذر منك وإن تظاهرَ بصداقتك».

وليد كان في كوخِه يستعدّ للقفزة إلى زمنه بعدَ تلك المغامرة التي هدأت كثيرًا من ضيقه وشعوره بأنّ مهمته مثيرةٌ للضجر. اليوم استطاع أن يضعَ نفسه في بؤرة اهتمام كيمان وحارسه. اتّسعت ابتسامته وهو يتذكّرُ حين أطلق العنانَ لقوته وتغلّب على ثلاثة رجال من المُختطفين دونَ أن يؤذيهم، فقط أفزعَهم واضطرّهم للفرار كالخراف المذعورة حين وجدوه يطيرُ بينهم ضاربًا واحدًا، ومُطيحًا بسلاح آخر، وكاسرًا ذراع ثالث. انتبه على لوز وهو يقترب منه ويحكّ خدَّه في يده، لم يتمالك نفسه، أمسك الأوران من ذراعيه، ورفعه إلى صدره، وضمّه بحبٍّ صادق كأنّه يضمّ صديقًا مقرّبًا.

تركه ودخل حمامه، ثمّ ضغط زرَّ العودة، قضى يومًا كاملًا على الأرض، ذهنُه مشغول بالخطوة التّالية، حين عاد ارتاحَ على فراشه حتّى الصباح. استيقظَ من نومه على صوت طرقات قوية على الباب، كان أحدُ حرس كيمان يخبره أنّ

سيدَه بانتظاره في الحقل طالبًا منه الإسراع بالمجيء.

مَثلَ بين يديه، كان جالسًا على أريكة مُعدّة له تحت سقيفةٍ وسطَ الحقل، وإلى جواره وقف أوزلو. سأله عن تاريخِ حياته ثانية، وكرّر وليد قصته: «أنا أونات، هربتُ من بلدتي في أطراف القارة الغربية بعدَ أن....». قاطعه بضجرٍ قائلًا: «نعم.. نعم، الحرب، وأهلك الذين قتلوا كلهم، أريدُ تفاصيلَ أكثر، ماذا كنت تعملُ؟ وما عملُ أبيك وأهلك؟، أين تعلّمت امتطاءَ الخيل بهذه الدقّة؟، كيف هربتَ من بلدك؟، مَن دلّك على دشان؟ ولماذا اخترت حقولَ السيد كيمان دونًا عن غيرها؟». قاطعه كيمان قائلًا: «مهلًا مهلًا، دعِ الشابَّ يجيب وإلّا سيتوه منك».

استجمعَ وليد شجاعته وحدّةَ عقله التي اكتسبَها مؤخّرًا، وبدأ يجيب الأسئلة واحدًا تلو الآخر، يجيب سؤالين ثمّ يطلبُ من أوزلو تكرارَ أسئلته. كان الرجلُ ينظر إليه في عمقِ عينيه كأنه يحاول اختراقَ رأسه للتأكّد من أنه يقول الصدق. حافظَ وليد على رباطة جأشه قدر الإمكان حتّى أجاب كلّ الأسئلة. ظهرتْ علاماتُ الرّضا على وجْه كيمان بخلافِ وجه أوزلو الذي كان جامدًا تمامًا، وإنْ ظلّت عيناه ترمقان وليدًا بلا تعبيرٍ فيهما كأنهما عينا ميت.

أمرَه أوزلو أنْ يخلع قميصه، تعجّب وليد من الطلب، وسأل عن السبب، لكنّ كيمان قال: «أطعِ الأمر، ولا تناقشْ يا ولد». خلع وليد القميصَ ببطء، وعينُ أوزلو تكاد

تخترق ذراعه ليتأكد من عدمِ وجود سوار انتقالٍ زمني. لم يظهرْ شيء أمام عينه الثاقبة لكنّه لم يكتف بذلك، أمسك ذراعَا وليد بقوة وتحسّسهما من أعلى لأسفل. تظاهرَ وليد بالانزعاج وعدمِ الفهم، وقال: «هل يمكن أن أفهمَ ماذا تريد يا سيدي؟». لم يجبْه،وإنّما تراجع، وأومأ برأسه لكيمان في إشارةٍ تدلّ على أن وليدًا خالٍ من الأجهزة.

قال كيمان لوليد: «لقد قرّرت أن أجنّدَك معي يا أونات، لتكونَ واحدًا من حراسي ورجالي». تظاهرَ وليد بالارتباك، وقال: «سيدي كيمان، أنا لا أعرف إن كنت أتحمّل الاشتراك في القتال، لقدْ قاسيت الأهوال ممّا رأيت في بلدي». قال أوزلو بغلظة: «هل أنت أحمقُ يا فتى! سيدك يُعطيك الشرفَ لتصير مقاتلًا بدلًا من العمل مع الدرابيين البهائم وأنت ترفض!». شعر وليد بالغيظ من وصفِه للدرابيين بالبهائم، وانتابته رغبةٌ عارمة في لكْمِ وجهه، وتحطيمِ أنفه المتغطرس، لكنّه اكتفى بهزّ كتفيه قائلًا: «كما يأمرُ سيدي، لكن..». فقال كيمان وهو يزفر: «لكن ماذا يا أونات؟».فقال: «لا شيء يا سيدي كيمان، كنت فقط أسألُ عن الأجر، أكيد أنه سيكون أعلى مِن أجر المزارع، أليس كذلك؟». ضحك وقال: «يُعجبني تفكيرُك يا فتى، بالطبع سيكون أجرًا أفضل، ومكانُ سكنك أيضًا سيكون أفضل». فقال بتوسّل: «كلّا يا سيدي أرجوك، سأظلّ في كوخي، وأوفّر أجر السكن الأفضل».

عادَ مسرعًا إلى كوخه بعد أنْ وافق كيمان على انضمامه للعمل مع الحرس بدءًا من اليوم التالي، ووافق أن يظلّ في سكنه. حين وصلَ إلى الكوخ وجده مقلوبًا رأسًا على عقب، وفهم أن أوزلو أرسل بعضَ رجاله ليفتّشوا الكوخ. كان يتوقّع أن يفحص أوزلو ذراعه ليتأكد من عدم وجودِ سوار ناقل؛ لذلك خلعه قبلَ أن يذهب إلى المقابلة، كان قد فكّر أن يتركه في الكوخ، لكنّه وضعَ احتمالًا أن يفتشه أحدٌ فتركه خارجَ الكوخ أسفل المكان الذي يربط فيه الشاوا. حين عاد أخرجَ جهازَه من مكانه وارتداه ثانية وهو يفكّر في خطوته المقبلة.

كان الخبيرُ الأجنبي في غرفةِ العمليات يشرح خطواتِ جراحته الدقيقة للأطباء الموجودين معه، والمشاهدين في القاعةِ الخارجة عبرَ البثّ التليفزيوني. كان يبحث عن عصبٍ دقيق أسفلَ عنق المريض-(وهو طفل في الثالثة)-لكي يغيّر مساره ويسخّره لتحريك عضلات الذراع. كان وليد واقفًا على مقربةٍ من الجراح الأجنبي أمامَ طاولة الآلات الدقيقة يناوله الآلةَ التي يحتاجها في توقيتِها المضبوط. الوقتُ يمرّ، والجميع متوتّرون، والخبير الأجنبي مازال يبحثُ عن العصب الصّغير وسطَ كومة الأنسجةِ المتشابكة. كانت عيناه على عدسات الميكروسكوب،وعيون مساعديه الأطبّاء على الشاشةِ الكبيرة التي تنقل ما يحدُث في جسد المريض. اقترح طبيبٌ ما على الجرّاح الأجنبي أن يوسّع الجرح، واقترح آخرُ أن يبحث أعلى من النّقطة التي يبحث فيها، وهو يفنّد آراءهم.

عينا وليد رأتْ شيئًا على الشاشة كأنّه نسيجٌ رقيق يغطي العصبَ المختفي، أراد أن يتكلّم، تردد قليلًا، غمزَ حازم الطبيب المقيم- (أصغر الأطباء في غرفة العمليات)- فهمسَ له بضيقٍ طالبًا منْه السكوت، فهمس وليد قائلًا: «انظرْ فوق على اليمين، أسفلَ طرف المبعِدِ الجراحي». نظر له حازم شذَرًا، فأكّد وليد طلبَه بنظرةٍ من عينه، تأمّل حازم ثانية، اتّسع فهمُه انبهارًا تحت قناعه الجراحي، همسَ

للطبيبِ الأكبر منه، تجاهلَه الأخير، فقالَ بصوت مرتفعٍ بالإنجليزية قائلًا للخبير: «أعتقدُ يا سيدي أنّ العصب ظاهرٌ أمامي تحتَ النسيج الرقيق أسفلَ المبعِدِ». نظر الخبيرُ ثانية في الوقت الذي تلقّى حازم تقريعًا هامسًا من أستاذه الواقف إلى جواره.

التفتَ الجراح الأجنبي إلى حازم، وقال: «هل تستطيع أن تضعَ تلك الآلة عليه؟».اقترب حازم ولمسَ النّسيج الذي أشار وليد عليه بطرف آلةٍ دقيقة. أثنى عليه الخبيرُ وبدأ البحث، ووجد العصبَ بالفعل. نظر له الطبيبُ الأقدم قائلًا: «كيف رأيته أيّها العفريت؟!». فقال: «إنّه وليد هو مَن دلّني عليه».

انتهتِ الجراحة، وصار الأطباءُ في القسم يتحدّثون عن وليد، وعينِه الثاقبة، وعن رباطة جأش حازم، وجرأته حين وافقَه الرأي. حازم نالَ ثناءً شديدًا من الخبير الأجنبي، وفي نفس الوقت تلقّى لومًا من أساتذته لأنّه تجاوز الترتيبَ الهرمي العتيق للعمل. قال لوليد وهو يغيّر ملابسه: «جبت لنا الكلام يا أستاذ وليد». ضحك وليد وقال له: «تعيش وتأخذ غيرها، أنت نائب وطبيعي أنْ(يلبّك) الأساتذة بسبب أو دون سبب، لكنك تلقّيت ثناءَ جراحٍ أجنبي شهير، و...». قاطعه صوتٌ يناديه من الخارج: «وليد.. أنت يا بني آدم».

كان أحمد زميلُه يناديه، خرجَ له قائلًا: «ما هذا (الوَشُّ) يا عمّ؟!». فقال أحمد هامسًا: «هناك رجل في الطوارئ

يتظاهر بالمرض، ويسأل عن الحادثة التي كان فيها الرجلُ الذي حاول قتلك». امتقع وجهُ وليد، فهذا يعني أنهم في المنظمة يفتّشون عن شخص لديه الجين الفائق، ويفترضون أنّ هذا الرجل قد يكون موجودًا في المستشفى. طمأنه أحمد وقال: «قلت له إنّهما كانا مجنونيْن وتشاجرا في الاستقبال، وقتل أحدُهم الآخر».

أطرقَ وليد مفكّرًا لحظات، ثمّ قال: «أريد منك خدمة، راقبْ هذا الرجل حتى آتي إليك». نظر له أحمد وهو يحاول الفهم، ثمّ قال ببساطة: «حسنًا يا شقيق، لكنْ لا تتأخر». تركه وليد واختلى بنفسه، واتّصل على رمزي، قصّ عليه ما حدث في توتّر، فقال رمزي بهدوء: «أريدك أن تهدأ قليلًا، هذا إجراءٌ روتيني يقومون به في المنظمة ليتحقّقوا من مصير رجلهم، هُم لا يعرفون عنك أيّ شيء». جادله وليد طالبًا منه أن يتصرفَ وهو يتخيّل في تلك اللحظة سيناريوهات تتضمن أنّمنظمة «فيرس» وصلتْ إليه، وقامت بإيذاء أهله أو إيذاء يارا.

«لا تكنْ أحمقا، وأنصت إلي».صمت وليد في ضيق، واستمع لرمزي وهو يطلب منه أن يخلو في مكان، وينتظره حتّى يرسل إليه الحل. ذهب وليد لغرفةِ التمريض الملحقة بالطوارئ، وأغلق البابَ خلفه وانتظر. فجأة ظهرتْ إلى جواره علبةٌ صغيرة نبتتْ من العدم، ثمّ وصله اتصالُ رمزي قائلًا: «افتح العلبة». فتحها فوجد فيها إبرتيْن؛ واحدة

دقيقة جدًّا، وأخرى على شكل محقن صغير فيه مادة صفراء.

شرحَ رمزي أنّ الإبرة الأولى فيها مهدئ قوي سيجعل الرجلَ مستسلمًا له تمامًا، طلب منه أن يحقنَ الرجل بها، ثمّ يصحبه حتى باب المستشفى الخارجي، ويحقنه بالمحقن الثاني، ثمّ يختفي من أمامه بعدها مباشرة. «هذا المحقنُ يحوي مادة كيميائية ستعيدُ تشكيل ذاكرة هذا الرجل وتجعله يظنّ أنّه سأل الناس في المستشفى، ولم يجد أيّ دليل على أنّ هناك شخصًا ذا جين فائق موجود بالمستشفى، وسوف يبلغ رؤساءه أنّ زميلنا الراحل ذهبَ للمستشفى للعلاج من إصابته فقط».

تنفّس وليد الصعداء، وشعر أنّ المهمةَ سهلة، لكنّ رمزي أوقفه قائلًا: «هناك احتمال ضئيل أن يكونَ هذا الرجل من أصحاب الجين الفائق أيضًا». فقال وليد: «وما المشكلة إذًا؟». فقال: «سيكون عليك أن تتخلّص منه، قمْ بأخذ احتياطاتك، خذْ معك محقنًا من عندك، واملأه بالأدرينالين، واجعله في جيبك احتياطيًّا».

سقطَ قلبُ وليد بين قدميه وهو يستمعُ إلى ذلك الأمر بالقتل، كاد يعترض لوْلا أنّ رمزي قال: «أنتَ تدافع عن حياتك وعنْ أسرتك فعلًا، وهؤلاء مجرمون لا قلبَ لهم، استمع إليّ جيدًا، إذا لم يتخدّر الرجل بعدَ الإبرة الأولى سيكون عليك غرسُ حقنة الأدرينالين في قلبه».دار في

رأس وليد أسئلة كثيرة، إنّه يطلب منه أن يقتلَ رجلًا في طوارئ المستشفى، بالطبع سيحاول الأطباء إنعاشَه، وإذا فشلوا سيكون هناك سين وجيم، وطبّ شرعي، ونيابة، الأمرُ ليس بهذه البساطة.

«لا تقلق، بعد أن ينقلَ إلى ثلاجة المستشفى سنرسلُ مَن يختطف جثته، هذا هو الحلّ الوحيد، لو أرسلوا غيرَه سنتعامل بنفسِ الطريقة، ولو وصلنا لمرحلةِ أنّهم كشفوا شخصيتك سيكون علينا اتّخاذُ إجراءات أصعب، لا تشغلْ بالك، أنتَ محميّ بأكثر من طريقة». أغلق وليد الاتصال معه وهو يسبّه ويسبّ نفسَه؛ لأنّه قبلَ العمل مع هؤلاء الناس. جهّز حقنة الأدرينالين ووضعها في جيبه، قلبُه يدقّ في عنف وهو يذكّر نفسَه أنه لابدّ من تعويض هذه الحقن بحقنٍ أخرى حتى لا يلاحظَ أحدٌ اختفاءها.

وصلَ الطوارئ، دخل الغرفة على الرجل، كان شابًّا متوسطَ القامة، أسمر البشرة، ذا شعر خشن، اقترب منه وسأله: «هل كنت تسأل عن الرجليْن اللذيْن ماتا هنا في مشاجرة؟». نظر الرجلُ له في اهتمام، وقال: «نعم». اقترب وليد ووضع يدَه اليمنى على كتفه كأنه يربّت عليه وهو يقول: «أنا سأدلّك على الحكاية كلها فقدْ كنت حاضرًا». ثمّ ضغط يدَه على كتف الرجل وهو يغرسُ الإبرة المخدّرة فيه.

كانت أنفاسُه تتسارع، الدمُ يهرب من وجهه، ويده اليسرى في جيبه تتشنّج على حقنة الأدرينالين. نظر الرجلُ له

بدهشة، ثمّ نظر إلى كتفه حيث غرس وليد الإبرة، رفع ذراعه محاولًا الإمساك بوليد من رقبته، أخرج وليد يدَه اليسرى وفيها محقنُ الأدرينالين وهو يهمّ بغرسها في صدره، لكنّ يدَه تجمّدت للحظة، لم يكنِ القتلُ سهلًا عليه حتى لو كان يدافع عن نفسه. أمسك الرجلُ برقبته لثانية، وقبلَ أن يفعل وليد شيئًا تراخت يدُ الرجل، وتراجع وهو ينظر له بخمول، فقال وليد: «تعالَ معي». رافقه الرجل مستسلمًا وهو يخرج معه من الغرفة الصغيرة إلى الممرّ الواسع الذي يربط غرفَ الطوارئ. قابله زميلٌ له فسأله: «مَن هذا الرجل؟». فقال وليد: «قريبي، كان يأخذ كوكتيلًا للمغص الكلوي، وتحسّن،وسوف أصاحبه للخارج».

وصلَ مع الرجل إلى بوابة المستشفى، ثمّ أخرج المحقن الثاني ودفعَه في فخذه وهو ينظر حوله ليطمئنّ أنْ لا أحدَ يراه، ثمّ ترك المكان وعاد. قابله أحمد فسأله عن ما حدثَ فقال: «لقد تخلصت منه لا تشغلْ بالك، بالمناسبة... لديّ مبلغ صغير من المال أريدُ أن أشاركك به في تجارة الدّراجات النارية المستعملة». قال أحمد بزهو: «أنا أتاجر في التكاتك أيضًا». فقال وليد: «حسنًا، أنا لدي عشرون ألف جنيه، أريد أن أستغلّها معك، لكنْ بشرط». فقال أحمد مندهشًا «عشرون ألف جنيه!، طبعًا أنت ممرّض عمليات ماهر، وأعزب، تعيش مع أبيك الذي ينفق عليك، أكيد أنّك ادّخرتها». فقال وليد: «كفّ عنّا حسدَك يا عم، شرطي

أنْ أعمل معك وأتعامل مع التجار والمشترين، ها.. ماذا قلت؟!». تردّد أحمد لحظات لكنّه في النهاية قال: «حسنًا يا شقيق، لكن أنا المديرُ وأنت تساعدني فقط، اتّفقنا؟». فأومأ وليد موافقًا.

-٢٠-

الليلُ في كوكب شوريد دومًا فيه إضاءةٌ تغني عن استخدام المشاعل-في خارج البيوت على الأقل- إلّا في ثلاثة أيام من كلّ شهر، حيث يكون القمرُ الأوسط مختفيًا، والشمالي في بداية مولده، والجنوبي محاقًا، لكنّ ضياءه يكون خافتًا لأنه أصغرهم. في ليلة من تلك الليالي، زارت دالا كوخَ وليد، تتسلّل بين الحقول، وتتلفّت حولها؛ لتتأكّد أنها غير مرئيّةٍ لبشر ولا لحجرٍ حتى. كانت قد التحقتْ بالعمل في حقول كيمان هي الأخرى، وكانت ملامحها قد عدلتْ بواسطة خبير تنكّرٍ لتبدو أشبهَ بالدرابيين، فكان من السهل عليها أن تندمج بينهم.

كان وليد مضطربًا منذُ تعرّض للرجل الذي كان يتحرّى عن المستشفى. بقيت معه وقتًا طويلًا تشرح له أنّ إمكانيات الهيئة مسخّرة بالكامل لحماية العاملين فيها، كان لوز جالسًا على الفراش جوارَ وليد الذي كان ينصتُ لها دون أن يعلق. قالت: «هذا الأوران الذي لديك أذكى كثيرًا من الأوران الموجود عندي، هل رشوتَ مربّي الحيوانات!». ابتسم وليد لأوّل مرةٍ منذ جاءت، فقالت: «حقًّا إنّ أوراني غبي وكسول». فقال وليد وهو ينظر للوز: «المشكلة أنني بدأت أتعلق به». فقالت: «سوف تتعوّد، في كلّ مهمة تتعلّق قليلًا بالناس والأماكن، ثمّ ما تلبث أن تنساهم عندما تذهبُ في مهمةٍ أخرى». هزّ رأسه موافقًا وهو يتذكّر السنة

التي عمل فيها في وحدة الحروق، وكيف كان يقضي مع المريض وعائلتِه شهرين أو ثلاثة، تتكون فيهما علاقة قوية بين الممرّض والمريض مِن طول بقائهم معًا، ثمّ تقلّ العلاقةُ مع خروج المريض من المستشفى، وتذبل شيئًا فشيئًا.

غيّرت لهجتَها حين شعرتْ أنه بدأ يطمئنّ، وأخذت تلقنُه بعضَ التعليمات الخاصة بمهمتهم. أكّدت عليه ألّا يصطحبَ سوارَ ذراعه في أيّ مرةٍ يعمل فيها بالقرب من كيمان أو حرسه، وأن يحتفظَ به دومًا في مكان آمن. أخرجتْ من جيبها آلةً دقيقة في حجم حبّةِ الأرز، وقالت: «زيارة كيمان للأمير غدًا مهمّةٌ جدًّا، ويجب أن تسجِّلَ كلّ ما يحدث فيها». ثمّ وضعتِ الحبةَ في يده. أخذ يتأمّلُها لحظات قبلَ أن تضيء بخفوتٍ لثانيتين ثمّ تنطفئ.

كانت عبارة عن جهازِ تنصّتٍ يعمل بأوامرَذهنية من وليد. في البداية أضاءت لأنّه تمّ تنشيطُها ومزامنتها معَ الإشارات العصبية الخاصة به. «كلّ إنسانٍ من أصحاب الجين الفائق له موجة عصبيّةٌ فريدة تميّزُه عن غيره، وهذه الآلة مبرمجَةٌ للتعامل مع موجتِك، فقط أطلقْها ثمّ فكّرْ بالاتّجاه الذي تريدها أنْ تنطلق فيه، وهي تقوم بتسجيل كلّ الأصوات التي تصلُ إليها مهْما كانت خافتة».

شرحتْ له بالتفصيل استخدامَ الآلة، وخصائصَها الفريدة، من أنّها قادرةٌ أيضًا على التخفي كالحرباء، فلا يراها أحد، وهي تتحرّك نحوَ الهدف الذي يوجّهُها وليد إليه. بعد أنْ

أنهت شرحها طلبتْ منه ثانية ألّا يتصرّفَ مِن تلقاء نفسه، ثمّ قالت مداعبَة: «كيف حال فتاتِك؟». قال: «بخير، فقط أشعر أنّني أكذب عليها طيلةَ الوقت». فقالت باستهانة: «وما الجديد؟! كلّ الرجال كاذبون بالفطرة». ضحك ونظرَ إليها متعجّبًا، ثمّ أضاف: «يبدو أنّ هناك مَن كذب عليك كثيرًا». رفعت رأسَها باستهانة وقالت: «لا أحد يستحقّ التصديقَ أو الاهتمام، أنا حرّةُ العقل والمشاعر».فضحك وقال: «ما علينا، أنتِ الرئيسة وكلامُك مصدّق».

في صباح اليوم التالي، كان وليد واقفًا أمام قصر كيمان برفقةِ عشرة رجال آخرين، بدا له أنهم جميعًا من أهل كوكب شوريد،وليس منهم أحدٌ من المنظمة مثلَ أوزلو والمساعدين الملازمين له. وقف كيمان أمامَهم بخيلاء يستعرضُهم كقائدٍ يستعرض حرسَ الشرف، غير أنهم كانوا يرتدون ثيابًا بلا زينة أو نياشين. جاء خادمان يحملان بصعوبةٍ ثيابًا مطوية يبدو وزنُها ثقيلًا، كان أوزلو وحرّاسُه يرتدون ثيابًا مثلها رمادية اللون، فيها التماعة خفيفة تغطي الجسدَ بالكامل، يمتدّ منها جزءٌ كالقلنسوة يغطي الرأس والعنق كأنّه خوذة قماشية.

أعطى كيمان الأمرَ فأخذ كلّ واحدٍ منهم ثيابًا، وارتداها، وصار الجميع كأنّهم جيش صغير ذو زيّ موحّد. طلب منهم أوزلو أنْ يقفوا في صفّين متجاورين في انتظار الأوامر، بينما تركهم كيمان ودخلَ إلى قصره. جلستْ فيكا بين

يديه وهي تقول: «سيدي، هذه الثياب التي يرتديها رجالُك عجيبة الشكل، و...». ثمّ سكتت وهي تُبدي حرجًا وارتباكًا منعها من إكمال جملتها، فقال هو: «تريدين أن تقولي إنّ ثيابي أنا أيضًا تبدو غريبة».احمرّ وجهها خجلًا، وقالت: «سيدي يبدو ملكًا في أيّ ثوب، لكن هذا الزي لونُه يشبه الأرض الجرداء وثقيل عليك». اقترب منها، ونظر في عينيها وقال:»ألن تكفّي عنْ كلمة سيدي تلك؟». فقالت: «يصعب عليّ أن أناديك باسمك مجرّدًا». فقال مبتسمًا: «حاولي».قالت بدلال: «حسنًا يا كـ.. كيمان، هل ستغيّر لون هذا الثوب لأجلي؟». ضحك بصوتٍ عال ووعَدَها أنّه سيشرح لها الأمر حين يعودُ من لقائه مع الأمير.

خرجَ إلى رجاله، وامتطى حصانًا أسودَ عليه غطاءٌ وسرج وزخارف توحي بأهمية صاحبه، نوعٌ من زينة الخيل لا توضَع إلّا للأمراء. كان يمشي بحصانِه في الأمام، خلفه أوزلو ومساعداه على يمينه ويساره، ثمّ الرجال العشرة، ومنهم وليد، يمشون على الأقدام في صفّيْن خلفهم. استمرّتِ المسيرة أكثرَ من ساعة حتى وصلوا لقصرِ الحاكم، تقدّم كيمان وخلفه حارسان، تركواأسلحتهم عندَ البوابة، وتقدّم الثلاثة داخلَ القصر، وبقي وليد والآخرون في الخارج، ووقفوا في صفّ واحدٍ مواجهين للبوابة كما تمّ تدريبهم.

رمى وليد جهازَ التنصّت من يده، وتركه يتبع كيمان حتّى التصق بذيلِ ثوبه دونَ أن يلاحظ أحد. مرّ الوقت على

وليد، لم يكنْ يشعر بأيّ تعبٍ لكنّه لاحظ أنّ زملاءه بدأوا يتململون من الوقفة الطّويلة بعدَ مشي مسافة تزيدُ عن ستة كيلومترات. كان الجدارُ الخارجي للقصر عبارة عن أعمدةٍ مرتفعة تعلوها أقواس، وفوق قمة كلّ قوس وقف ثلاثةُ رجال خلف سورٍ قصير، أمام كلّ واحدٍ منهم قاذفُ أسهم مثبّت على السور أمامه، وقد وجّهه نحو الخارج.

صدرَ صوتُ قرقعة في مكان ما، استعدّ الرجالُ الواقفون أعلى الأقواس، وشدّ كلّ واحد منهم ذراعًا جانبيًّا في قاذفِ الأسهم الخاص به، وحنى رأسَه مثبتًا عينيه أمامَ دائرة معدنية أعلى القاذف، ثمّ وجّهه لأسفل ناحيةَ وليد وزملائه. أطلقَ الرماة جميعًا أسهمهم مرةً واحدة نحو وليد وزملائه، عشرة أسهم انطلقتْ في نفس الوقت، كلّ سهمٍ نحو واحد منهم. طارت الأسهمُ كالبرق برؤوسها المعدنية المدبّبة المسننة نحوَ صدورهم، حتّى ارتطمت بهم دون أن تغوص في أجسامهم، ودون أن يحرّك واحد منهم ساكنًا.

كان هذا اختبارًا للدّرع الذي قدّمه كيمان للأمير، وهو مَن طلب منه أن يطلقَ السهام على رجاله الواقفين في الخارج. كان العشرة قد تدرّبوا على تلك اللحظة، وكان المطلوب منها إثبات قوة تحمّل الدرع من ناحية، وإثبات شجاعة رجاله ورباطة جأشهم من ناحيةٍ أخرى. كان السهمُ غير قادرٍ على قطع القماش،وكانت المشكلةُ أنّه قد يمزّق جلد المحارب، ويدخِلَ جسمه دافعًا القماش المدرّع معه

للداخل، ومن هنا كانت فكرةُ تصميم الدرع بوضْع طبقتين من القماش بينهما طبقة من الحلقات المعدنيّة، وهو ما سيوقف السهم تمامًا.

ظلّ وليد وزملاؤه واقفين بثبات، والأسهم معلقة بثيابهم، وقد علت الدهشةُ وجوهَ حراس القصر بالأسفل، والرماة على الأقواس من أعلى، ما جعل ابتسامات الزهو تكسو وجوهَ رجال كيمان بما فيهم وليد. بعدَ دقائق خرج وهو يتحدّث مع أوزلو ضاحكًا، وبدا أنّه حقق ما كان يصبو إليه من زيارته، وبينما اقترب من وليد انزلقتْ آلة التصنّت، ورستْ على ثياب وليد الذي انتظم مع زملائه في صفّين ليستكملا مسيرتهما عائدين إلى القصر.

-٢١-

«بسم الله الرحمن الرحيييم... ما هذا يا وليد؟ قرد مسخوط في بيتي!». كانت أمّ وليد واقفة أمامه تنظرُ في دهشة واستنكارٍ نحو لوز الذي فوجئت به في غرفةِ ابنها. أخذ وليد يهدئها ويطلبُ منها أن تخفضَ صوتها، وألّا تخبر أباه، فرفضت، قبلَ أن يقنعها أوّلًا بسبب وجود هذا الكائن هنا فقال: «هذا قردٌ نادر، من الهند، وسأخرجُ منه بمصلحةٍ كبيرة». فقالت بنفس النبرة المستنكرة: «أيّ مصلحة يا ابنَ المجانين؟ هل ستترك تمريضَ البني آدمين وتمرّض القرود!». ثمّ نظرت ثانيةً نحو لوز الجالس في استسلام، وقلصت ملامحها وهي تقول: «أستغفر الله، حتى شكله لا يشبه القرود التي نراها في التليفزيون».

كانت المشكلةُ قد بدأت حينَ ضغط وليد السوار الذي يعيده إلى كوكبه في لحظة تزامنت مع دخول لوز عليه. كان يبدو أنّ لوزًا لاحظَ وليدًا وهو يقوم بتشغيل سوار الانتقال البينوي، فأمسك به وانتقل تأثيرُ الجهاز له هو الآخر. حين وجدَه معه في غرفته كاد يُصاب بصدمة، وجلس مدةً يفكّر فيما سيفعل، وكان لوز ساعتها منكمشًا على نفسه في ركنِ الغرفة مندهشًا من المكان الغريب الذي وجدَ نفسَه فيه، وهو ما جعل وليدًا يحاول تهدئته قبلَ أن يفاجأ بدخول أمه للغرفة.

«اسمعيني يا أمّ وليد، هذا القرد مطيع، وغير مؤذٍ، وهو مرتفعُ الثمن، سوف أوصله لصاحبه غدًا ظهرًا، وأحصل منه على ألفي جنيه». قالت أمّه: «ألفَا جنيه من أجل توصيله فقط!! ما ثمنُه إذًا؟». فقال: «قلت لك يا أمّي إنّه مرتفعُ الثمن جدًّا لأنّه نادر، انتظري سأريك شيئًا».كادت تعترضُ وهي تلوح بيدها، سألها عن أبيه، فقالت إنّ أمامه ساعة حتى يعود، أخذ وليد يهمس للوز وأمُّه واقفة عاقدةً حاجبيها، تتمتمُ بأدعية على ابنها، وعلى الكائن الموجود معه، وعلى تلك اللّغة الغريبة التي يحدّثه بها. أخذها وليد من يدِها وخرج معها من الغرفة ثمّ عادَا إليها ثانية بعد دقائق.

لم تصدّقْ أمُّه عينها حين رأت غرفةَ وليد (والتي تشبهها دومًا بمقلب القمامة) صارت مرتبة ونظيفةً كما لم ترَها من قبل. «يا سلام هذا المسخوط فعل كلّ هذا؟!». قالت أمّه مندهشة. فقال وليد: «نعم، انتظري حتى تري ما سيفعله بالمطبخ». صفعته أمّه على مؤخرة رأسه وقالت: «ألا تشعر بالقرف، هل تظنّ أنّني أسمح لقرد أن يضع يدَه مكان أكلنا!».

نظرَ إليها وهو يضحك متخيّلًا نفسه يطلبُ منها أن تحترمه أكثر، فهو من أصحاب الجين الفائق، لكنّه يعرف إنْ قال ذلك فسوف ينال صفعةً أخرى. رجاها ألّا تخبر أباه بوجود لوز، فاشترطت عليه ألّا يتركه، وأن يأخذه معه للمستشفى

يبيتُ معه في مناوبته، فقال لها مستنكرًا: «كيف آخذ قردًا للمستشفى، سوف يطردونني». فهتفت في حزم: «إذًا، لا تذهب». وتركته وأغلقت الباب خلفَها بعنف.

طلبَ رمزي والأفكارُ تدور في رأسه، كيف سيبقى لوز شهرًا كاملًا في بيته قبلَ أن ينتقل معه إلى شوريد ثانية، فهو يعرف أنّ أصحاب الجين الفائق هُم وحدهم مَن يمكنهم السفرُ يوميًّا عبر الكون. أجابه رمزي معنّفًا: «ما حدث خطأ فادح يا وليد، ويدلّ على استهتارك». جادله وليد وقد شعرَ بالضيق من هذه الطريقة في الحديث، هدأ رمزي نبرتَه قائلًا: «هذا الحيوانات يمكنها السفر بندوليًّا مثلك، يمكنك أن تأخذَه معك بعدَ أربع وعشرين ساعة». فقال وليد بصوت قلق: «هل أنت متأكّد؟! لا أريد أن يصيبه أذى». طمأنه رمزي وهو يلومُه على تلك العاطفة التي يبديها نحو لوز، ثمّ قال له إنّه سيرسل له صندوقًا يضع لوزًا فيه، وابرة مخدرة يحقنه بها كلّ ستّ ساعات حتّى يعود به ثانية.

قدّم له تقريرًا عن ما حدث مع كيمان، وعن تلك الدروع التي أعدّها من ألياف النبات الجديد الذي يزرعُه في حقوله. كان جهازُ التنصّت قد نقل تفاصيل خطة كيمان التي اتفق عليها مع أمير دشان، وكيف أنهما يخطّطان لمهاجمة مدينة دركا، والاستيلاء عليها الشهر القادم. كانت مدينةُ دركا على الضفة الأخرى من النهر، وكان يجري إعداد ثلاثِ سفن لنقل المحاربين من دشان لدركا لاحتلالها وهي

مفاجأة أخرى يعدّها كيمان، فالصراعاتُ بين المدن على ضفة النهر غالبًا ما تكون الجسورُ هي المكانَ الذي ينتقلُ فيه الجنود بين المدن، ولم تحدثْ في مملكة سارتا أنّ جنودًا عبروا النهر في سفن.

«هذا خطيرٌ جدًّا، لابدّ أن تستعدّ أنت ودالا لاختطافه في أقرب فرصة، وإلّا سنلجأ لطريقة لا نحبّها، وهو ما سيعدّ فشلًا لمهمتك الأولى». سأله وليد: «ما هي الطريقةُ الثانية؟»؟ قال رمزي: «سوف نقتله». حكّ وليد وجهَه براحته في ضيقٍ وهو يستمع إلى ذلك القرار قبلَ أن يقول معترضًا: «أريد أن أفهم شيئًا واحدًا، ما المشكلة لو تركناه، إنّ هؤلاء الناس يتقاتلون كثيرًا، وقد سمعتُ أنّ هاتين المدينتين بالذات بينهما عداءٌ مستمرّ،كالصراع بيننا وبين إسرائيل مثلًا، ما الفارقُ الذي سيُحدثه كيمان؟ على الأقلّ لو انتصر سيصبح هو أميرَ دركا، ويصير حليفًا لأمير دشان، وتتوقف الحروب بينهما».

صمتَ رمزي قليلًا، ثمّ طلب منه أن يغلقَ الاتصال الآن، وينتظرَ دقيقة سيصله بعدها صندوق كبيرٌ كصناديق القطط، يتّسع لأوران بحجمِ لوز. وصل الصندوقُ وداخله الإبرَ المخدرة، استخدم إحداها في تخدير لوز قبلَ أن يضعه برفقٍ في صندوقه، ويغلقه عليه. بعد دقائق أخرى جاءه اتصالُ فيديو من رمزي الذي قال له إنّ تلك الأفكار التي طرحها خطيرة للغاية.

كان ما قاله وليد يدلّ على عدمِ فهمه لخطورة ما يُقدم عليه كيمان، إنه ليس مجرّد أمير من ضمنِ الأمراء المتحاربين، بل شخص يمتلك تقنيةً سوف تخلّ بالتوازن الدقيق الموجود في مملكة سارتا، بل وفي كوكب شوريد كله. قال له رمزي شارحًا: «حين تعطيه تلك التقنية تفوقًا كبيرًا سوف تخلق طاغيةً من نوع خاص، طاغية لديها أدوات تكنولوجية تتجاوز الناس بمئات السنين، وأفكار تتخطّى إدراكهم، سوف يقتل آمالهم في غدٍ طبيعي، وسوف تتراكم تلك التغيرات وتؤثّر على مستقبل الكوكب كله، وهناك مشكلة أخرى، الدرابيون يفكّرون بالثورة، وصعودُ كيمان وامتلاكُه نقاطَ تفوّقٍ كبرى ستقضي على أيّ حلمٍ لهم في التحرّر من العبودية».

سأل وليد باستنكار: «الدرابيون سوف يثورون؟ كيف ذلك!؟ إنّهم مجموعة من الخاملين الضّعفاء الذين يعشقون الذّل، يرتعدون من صوتِ مشرفٍ ضئيلِ الحجم، ويمجدون مالك الأرض الذي يعاقبهم على أتفهِ الأمور، هؤلاء سوف يثورون!؟ هل ستنبت لهم كرامةٌ مع الزرع الذي يزرعونه فجأة أم ماذا؟!». قال رمزي في هدوء: «كلامك هذا دليلٌ على الجهل، أنت الآن تمتلك جينًا يجعل عقلك أذكى من عشرةِ عقول مُجتمعة، أريدك أن تستغلّه وتقرأ التاريخ».

لم ينتبه وليد لنغمةِ التّقريع في كلام رمزي لأنّه كان مشغولًا بالجدال، قال في حدّة: «اشرح لي أنتَ يا خبير!

ألست مدرّبي؟». قال رمزي بنفس النبرة: «كلّ الشعوب مرَّ عليها وقتٌ كانت مُستضعفة مستسلمة، ثمّ بعدَ فترة يظهر جيلٌ يرفض هذا الضعف، ويثور ضدّ مَن يظلمونه، انظرْ إلى تاريخ بلدك وأنتَ تعرف، وانظر لتاريخ البلادِ الأخرى لأنّ بلدك ليست استثناء، البشر كلّهم واحد، نفسُ العقل والمنطق، والتاريخ مُتشابه بين البلدان المختلفة، بل بين الكواكب المختلفة أيضًا، هؤلاء الدرابيون كانوا أصحابَ حضارة عريقة قويّة، لكنّ الزمان اختلف وصاروا هُم المستضعفون المضطهدون، ألم تسألْ نفسك مثلًا لماذا تعلقت بهذا الأوران؟ وكيف يستطيع حيوانٌ صغير أن يفعل ما يفعله؟». صمت وليد فأكمل رمزي: «أيام كان الدرابيون أصحابَ حضارة كانوا يدرّبون تلك الحيوانات، ويجعلونها تقوم بمهامّ يصعب على الناس من شعوبٍ أخرى أن يقوموا بها، هل تتخيّل أن الدرابيين كانوا يعتبرون الأوران أعلى منزلة من العنيتيين الذين كانوا مجرّدَ قبائل همجيّة أيامها، دار التاريخُ دورتَه وصار الدرابيون خدمًا عند العنيتيين الذين كانوا يعتبرونهم أقلّ شأنًا من حيواناتهم الأليفة».

كان وليد قرأ كثيرًا من تلك المعلومات، لكنْ هناك فرقٌ كبير بين القراءة والفهم، كما قال له رمزي، هناك فرقٌ بين مَن يقرأ السطور ومَن يقرأ ما وراء السطور. حين سأله عن سبب تدهورِ الدرابيين قال: «هناك أسبابٌ لا تُحصى، لكن لعلّ أهمّها هو احتقار الآخر والاستهانة به،

فحين تضعُ إنسانًا مثلك في مرتبةٍ أقلّ من حيوانك الأليف تكون حضارتُك بلا معنى ورقيك مجرّد زيف، تغطي به همجيتك».

قال وليد مرتبكًا: «لقد احترتُ معك، هل أنت تحبّ الدرابيين أم تحتقرهم؟». فقال رمزي بصوت عميق كعالمٍ يلقي محاضرة:»افهمْ يا رجل، لا فرق بين الأممِ عندي، الناس متشابهون، حين يكونون بالأعلى يمتطون مَن بالأسفل، وحين يكونون في الأسفل ينحنون لمَن بالأعلى، لا تنكسر تلك الحلقة إلّا حين يفهم الناس أنّ البشر سواسية، ويسنّون قوانين تضمن ذلك، وهو ما قد يحدث جزئيًّا إن نجح الدرابيون بالثورة، وتعلّموا دروس التاريخ». أخذ وليد نفسًا عميقًا وقال: «لهذا فإن ما يفعله كيمان شديدُ الخطورة لأنّه سيمنع الدرابيين من النجاح إن ثاروا». قال رمزي: «هذا سبب، لكن السبب الأساسي هو منعُ تدخّله في توازنات الحياة الطبيعية على الكوكب، حتى لو كان سيساعدهم، تاريخ أيّ كوكب يشبه جسمَ الإنسان السليم، يعمل بكفاءة دون التدخل فيه، ويخرب تمامًا إذا أدخلت فيه أشياءًا لا ينبغي أن توجدَ أصلًا».

وصلت يارا للمستشفى الذي تقضي فيه دوامًا مسائيًّا مع وليد، أنهتْ تسلم عملها من الممرضة السابقة، قامت بالمرور على مرضاها، قاستْ لهم العلامات الحيوية، وأعطت العلاج للبعض حسبَ المطلوب. أنهت كلّ ذلك سريعًا لكنْ بدقة، ثمّ أخذت حقيبتها الصغيرة، وتوجّهت نحو جناح العمليات حيث كان وليد مشغولًا في عملية جراحية مع أحدِ جراحي العظام، وكان صوت الدّق والخبط متصاعدًا منها كأنّها ورشة حداد لا غرفة عمليات.

دخلتْ غرفة وليد، كانت غرفةً متوسطة المساحة، بها خزانتان ومكتب وأريكة ومقعد. أخرجت علبةَ هدايا من حقيبتها ووضعتْها على مكتبه، وهمّت بالانصراف. سمعت صوت خرفشة في خزانته، كان معها نسخة من مفتاح الخزانة، فتحتها فوجدتْ فيها صندوقًا من ذلك النوع المعدّ للقطط لكنْ حجمُه كان كبيرًا، حاولت أن تنظرَ في الصندوق لكن الثقوب كانت ضيقة، كلّ ما رأته كان شبحَ فراء، أو شعر حيوان ما. فكّرتْ أنّ وليدًا يريد مفاجأتها بحيوان أليف، كلب أو قطة، ابتسمت لذلك الخاطر وقرّرت ألا تفسد مفاجأته لها.

انصرفتْ وعادت بعدَ وقت قصير لتفاجئ وليد، وجدته جالسًا وقد فتح الهدية وأخذ ينظر إليها مبتسمًا بحبور،

كانت نظارةً شمسية فاخرة قالت له إنّها تخيلته فيها كثيرًا. كان باب الغرفة مفتوحًا كالمعتاد، وهي جالسة على المكتب، وهو على المقعد أمامها، صمتت منتظرة منه أن يخبرَها بهديته لكنّه بدأ يتحدّث في مواضيع متفرقة، ويشرح لها تفاصيل المشروع الذي نوى أن يبدأ فيه. سألها: «ما لك؟» حينَ لاحظ أنها تحرّك قدمَها في عصبية، فقالت: «لا شيء». ضايقه ردّها فقال: «يارا، لقد اتفقنا على الصّراحة في كلّ شيء، لا أحبّ أن يكون هناك شيء تفكرين فيه دون أن تصارحيني».

قالت: «الصندوق الموجود في خزانتك، فيه هديةٌ بالطبع، لمَن هذه الهدية يا ترى؟». اندهش من سؤالها، وسألها كيف عرفتِ بوجود الصندوق، فكرّرت سؤالها دونَ أن تجيبه، فقال بحدّة: «أجيبيني أوّلًا». قالت بضيق: «لا يهمّ، لا أريد أن أعرف، يبدو أنّ صاحبة الهدية تهمك أكثر». هزّ رأسه متعجّبًا وهو يتمتم باستغفار، ويطلب منها الهدوء، وهي تحاول أن تغادر، فقال: «أقسم إنّها ليست هدية، لكن لو أخبرتك لنْ تصدقيني». فقالت: «إذًا، افتح الصندوق، دعني أرى بعيني».

شهقتْ حين رأت لوزًا النائم في الصندوق، لحُسن الحظ لم يكن أحدٌ موجودًا في الممر بالقرب منهم، تقلب لوز في نومته، وبدا أنه على وشكِ الاستيقاظ، فخرجت منها صرخة قصيرة رغمًا عنها، وهي تسأله عن هذا القرد الغريب، فقال

لها كما قال لأمّه، عندها استيقظ لوز، فتح عينه ثمّ تسلق خارجَ الصندوق، ورمى نفسه على كتف وليد، وأكمل نومه.

نظرتْ يارا لهما متعجبةً وهي تقول: «ما كلّ هذا الحب، سأغارُ منه هكذا». ضحك وليد فرفع لوز رأسه من على كتفه، والتفتَ ليارا، ومدّ ذراعه نحوها، فقال وليد: «يبدو أنّه يحبّك أيضًا». تراجعت يارا قليلًا، طلب منها وليد ألّا تخاف منه؛ فهو أليف ونظيف أيضًا، بعد تردد أخذته، والعجيبُ أنّ لوزًا ضمّها، وأراح رأسَه على كتفها فقال وليد: «أعتقد أنّني سأغار». فقالت وهي تنظرُ في عمق عينيه: «تغار عليه أم منه». فقال: «أغار عليك أنت طبعًا». ثمّ همس في أذن لوز وأخذَه منها، ووضعه في صندوقه، وحقنه بالمنوم، ثمّ تركه، فقالت وهي تنظر نحو لوز بأسى: «حرام أن تخدّره هكذا». فقال لها: «مؤقّتًا فقط حتى الصباح، أخشى أن يراه أحدٌ فنروح في سين وجيم».

صارحتها أن قلبها انفتح له كأنها تعرفه رغمَ أن شكله غريب ووجهه لا يشبه وجوه القردة المعتادة. «أنا أيضًا أحببته، لكنّه مرتفع الثمن جدًّا، لا يمكن أن نشتري مثله». ثمّ استدرك سريعًا: «حاليًا على الأقل، مَن يدري ربما يلعب الزهر معنا ونكسب من هذه الشراكة مع أحمد». اتّسعت ابتسامتها وغمرت وجهها، مدّ يده بخجل وأمسك يدها فضمّت يدَه في المقابل وهي تقول: «كلما تكلّمت عن مستقبلنا أشعر أنّك لي، وأنّ أي خوف من المستقبل يهون

طالما أنا معك».

ظهر اليوم التالي، عادَ وليد لكوخه في كوكب شوريد، حين وصل وجدَ لوزًا يرتجف بسبب الانتقال، كاد يموتُ رعبًا عليه، وفكّر أن يطلب رمزي، أو حتى دالا، لكنّه بعد أقلّ من دقيقة وجدَه قد هدأ وصار طبيعيًّا. زفرَ في ضيق من تلك العاطفة الغريبة التي صار يشعر بها نحو لوز، يقول لنفسه إنّه لا ينبغي أن يتعلّق بحيوانٍ غريب في مهمة مؤقتةٍ ستنتهي حتمًا بتركه لحاله، لكنه لا يستطيع أن يمنعَ نفسه رغم أنّه لم يسبق له التعلق بحيوان أليف من قبل.

جاءته دالا في مساءِ الحقول الساكن، وشرحت له الخطة التي سيقومان بتنفيذها في الليلة التالية. يجبُ أن يقومَا بحرق المكان الذي يحتفظ فيه كيمان بمخزونه من تلك الدروع الجديدة، وهي خطوةٌ هامّة قبل أن يقوما باختطافه، فلا يمكن ترك هذه الأشياء ليستغلّها أحدٌ بعد إعادته. كان المخزنُ الموجود فيه الدروع يقع في قبو قصرِه الأصغر الذي لا يبيت فيه إلّا نادرًا، كان هذا القصرُ يقع في أطراف الحقول بالقرب من حقول الأمير التي يفصلها عن حقول كيمان سورٌ من الأشجار المتقاربة، وصفّ من أكواخ العمال.

«المكان عليه حراسةٌ كبيرة، كما أنه كبير، وينبغي أن نهاجمه من اتّجاهين». قالت دالا وهي ترسمُ على الأرض مخطّطًا للقصر، فقال وليد: «أنت تقولين إنّه في القبو،

والمفروض أنّ القبو له سلّمٌ واحد يقودُ إليه». قالت: «كلا، هناك مدخلان، واحد من داخل القصر وواحد من خارجه».

كان وليد في هذه الأيام يخرجُ في دورياتٍ مع بقية رجال كيمان، أو يشارك في تدريباتٍ معهم، لكنه لم يكلّف بحراسةٍ ليلية من قبل، سأل دالا عن تخْمينها للسبب فقالت: «ما أعتقده أنّ المجندين الجُدد أمثالك وظيفتُهم ستكون القتال في حربِه القادمة ضدّ أمير دركا، أمّا الحراسة فلا يقوم بها إلّا رجاله الموثوق بهم».

كان على دالا أن تدخلَ من المدخل الموجود داخل القصر، وكان وليد هو صاحبَ المهمة الأسهل، وهي الدخول من المدخل الخارجي. كانت أساورُ أذرعتهما مفعلة كي يتواصلا أثناء التّنفيذ، ويشعلا النيرانَ معًا، القبو كان يحوي دروعًا جاهزة وأقمشة، وأغلب محصول النبات الليفي الذي يزرعُه كيمان. الأهمّ أنّ القبو كان يحوي جرارًا من السائل الذي يغمس فيه القماش ليزيدَ صلابته، وكان هذا السائلُ سريعَ الاشتعال، وهو ما يجعل المهمة أسهل.

وقفَ وليد ملثّمًا مرتديًا ثيابًا تشبه ثيابَ عمال المصانع، يراقب الحراس الموجودين أمام باب القبو الذي يجب أن يقتحمَه. فتح اتصالًا بينه وبين دالا، وقال لها: «أنا جاهز، أمامي ثلاثة سأسقطُهم بسهولة». قالت: «انتظر حتى أصلَ إلى الباب داخل القصر وأعطيك إشارة كما اتفقنا، لا تتعجّل». ظلّ كامنًا يراقب الحراسَ الثلاثة، وهم يتسامرون،

وأمامهم نارٌ وضعوا عليها حيوانًا وقد تصاعدتْ أدخنة شويه في الجو. كانوا على بُعد عشرة أمتار من سور القصر، وكان الباب مخفيًّا أسفل البساط الذي جلسوا عليه.

جاءته إشارةُ دالا بعد دقائق، اهتزازاتٌ متوالية على سواره، قام بعدها بالزحف بخفة نحو الحراس حتّى صار قريبًا منهم، أخرجَ من ملابسه قوسًا صغيرًا، وثلاثة أسهم رؤوسها مغطاة بعصارةِ نبات مخدّرٍ موجود في الكوكب بالفعل. صوّب وأطلق ثلاثة أسهم متتالية نحو الحراس أصابَ كلّ واحد منها هدفَه. انتبه الحراسُ والتفتوا نحوَ مصدر الأسهم، لم يتحرك وليد، ظلّ يراقبهم منتظرًا أن يقوم المخدّرُ بمفعوله الذي يستغرق من خمسِ إلى عشْر ثوان.

فوجئ وليد أنّ الحراس الثلاثة نزعوا الأسهمَ من زيّهم، ووقفوا يبحثون عمّن أطلقها، كان من الواضح أنّهم يرتدون دروعًا جديدة، وهو ما لم يكن في الحسبان. لم يتردّد وليد كثيرًا، هجم على أقربِ الرجال إليه، قفز في الهواء وهو يغرز السهمَ المخدر في عنقه الذي كان مكشوفًا بطريقة لا تسبّب وفاته، وإنما تخديرَه فقط. هاجمه الحارسان الآخران، طار سيفُ أحدهما نحو وجهه لكنّه تفاداه، وأمسك ذراعَ المهاجم وأسقط منه السيف، لكنْ في نفس اللحظة نال وليد منه لكمة بيدِه الأخرى.

هجمَ الحارس الثاني محاولًا ضربَ وليد بسيفه هو الآخر، تفاداه وليد منزلقًا لأسفل ثمّ رمى نفسه على الأرض،

وغرس السهم في قدمه، ثمّ اعتدل ووقفَ مواجهًا الأول ثانية، وهو ممسك بسيف الحارس الذي سقط، تبارز وليد مع الحارس المتبقي، كان ماهرًا بالمبارزة، وطالت الضربات والرّدود حتّى قام وليد بتوجيه ضرباتٍ متوالية سريعة أنهكت الرجلَ، وجعلته يصارع ليلتقط أنفاسَه أمام ذلك الشاب الذي لا يشعرُ بالتعب، وحين بدأتْ ذراعه في التخاذل، انتهز وليد الفرصةَ وضربه بالسهم في وجهِه مُسقطًا إيّاه مخدرًا على الأرض.

انقضى الجزءُ الصعب من المهمّة، أو هكذا ظنّ وليد حينَ نزل إلى الناحية التي تخصّه من المخزن، كانت دالا في الجهةِ الأخرى تنتظر إشارته لتبدأ إشعالَ النار في منطقتها. كان المخزن ممتلئًا بأجولةٍ تحوي محصولَ النبات الشبيه بالقطن، وأكوام من الأقمشة، ودروع جاهزة، وعدّة مغازل جعلته أشبهَ بالمصنع. بحثَ بعينيه عن براميل المادة التي تصقل القماش، والتي كانت مُسرعةً للاشتعال لأنّ محْتواها يكون ذائبًا في سائل كحولي.

أرسلَ لدالا إشارةً بأنّه سيبدأ في سكب المادة، أجابتْ عليه بإشارة تحمل نفسَ المعنى، بدأ يصبّ مُحتوى البراميل بوعاءٍ صغير كان موجودًا في أحدها، صبّها من الداخل إلى الخارج، كانت المادة نفّاذة الرائحة، والمكان سيّئ التهوية، شعر أنّه يكاد يختنق من الرائحة فأنهى صبَّ المادة على عَجَل، وأرسل لدالا طالبًا الإذن في إشعال النار.

بدأ يشعل النارَ في أكثر من نقطة،بادئًا من الداخل قرب الحائط الذي يفصل منطقته عن المنطقة التي فيها دالا، إلى الخارج حيث الباب. كان قلقًا من أنْ يقطع أحدهم الطريق عليه وهو خارج، رغم أنّه خدّر الحراس دونَ جلبة. اشتعلت النارُ وبدأ بالتوجّه نحو الباب لكنّه سمع صوت فرقعة في الداخل، وبدأت تمطرُ من السقف مياهٌ غزيرة

أطفأت جزءًا من النيران.

«وليد، اسمعني، هل سقطت مياهٌ من السقف عندك؟». فقال لها: «نعم، هل هذا نظام مكافحة للحرائق، أليس من الممنوع استخدامُ تقنيات متطورة هنا حتى في قواعد منظمة فيرس الإجرامية؟». فقالت: «نعم، يبدو أنّ الناس في هذا الكوكب لديهم نظامٌ ما، حاول أن تشعل النيران في براميل المادة المشتعلة نفسها، ودع انفجارَ البراميل يتكفل بالباقي».

اقترب وليد متوتّرًا متعجّلًا يحاول تنفيذَ ما قالته، كان الأمر شديدَ الخطورة لكنّه يأبى الفشل، لاحظَ حبالًا محترقة قربَ الحائط وممتدّة للسقف في أكثر من نقطة، وخمّن بسرعة أن هذه هي آلية مكافحةِ الحرائق البدائية في هذا المكان، أنّ تلك الحبال متصلة برافعات في الأعلى تنطلق حين يحترق الحبلُ فتسقط حاويات ماء في السقف.

كانت فكرةً عبقرية على الرغم من بساطتها، لم يضع وقتًا أكثر في التفكير، سكب محتويات برميلٍ على الأرض بجوار البراميل الأخرى، ثمّ أشعل النار، وانطلق يجري نحو الباب. كان اللهبُ الذي اشتعلَ على سطح المادة ينطلق بسرعة متراقصًا وهو يسابق وليدًا، وكأنّه يصرّ أن يفجرَ البراميل قبلَ خروجه. وصل اللهبُ المتسارع لأوّلِ برميل، تسلق كثعبان على جدران البرميل صاعدًا عليها، ووليد يتعثّر في الأشياء الملقاة على الأرض وهو يعدو، أمسكت

النار في البرميل الثاني والثالث، وامتدّتْ للبقية. بدأت حرارةُ المادة دخل البراميل ترتفع بشكل جنوني نحوَ نقطة الانفجار، ووليد يصعد أولّ سلمة. انفجرت البراميلُ تباعًا، وامتدّت موجة من اللهب تطارده وهو يقفزُ خارج الباب.

كان لسانٌ من اللهب قد اندفعَ خارج الباب من عنف الانفجار وأمسك بقدمه، أخذ يطفئ النار بفزع، جلس لحظةً يهدئ أنفاسه بعدَ أن أطفأها، لكنّه وجد النار أمسكتْ بثياب الحارس الذي كان مخدّرًا جوارَ الباب. فكّر لحظة بالهرب، فمِن الأكيد أنّ حرّاسا آخرين في طريقهم لكنّه تراجع، اختطفَ البساط (الذي كان يجلس عليه الحراسُ قبل أن يهاجمهم)، ورماه على جسد الحارس الذي كانت تبدو على وجهه علاماتُ الألم، رغم أنه كان مخدّرًا. أطفأ النار وسحب جسد الحارس بعيدًا، ثمّ ولّى هاربًا وهو يبعد عن ذهنه صورةَ وجه الحارس المعجون بالألم، كان يعلم مِن خبرته في العمليات الجراحية أنّ المريض المخدر يشعرُ بالألم،رغم أنّه نائم تمامًا مالم يعطِه الطبيب مسكنات كافية.

كانت دالا قد خرجتْ من الباب الذي كان داخل القصر، فوجئت بمجموعة من الحراس تعترضُها، اشتبكت معهم وأسقطتْ بعضهم، تلقّت ضربة في ذراعها من أحدهم لكنها استطاعت أن تتخلّص منه هو الآخر. تملّصت من بينهم وراوغتهم بمهارة وهي تندفع نحو باب القصر تمرّ بين قطعِ

الأثاث المتناثرة، وتقفز من فوق بعضها حتى وصلت للباب.

اعترضَها اثنان عند الباب، سمعت صوتًا يصرخ قائلًا: «أريدها على قيد الحياة». هاجمها الحارسان بأذرعهم العارية، أسقطت الأول وانتهزَ الثاني الفرصة وضربَها بقوة على الجرح الموجود في ذراعها. صرختْ من الألم وكادتْ تسقط، عالجها الحارس بلكمةٍ قوية على وجهها قبلَ أن تفيق من ألمِ ذراعها، سقطت على الأرض فرمى نفسه فوقها، وجاء آخر محاولًا تكبيلها تمامًا.

تملّصت أسفله وهي تحاول التخلصَ منه، ضغط الثاني على الجرح في ذراعها فصرخت بقوة وهي ترى بطرفِ عينيها شبحَ أوزلو مقبلًا نحوها بنفسه. استجمعت قوتها وسحبت السيف من ثيابِ الحارس، وضربته به في كتفه، فصرخ وسقطَ من فوقها، ثمّ اعتدلت وضربت الحارسَ الثاني في ساقه قبلَ أن تندفع جريًا قبل أن يصل إليها أوزلو.

اندفعتْ نحو سور القصر،وتسلّقته بكفاءة، وألقت نفسها خارجًا، وبدأت تعْدو بسرعتها وهي تظنّ أنها تخلّصت منه، لكنّها فوجئت به في إثرها بعدَ أن قفز من فوق السور هو الآخر. أخذت تحاول توسيعَ المسافةِ بينها وبينَ مطاردها، لكنه كان يجري بنفس السرعة، وبدا لها أنه من أصحاب الجين الفائق بما لا يدع مجالًا للشك.

كان ضخمًا طويلًا مفتولَ الجسد، وكانت هي خفيفة رشيقة، لكنّها مصابة وتتألم، حاولت أن تضلّله بين الشجيراتِ دون جدوى، حاولت الجري في مسارات متعرجة، لكنّها كان خلفها بالمرصاد. كانت تتجه نحوَ الأكواخ التي تخصّ العمال في أرض الأمير فليس من المسموح لواحدٍ من حراس كيمان أنْ يدخلها دون إذن. تبقّت بضعة أمتار، تحاملت على نفسها ودفعت قدراتِ جسدها لأقصى مدى، استغلّت كلّ القدرات التي يهبها لها الجين الفائق، تبقى متران فاستجمعتْ كلّ قواها وقفزتْ بقوةٍ بين كوخين وهي تصرخُ فرحة أنها دخلت أرض الأمير.

فوجئتْ أنّ أوزلو استمرّ في مطاردتها.. «إنّه لا يحترم القواعد، دخل أرضًا محرمة عليه، وسوف يكون من حُسن حظي أن نصادفَ بعضًا من رجال الأمير هنا». قالت لنفسها وهي تراوغُه بين الأكواخ، وهو يتبعُها كظلّها الخافت الذي أنتجه ضوءُ القمر، قفزت نحو باب أحد الأكواخ حين وجدتْه مواربًا، صرخت امرأةٌ بالداخل مفزوعة من المفاجأة، وحاول رجل اعتراضَها لكنّها قفزت نحوَ النافذة المفتوحة أعلى الفراش. صرخ أوران، كان موجودًا بالكوخ، وقفزَ نحو وجه أوزلو الذي كان قد دخلَ الكوخ خلفها. ضربه أوزلو بذراعه ضربةً جعلته يلتصقُ بالحائط وهو يئنّ من الألم قبل أن يقفز من النافذة خلف دالا.

أطلقَ سبابًا وهو يستمرّ في مطاردتها، كانت دالا مصرّةً

على الإفلات منه وقد تحول خوفها إلى عندٍ وغيظٍ شديديْن. انطلقت تعْدو بين الأكواخ وبدأ أهلها النائمون في الاستيقاظ ومشاهدة المطاردة، مدّ أحدهم يدَه من نافذته وهو يشير إليها بالدخول. أمسكت ذراعه وقفزت نحو النافذة وأغلقها الرجل خلفها، رقدتْ على الأرض تلتقط أنفاسها وهي تشكر الرجلَ أنه استطاع تخليصَها من ذلك اللعين الذي يطاردُها، وهي تتأكّد منه أن أوزلو لم يرها وهي تقفز في نافذته.

فوجئتْ بأوران يمدّ يدَه لها بوعاءِ ماء لتشرب، وبالرجل يسألها: «مَن أنت؟ ولماذا يطارك هذا الوحش؟». فقالت: «هل تعرفه؟». فقال: «نعم، إنّه حارس كيمان سيد الأرض المجاورة، والعمال كلهم يشكون من قسوته». نظرت له وقالت: «لا داعي لأن تدخلَ نفسك في تلك التفاصيل، أنا أشكرُك على المساعدة، وتأكّد أنني سأكافئك». ردّ الرجل عليها بغضب: «أنا لم أفعل ذلك انتظارًا للمكافأة، أنا درابي يا امرأة، ونحن نفعل الخيرَ في الناس دون انتظار المكافأة». قالت متعجبة من كلامه: «أوّلُ مرةٍ أرى درابيًّا يعتزّ بنسبِه». فقال: «كلنا نعتزّ بنسبنا وأصلِنا العظيم، لكننا لا نتحدّث عنه أمام أحدٍ لأنّ عقوبة تمجيد أصلنا علنًا عقوبة فظيعة».

قالت معتذرة: «لم أقصدْ يا سيدي، أنا أشكرك على أيّة حال، وأتمنى أن تعودوا لمجدكم يومًا ما، وتتخلّصوا من

عبوديتكم للملاك». لوّح الرجل بذراعه في غير اهتمامٍ كأنّه يملّ الكلام في هذا الموضوع. طلبت منه أن ينظرَ من النافذة ليستطلع الأمر، لكنْ قبل أن يفعل انفتح بابُ الكوخ بعنفٍ وظهر أوزلو أمامَه، وقفز نحوَ دالا وهو يضربُها بقوة في وجهها، ثمّ يكبلها ويجرّها نحو الخارج وهي تحاول التملصَ منه.

حاول الرجلُ أن يعترضه فأمسك قطعةً من الخشب ووقف متحدّيًا. نظر له أوزلو شذرًا، ثمّ ضربَ ذراع دالا بعنف جعلها تصرخُ ألمًا، وأتبع ضربتَه بضربة لرأسها بقوة جعلتها تترنّح، أفلتَها من يده وأمسكَ الخشبة ونزعها من ذراعِ الرجل ببساطة، ثمّ ضربه بعنف ضربات متتالية على رأسه حتى تركَه بلا حراك، ثمّ جرّ دالا المتهالكة خارجَ الكوخ، وتوجّه بها نحو القصر.

-٢٤-

لم يدركْ كيمان من قبْلُ معنى الحب، ارتبط في حياته السابقة لأكثرَ من مرّة لم يشعر أنه مع إنسانٍ يدخل أعماقَ روحه مثلما يشعر الآن مع فيكا. الغريب أنّ مَن ارتبط بهنّ في حياته السابقة كنّ يعرفنَ أصله وفصْلَه، ويعرفن أين ولِدَ، وأين تربّى، يعرفنَ أهله وظروفَ نشأته وثروة عائلته وعاداته اليومية، لكن لم تدخل إحداهن قلبَه بهذا العمق من قبل.

لا يعرف السبب، ولا يريد أن يعرف، هو معها على طبيعته، رغم أنّه يخفي عنها أصله الحقيقي، وهذا موضوعٌ آخر. يقول لنفسه إنّ الإنسان قشرةٌ خارجية يراها أصدقاؤه ومعارفه، ولبّ داخلي لا يراه إلّا مَن يدخل قلبه. فيكا عرفتِ الإنسانَ الحقيقي داخله، وجعلته يشعر أنه على طبيعتِه معها، رغمَ أنها تعرفه باعتباره مالك الأرض وسيّد رعيته من العمال.

كان يجلسُ معها في تلك الليلة يعلّمها لعبةَ الشطرنج- (هوايته الأثيرة، والتي نقلها أحدُ الباحثين مِن كوكبِ الأرض إلى كوكب أكورا، ونشرها بين الناس)- كان يشرح لها وظيفة كلّ قطعة، كانت فيكا ذكية، وكان واثقًا أنّها ستتعلّمها سريعًا، وتصير منافسًا قويًّا يجعل اللعب معها متعة جديدة. بعد أنْ فهمت كلّ شيء قالت له: «هذه اللعبة

ممتعة، لكن فيها عيبٌ واحد». فسألها عنه فقالت: «كلّ القطع تموت فداءً لشخصٍ واحد، كلّ التابعين يموتون من أجل سيدهم». أدهشته كلماتُها فقدْ كانت تلك حكمةً قديمة شهيرة في كوكب الأرض، كيف لفتاةٍ كتلك أن تنطق بها.

«سيدي لم أقصدْ، فأنت سيد يتمنّى الكل أنْ يموت فداءً له». قالت بارتباك حين لاحظت تغيّرَ وجهِه بعدَ حكمتها، فقال لها: «لا عليك يا حبيبتي، سمعت أنّ بعض الدرابيين لا يتقبّلون فكرة السادةِ والخدم تلك، لكنهم يفضّلون الصمت». زاد ارتباكها وقالت: «كلّا يا سيدي، أنا..». فقال مقاطعًا: «قلتُ لك مِن قبل أنْ لا تقولي سيدي، أنا كيمان زوجك وحبيبك فقط».فقالت بخجل: «وسيّدي أيضًا».

دقّ حارسه الباب بقبضةِ سيفه أربعَ دقات متتالية علامةً على أن هناك أمرًا هامًّا. زفر في ضيق، وفتحَ بابَ غرفته فهمس الحارسُ في أذنه قائلًا: «أوزلو يريدك في المخازن، هناك أحدُ عملاء الهيئة». امتقع وجهُه وقال: «سوف آتي حالًا». كان الحارس من رجال المنظمة مثل أوزلو، صاحب كيمان على حصانه حتّى وصلا إلى القصر الذي تقع تحته المخازن. كانت رائحةُ الحريق تملأ الجوّ، ومازالت بعض الأدخنة تتصاعد من القبو.

في إحدى غرف القصر الخالية، كانت دالا مقيّدةً بحبال ثبّتت في الحائط وواقفة على قدميها، وأوزلو واقف أمامها،

بيده سوطٌ قصير. كانت تنظرُ نحوهم بتحدٍّ رغم جراحها، قصّ أوزلو عليه ما حدث بالتفصيل، وأنّه لن يكفّ عن تعذيب هذه الفتاة حتى تخبره بأسماء شركائها وأماكنهم.

كان إحساسُ كيمان بالضيق شديدًا، وقد صارت كلّ خططه وطموحاته في مهبّ الريح، هذا الحريق أتلفَ نقطة التفوق الكبرى التي كانت تجعل مكانته عند الأمير مرتفعة، وتجعل الأمير يعاملُه كشريكٍ وليس كتابع له، وسوف يحتاج شهورًا كثيرة لإعادة إنتاج هذه الدروع، ويعني هذا تأجيلَ خطة غزو مدينة دركا. المشكلة الأكبر أنّ هيئة مساعك اكتشفت مكانه، وبدأت في إرسال جنودها للقبض عليه، وهذا يعني أنّه يريد أن يركز في حماية نفسه أكثر.

«الحلُّ أن نقتل كلّ عملاء مساعك الذين أرسلوهم لمطاردتك، وهذا سيجعلهم يفكرون أكثر من مرّةٍ قبل إرسال غيرهم».قال أوزلو محاولًا تهدئته فأخذَ منه كيمان السوط ثمّ ضرب دالا على وجهِها بقوّة، وقال بغيظ: «والحلّ طبعًا أن تتكلم هذه اللعينة». كتمت دالا صرخة كادت تفلت منها، وهي تلعنهم بلغتها الأصلية، فضربها كيمان ثانية قائلًا: «سوف تتكلمين حتى لو اضطررتُ لتقطيعك إربًا».

أخذه أوزلو خارجَ الغرفة إلى بهو القصر وهو يطلبُ أن يحادثه في موضوع آخر شديد الأهمية. طلبَ منه ان يبادر غدًا ويزور الأمير ليعتذرَ له عن مقتل أحد عمّاله على يد أوزلو، ويخبره أنه كان خطأً غيرَ مقصود، ويطلب منه أن

يعتذرَ بنفسه لأهل القتيل، ويدفع لهم التعويض المناسب. قال كيمان متبرّمًا: "أنا أعرفُ القوانين هنا، وأعرف أيضًا أنه قد يطلب منّي أن أعاقبك". قال أوزلو: "وما المانع؟ قل له إنّك ستعاقبني لكنْ حاول أن تقاومه أوّلًا حتّى لا يطالبك بعقوبة كبيرة". نصحه أن يشرحَ للأمير أهمية أوزلو في خطتهم، وأنّ ما حدث كله هو خطأ أمير دركا الذي أرسل رجاله لحرق المخازن.

قال كيمان: "سأقول له إنّنا قتلنا المرأة التي قبضنا عليها، وأنها اعترفت أنها تعمل لصالح أمير دركا". صمت قليلًا وهو يفكر ثمّ أضاف: "سوف ألومه هو أيضًا، سأقول له إنّ جواسيس أمير دركا الموجودين عنده هم مَن كشفوا سرَّ الدروع، وجعلوه يرسل مَن يحرق المخزون". أطرق أوزلو مفكّرًا، ثمّ وافق على فكرة كيمان، وأضاف: "لكنِ افعل ذلك بحذر، ودون أن تثير غضبه، ثمّ في النهاية أعلنْ أنك ستدفع التعويض،وستقوم بتقليل رتبتي وجَلْدي".

أثارَ الاقتراح دهشةَكيمان فمَن يفعل ذلك، ويقترح أن يخضع لعقوبة الجلد بنفسه، فقال أوزلو: "اسمعني جيدًا، لقد أعجبني طموحُك وخطتك، وقرّرت أن أستمرّ معك في هذا الطريق لتقيم مملكةً على هذه الأرض بدلًا من هؤلاء الحمقى الذين يظنّون أنفسهم أمراءً وهُم عديمو التصرف، أنْ تقوم بجلْدي هو إثبات مهمّ أمام أمير دشان يبرهن على إخلاصك حتى يأتي اليوم الذي نتخلّص فيه منه هو الآخر،

لتصير دشان ودركا إمارة واحدة خاضعة لك".

شعرَ بالارتياح لكلام أوزلو، وقرّر أن يسايره في خطته، وأن يذهب في الصباح لأمير دشان ويفعل كما خطّطا. دخل ثانية على دالا، وحاول أن يقنعها بالحديث دون جدوى، أثار ذلك غضبَه، وجعلَه يهوي على وجْهها بمقبضِ السّوط بعنف، حتى غابت عن الوعي. طلب منه أوزلو أن يتركَها؛ فالفتاة سوف تموت إنْ حاول استجوابها بتلك الطريقة الغاشمة، وقال له بلهجة الخبير: «دعْها لي، أنا خبيرٌ بأمور الاستجواب تلك، وسوف أجعلها تتحدث».

عادَ إلى فيكا، قصّ عليها ما حدث، لكن أخبرها بالطبع أنّ الفتاة التي قبضوا عليها هي جاسوسة لأمير دركا، وأخبرها بالخطة التي اتّفق عليها مع أوزلو، وكيف أنّه أخبره أنه سيكون ذراعه اليمنى في سعْيه نحو السلطة. كان قد حكى لفيكا في أيامِه السابقة عن طموحه الجارف، وعن أحلامه، عنْ كلّ شيء يفكّر فيه، لكنّه حجب عنها حقيقةَ أنّه مهاجر عبر الكون من كوكبٍ آخر، وأنّ أوزلو عميلٌ محترف في منظمة فيرس غير القانونية.

«سأكون ملكًا وأنتِ الملكة، وابننا القادم وليًا لعهدي، وأوزلو سيكون وزيري الأول». قال كيمان وقد اتّسعت ابتسامته قدرَ اتّساع أحلامه، لمحَ على وجه فيكا بعضَ التّردد، شعر أنها تريد أن تقولَ شيئًا، لكنّها تخشى أن تضايقه فاستحلفَها أن تقول ما في صدرها، فقالت: «أوزلو

مخلص فعلًا، لا أشكّ بهذا، لكن حين تحققَ أحلامك بمساعدته سوف يأتي عليه يوم ويطمع فيك، ويريد أن يكون مثلك هو الآخر». اضطرب تفكيرُه للحظة قبلَ أن تكمل هي: «كلّ ما أقوله يا سيـ.. أقصدُ يا حبيبي، هو أنك لابدّ أن تجعل هناك رجالًا آخرين حولك، وليس مجرد شخص واحد، ليسَ من المهمّ أن تفعل هذا الآن، لكنْ ضعْه في خططك يا سيّد الدنيا، أنا واثقة أنك ستنشئ مملكةً تضمّ سارتا كلّها، وتخلع الملك الأبله، وتصير أنت كيمان ملك سارتا وسيدها، ويصير أوزلو واحدًا من رجالك، ووزيرًا من ضمن وزرائك، وليس وزيرك الوحيد».

نظرَ إليها منبهرًا وهو يسأل نفسه كيف يمكن أن تكون فلاحةٌ بسيطة على هذا القدر من الذكاء. «هل تعرفين التاريخ؟».سألها فقالت: «كلّ أمّ من الدرابيين تحكي لأطفالها قصة ملوكنا القدماء، وأفعالهم العظيمة، وقصتك مع أوزلو هذا تشبه قصةَ أحد الملوك، كان شابًّا بسيطًا، واستطاع أن يهزمَ الملك الظالم، ويستولي على الحكم، وجعل صديقه المقرّب وزيرًا، ولكنّ هذا الصديق طمع في الملك، وحاول خيانته، لولا أنّه تنبّه للخيانة في الوقت المناسب».

-٢٥-

نوبة من التّأنيب الشديد تعرّض لها رمزي حين أخبر السيد كودو رئيسَه بنبأ أسْر دالا. كان هناك لومٌ أيضًا للسيدة ناديا، فهي مسئولة عن التّنسيق المبني على معلومات تجمعها من مصادر مختلفة، وقد أخفقت في التنبؤ بأنّ هذا قد يحدث. كان السيد كودو على وشك إجهاض المهمة والتنصّل منها، وإخبار القيادة لتكلّف فريقًا آخر بتلك المهمة.

«هل سنتخلّى عن دالا؟». قال رمزي بضيق محاولًا أن يكتم غضبَه، فقال كودو وهو يلوّح بيده: «سيقوم الفريقُ الآخر بمحاولة إنقاذها، إذا عادت معهم سنعيد تدريبها هي ووليد ونكلّفهم بعد ذلك بمهامّ أصغر، وإذا ماتت فليس بيدِنا حيلة، وكلّ مَن يقبلون العمل معنا يعلمونَ بالمخاطر».قال رمزي بإصرار: «لكن يا سيدي لديّ خطة أخرى لا تتضمّن تركها للموت، ولا تتضمّن أيضًا التخلي عن مهمتنا».

بعدَ إلحاح وشدّ وجذب، وبعد أن تدخّلتْ ناديا في الحوار بعدَ أن استدعاها كودو، وافق الرجل على خطّة رمزي وقال: «أنت تضع ثقةً كبيرة في وليد هذا، أرجو أن يستحقّها». أكّد رمزي أنه يثقُ بقدرة وليد على تنفيذ خطته، واستأذن كودو، وذهب إلى غرفة التحكم والمتابعة التي يدير منها

العملية، وطلب وليدًا، وشرح له الخطة.

لم يكنْ وليد على درايةٍ باختطاف دالا إلّا في الصباح. أمضى بقيةَ ليلته في قلق شديد عندما لم يأتِه اتصالٌ منها. حين وصل لمقرّ خدمته بعدَ الشروق سمع همسًا يتردّد بين بقية رجال كيمان مَفاده أنّ أمير دركا أرسل مجموعةً أشعلت النار في مخزون الدروع والقماش المخصص لصنعها، وأنّ أوزلو قبضَ على فتاة منهم ويحاول استجوابها.

اختلى بنفسه وأبلغَ رمزي بالأمر، ولم يأته ردٌّ منه حتى عادَ لغرفته في عين شمس، واتصل به ثانية، وعندها أبلغه رمزي بالخطةِ التي ينبغي أن ينفّذها لحظة عودته. مضى اليوم ثقيلًا على وليد، كان يتعاملُ معَ الناس بنصف عقله فقط، حتى إنّه في غرفة العمليات استأذن من الجراح متظاهرًا بالإجهاد، يارا لاحظتِ انْشغاله حين قابلته وحاولت بإلحاحٍ أن تخرجه من حالة الضيق التي كان فيها، وسألته أكثر من عشر مرات عن سبب شروده.

قالتْ له قبل أنْ تتركه وتعود لعملها: «الموضوع يتكرّر يا وليد، هذه ثاني مرة أشعر أنك تخفي عنّي سرًّا». وانصرفت دونَ أن تنتظر ردَّه. لم يكترث كثيرًا بغضبها هذه المرة، فقد كان إحساسُه بالقلق على دالا شديدًا، وكذلك إحساسه بعدمِ جدوى الوقت الذي يضيّعه بعيدًا عن كوكب شوريد وهو على وشكِ تنفيذ خطة جريئة.

مضى اليومُ وليلتُه، وعاد أخيرًا إلى كوخه، كانت شمس دشان قد غربتْ للتّو، وكانت الحقول ساكنةً كالمعتاد، وأغلب المزارعين في أكواخهم. مضى في طريقه بين الحقول، حاول لوز اللحاقَ به، أثار ذلك دهشته، وكأنّ هذا الحيوان الغريب يشعر به، بالأمس لم يحاولْ لوز اللحاق به، لكنّه اليوم يشعر فعلًا أنّه بحاجةٍ للصحبة، وأنّه يمضي لمكان مجهول. بالأمس كان واثقًا في مهمّته يعرف أينَ سيذهب، وماذا سيفعل، واليوم ليس واثقًا من شيء، وليس متأكّدًا من دقة الخطة، ويبدو أنّ لوزًا شعر بهذا، ولذلك يريد أن يرافقه.

خرجَ من المنطقة الزراعية إلى المدينة نفسها، ولوز يقفز حوله أحيانًا، ويتعلق به أحيانًا، كانت لا تزال المدينةُ متيقظة، بعضُ الباعة لا يزالون في أماكنهم، وبعضُ الناس في الطرقات، وهو يسير مسرعًا غير عابئ بما يراه.دخل المنطقةَ الصناعية، قطع طريقًا طويلًا بين الورش والمصانع، كان بعضُها لا يزال العملُ فيه قائمًا، اخترق منطقة أكواخ العمال حتى وصل لكوخ حجري، دفع أجرَ العبور للأنفاق، ومشى في طريقه لمقابلة هادو دونَ أن يعترضه أحد.

وصلَ لمقرّ هادو فقالَ له الحارس: «ماذا تريد؟». فقال متحدّيًا: «أنْ أتحدث إلى سيدك». دفعه الرجلُ بغلظة طالبًا منه أن ينتظر، بعدَ قليل دخل مقرّ هادو، لم يكن عنده صبر للمحاورة أو الكلام بطريقة دبلوماسية كما أمره رمزي. قال

للرجل: «أنت مدينٌ لنا بخدمة». ضحك الرجل ساخرًا وهو يقول: «هادو لا يدين لأحد أيها الأحمق». فقال وليد بتحدّ: «أنا لست أحمقًا، ونحن دفعنا لك لتختطف كيمان فأخذته وهربتَ به لتل الظلال».

صمتَ هادو وقطّب جبينه، ثمّ قام واقفًا وتأمّل ملامح وليد، ثمّ قال: «أنت كنت مع حراسه وأنقذته مني». ثمّ نظر إلى لوز وقال: «وهذا الأوران هو مَن دلك على الطريق أليس كذلك؟». وافقه وليد على كلامه، حكّ هادو مقدمة رأسه مفكّرًا، وهو يتساءل عن السبب الذي يجعل أحدًا يستأجره لاختطاف كيمان ثمّ ينقذه منه، ليس هناك مبررٌ لذلك من وجهة نظره.

قال وليد: «زميلتي استأجرتك لاختطافه، لكنّك خدعتنا وكنت تريد المساومةَ أو الاحتفاظ به لنفسِك وطلب فدية، أنا أطالبك بحقّها». نظر الرجل له مليًّا ثمّ سأله: «لماذا أنقذته إذًا؟». فقال وليد: «لأنّه يخصنا نحن فقط، نحن نريده لسداد ديْن قديم».

سأله الرجل عن بلده، وكان مندهشًا لأنّ وليد ليس درابيًّا، فلا يوجد إنسان غريب عن سارتا وغير درابي أيضًا يستطيع التقاربَ مع أورانه بهذا الشكل. طلب وليد منه بحزم أن يكفّ عن تلك الألاعيب، فقال الرجل بغضب: «هل جننتَ يا فتى!، كيف تأتي لمقرّي هنا وتتكلّم معي بهذه الطريقة؟».

قال وليد بصوتٍ هادئ لكنْ بنبرة ملؤها التحدّي: «اسمع يا رجل، كيمان ينتمي للقارة الغربية وقد سرق أموال مدينتنا، ولذلك كلّفنا الحاكم بمطاردته وإعادته حيًّا إلى المدينة، ونحن من خيرة المقاتلين، لست فتى وليست زميلتي مجرّد فتاة، واسأل رجالك الذين واجهوني من قبل، زميلتي الآن أسيرةٌ عند كيمان، أريد منك أن تساعدني في تحريرها، وأن تساعدني في خطفِه بعدها مباشرة، وسوف نكافئك بسخاء».

ضحك الرجلُ بصوت عال، واتّهم وليدًا بأنّه يهذي، وهدّده بالقتل، لكن وليد فاجأه بقوله: «نحن نعرفُ عن فرقك التي تجهّزها للثورة على الأمير، وأنك تبني خطةً طويلةَ الأمد للحصول على جيشٍ من الدرابيين المتحمّسين هنا في دشان ودركا وبردا، ونعرف بالأنفاق التي يتدرب فيها رجالُكم في تلك المدن، ويمكن أن نفشي أسرارَك وأسرارَ رجالك للأمراء».

كانت تلك المعلوماتُ كلّها جديدةً على وليد، أخبره بها رمزي اليوم فقط، قال له إنّهم استطاعوا معرفتها بفضل رقاقةِ التنصّت التي تركتها دالا في مقرّ هادو. جعلته تلك المعلومات يدرك أن ما يبدو على السطح مختلفٌ تمامًا عن الحقيقة الكامنة، وأنّ الدرابيين ليسوا جميعًا راضين بالذل ومتقبّلين لحقيقة استعبادهم. تعلم لحظتَها أن لا يحكم بالظاهر دومًا، وأنّ الرماد كثيرًا ما يخبئ تحته نارًا مستعرة.

هبّ هادو واقفًا، وأمسك وليدًا من تلابيبه وهو يقول له: «كيف عرفت هذه المعلومات؟». قال وليد وهو يزيح يدَه: «دعكَ من كيف عرفت، الأخطر هو أنّ كيمان بدأ يصنع دروعًا تقي جنوده من الإصابات، وتجعل إصابتَهم عسيرة، وأنّه لو وصل إلى الإمارة فسوف يقضي على كلّ آمالك في التمرّد على الحكام، ساعدني في تحرير زميلتي، وفي اختطافه».

«هناك بعضُ الأخبار تصلُ للأمراء عنّا، لكنهم لا يُعيرونها اهتمامًا، ويظنون أن الدرابيين يستحيل أنْ يثوروا، ويقولون إنّ الدرابي ترعبه الوخزةُ وتسكنه اللقمة، تهديدك بإفشاء أسرارنا لنْ يفيدك، سيقولون إنّها مجرد إشاعات وأساطير». قال هادو وهو يرجع إلى مقعده، ثمّ أضاف: «لكنّ موضوع الدروع التي يصنعها كيمان هو الأخطرُ، وهو ما سيجعلني أساعدك». ابتسم وليد في ظفر، لكنّ هادو أكمل قائلًا: «سوف نساعدك في تحرير زميلتك، لكنْ بشرط أن تأتي بدرع مِن تلك الدروع لنتأكّد من صدقك». قال وليد: «زميلتي مختطفَة في القصر الذي يوجد أسفله مخزنُ الدروع، لقد احترقَ أغلبها، لكنّني متأكد من وجود بعضِها هناك، ساعدني في اختطافها واحْصل على بعض تلك الدروع».

«مَن يضمن لي أنّك لا تكذب، وأنّ حكاية الدروع تلك خرافة؟». قال هادو فأجابه وليد: «الكلّ شاهدها أمامَ قصر

الأمير تتصدّى لسهام رجاله، ثمّ إنني سأشارك رجالَك في إنقاذ زميلتي، إذا وجدتني كاذبًا يمكنك أن تفعلَ بنا ما تشاء». أومأ الرجل برأسه موافقًا، لكنّه اشترط على وليد أن يحتفظَ بلوز كرهينة. رفضَ وليد بإصرار، لكنْ هادو قال له: «لوز من سلالةٍ نادرة من الأورانات، وهو من النوع الذي ينشئ علاقةً خاصّة مع صاحبه، تشعر معها أنه مثل ابنك لا يمكنُك التخلّي عنه، هذا ما أشعرُ به نحو أوراني، ولهذا فإنّ وجوده رهينة لدينا يضمن صدقك».

-٢٦-

كانتْ أمُّه تصلي خارج غرفتها، وترفع صوتها في التكبير دليلًا على أنّها تريد تنبيهه لشيء ما، خرجَ وليد يلتفت حوله يمينًا ويسارًا، لم يجدْ شيئًا لكنّه سمع طرقًا خفيضًا على الباب، فتحه فوجدَ محصلَ الكهرباءفدفع له المبلغَ المطلوب. كانت أمُّه قد أنهت صلاة، وبدأت تستعدّ لصلاة تالية، همس وليد لها قائلًا: «ادعُ لي يا أمي». تجمّدت يدُ أمّه وهي ترفعها للتكبير، وسألته: «ماذا حدث، هل فعلت مصيبة ما؟» قال لها: «يا أمّي، أقول لك ادعُ لي، نويت أن أدخلَ في مشروع أريد دعواتك».

بالطبع لم يكنْ يعني المشروع الذي سيشارك فيه أحمد صديقه كما قال لها، وإنما كان يقصد مشروعَه الآخر في كوكب شوريد. كان قلقًا على دالا، وما يحدث لها على يدِ أوزلو، ذلك الغليظ الشّرس، يعلم أنه لنْ يتوانى في تعذيبها لأقصى حدّ ليعرف منها معلومات عن مهمتها، وعن شركائها. لم يكنْ ذلك مبعثَ قلقه الأكبر، وإنما لوز الذي تركه رهينة مع هادو، كان مجبرًا، فقد قال رمزي إنّ مساعدة هادو هي الأملُ الأخير، وطمأنه أنّ الرجل سوف يعيده إليه لأنّه سيتأكد مِن صدقه حالما يجدُ الدروع، وأنّ البديل هو إلغاء العملية تمامًا.

غيرَ أنّ ما جعله يوافق على تلك المخاطرة هو وعدُ رمزي

بأنّه سيجعله يحتفظ بلوز بعد انتهاء المهمّة بعدَ أخْذ بعض الاحتياطات أوّلًا. «إذا وافقتَ على ترك لوز رهينة مع هادو فأنا أعدُك أن تحتفظَ به، أمّا إذا رفضت فسوف ننهي العملية، ونعيدك، ولن تراه مرّةً أخرى». كان ذلك آخرَ كلام رمزي، وهو ما جعل وليدًا يرضخ للأمر.

دخل غرفتَه، واستعدّ للانتقال والعودةِ لمهمّته، وصل إلى كوخه الذي كان موحشًا للغاية في غيابِ لوز. انتظر بعضَ الوقت حتى يحين موعده معَ هادو ورجاله، لم يطق البقاءَ في الكوخ فخرجَ يمشي بين الحقول يملأ صدرَه من نسمات ليلِ دشان العليلة الخالية من رائحة البنزين والعربات كالتي يجدها في أرضه.

ذهبَ إلى أكواخ عمّال الأمير التي تقع بالقربِ من قصر كيمان الصغير الذي يقع المخزن أسفله. وقفَ أمام خامس كوخ، كان البابُ موارَبًا، فتحه ودخل فرأى أورانا بالدخل، ورجلٌ وامرأة ينتظرانه. قال الرجل إنّ هناك عشرة رجال سيتسلّلون معهم من الأكواخ، وإنّ هادو ومعه عشرون رجلًا آخرين سوف يتسلّلون من بين الحقول.

المساء كان باهتًا، الأقمار الثلاثة كانت مُغطاة بالغيوم التي ملأت السماء، منذرةً باحتمال المطر الذي كان وليد سيراه أوّلَ مرةٍ في هذا الكوكب. «لو أمطرتْ فإنّ ذلك في صالحنا لكن احترس من الصواعق». قال الرجل لوليد،فسأله: «متى سنتحرّك؟». فقال الرجل: «سوف

نسمع صوتَ نسور الليل وعندها سنتحرك».

لم تمضِ دقائقُ حتى رأى وليد التماعاتِ البرق تظهر من فتحات الشباك متتالية مبهرة كأنّها أضواءُ فلاش كاميرا كبيرة، بعدها علا صوتُ الرعد يصمّ الآذان. قال متوتّرًا: «كيف سنسمع الإشارةَ إذًا؟». طمأنه الرجلُ وهو يطلب منه الهدوء. مرّ الوقت بطيئًا، وبدأ هطول المطر، ووليد يزداد توترًا، ثمّ أخيرًا جاءت الإشارة، صوتُ صريخ حادّ متقطع أشبه بصوت الصقور، لكن أخشن قليلًا.

خرج الرجلُ والمرأة ومعهم وليد، وضعَ الرجل سيوفهم الثلاثة في جرابٍ جلدي لكي لا يجذب المعدن صاعقة نازلة من السماء، بدأوا الزحفَ على الأرض للاختباء من الصواعق، ومن الحرس والمتلصّصين. وصلوا لباب القبو الذي اخترقه وليد من قبل، كان الباب مغطى ببعض الشجيرات والنباتات، ولا حراس حوله.

فتح الرجلُ الباب، نزلوا السلم بهدوء وحَذر، وليد أوّلًا، ثمّ الرجل، ثمّ المرأة، ثمّ بقية المجموعة. كانت هناك معركةٌ في ذلك الوقت قدْ بدأت عند أبواب القصر، ويبدو أنّ حراس باب القبو هذا استجابوا لنداءٍ ما، وتركوا مكانهم. كانت الخطة أن يكسروا الحائط الرقيق الموجود بالقبو، والذي يفصل هذا الجزءَ عن الجزءِ المتصل بباب داخل القصر، ثمّ يدخلون لتحرير دالا والخروج بها بنفس الطريقة، ويطلقوا صوتَ الطائر الليلي لينسحب زملاؤهم.

كان القبو محترقًا، ولا يزال به محتوياتٌ متفحّمة كثيرة، رائحتها تزكم الأنوف، بحث وليد بين البقايا المحترقة عنْ درع سليم حتى وجدَ واحدًا أخيرًا أسفلّ كومة كبيرة، طلب من رجلين مساعدته لسحبِ الدّرع السليم من أسفل الكومة، لكنّ قائد المجموعة نهره، وطلب منه أن يكفّ عن تأخيرهم، فقال وليد بحدّة: «هذا طلب مهمٌّ لهادو، قمْ أنت والباقين بكسر الحائط حتى أحضر درعًا».

لحُسن الحظّ وجد وليد درعًا سليمًا بالكامل، ودرعين احترقتْ بعضُ أجزائهما، وضع الثلاثة في جراب، وحمله على كتفه، وساعد الباقين في كسر جزءٍ من الحائط. كانت الناحية الأخرى من القبو متفحّمة تمامًا، ويبدو أنّ دالا قامتْ بواجبها في حرقها على أكمل وجْه. دخلوا من القبو لبهْو القصر، ولم يكن هناك أحدٌ بالداخل، فالمعركة مُحتدمة خارج البوابة.

بدأوا البحثَ عن دالا، وحين طالَ بحثُهم، نادى وليد بصوتٍ مرتفع: «دالاااا». جاءه الردُّ سريعًا، صوتُها الواهن تصاعَد من إحدى الغُرف، فتوجّه إليها ومعه رجلان. كان صوتُ ندائه قد جلب انتباهَ البعض في الخارج، وجعل أوزلو يعودُ للداخل ومعه ثلاثةٌ من رجاله وهو يصرخُ في الباقين آمرًا إيّاهم بالقتال.

وجدَ وليد البابَ موصدًا، انبرى هو ومَن معه في محاولة

فتحه، كانت المعركةُ قد انتقلت للداخل أيضًا، وكان أوزلو يضرب الرجالَ بقوّة، لدرجة أنّه أسقط اثنيْن في الدقائق الأولى. خرجت دالا أخيرًا، قطع وليد قيودَها وهو غاضبٌ من رؤية آثار الضربِ على وجهها وكتفيها وذراعيها، اعتذرَ لها وهو يحملُها خارجًا، فقالت بصوتٍ واهن رغمَ نبرة السخرية الموجودة فيه: «هذا جزاءُ مَن يعتمد على مبتدئ مثلك».

كان الغضبُ في أعماق وليد يتصاعد بشدة، وصوتُ أوزلو الغليظ وهو يصرخُ فيمَن يقاتلهم في بهْو القصر يؤجّج ذلك الغضب. تركَ دالا للرجليْن الآخرين يتّجهان بها نحوَ باب القبو. اشتبك في المعركةِ هو الآخر، قفز قفزةً هائلة في الهواء تجاوزَ بها رقابَ رجليْن وهو يهوي بسيفه على رأس أوزلو قاصدًا قتلَه، ضاربًا عرضَ الحائط بالتعليمات التي تجعل القتل خيارًا أخيرًا.

تلقّى أوزلو الضربةَ على سيفه، لكنّها كانت من القوة أنّها جعلت سيفه يرتدُّ للخلف، ويصيبه بجرحٍفي وجهه، ووليد يسقط أرضًا. هجم أوزلو عليه ثانيةً مُنتهزًا فرصةَ سقوطه وقد اشتعل غضبُه حين رأى وجهَ وليد، وعلم أنّه خدعه حين رآه سابقًا. ضرب مقاتلٌ آخر ظهرَ أوزلو الذي تشتّت انتباهه للحظةٍ كانت كافية ليقوم وليد ويتصدّى له ثانية.

كانت المعركةُ بين وليد وأوزلو قد اشتعلت، واستطاع بقيةُ الرجال القضاءَ على رجاله في الداخل. كان أقوى،والضّربةً منه تزلزل ذراعَ وليد حين يصدّها، لكنّه كان يتحمّلها

بجَلَد، ويردّها بواحدةٍ أقوى، مدفوعًا بغضبه الشديد، كانت المعركة في الخارج قد مالتْ لصالح رجال هادو، وبدا أنّ هناك تغييرًا في الخطة؛ فقد قرّروا أن يقتحموا القصر، ويأخذوا ما فيه غنيمةً لهم. اشترك رجلان من رجال هادو في قتالِ أوزلو ليساعدوا وليدًا في التخلص منه.

حين رأى أوزلو تكاثرَهم عليه وصلابةَ وليد في قتاله؛ قرّر الفرار، فهجم على وليد بضربات متتالية، ثمّ قفز على رجلٍآخر، فأسقطه قبلَ أن يقفز نحوَ باب القصر، ويعْدو نحو حصانه، ويأخذه متّجهًا به بأقصى سرعةٍ نحو الباب، وهو يلوّح بسيفه يمينًا ويسارًا، والدم ينزّ من عدة جروحٍ في جسده. أشار هادو لرجاله بالتوقّفِ عن مطاردته، دخل القصرَ وهو يأمرهم بإحضار كلّ ما يصلُح للقتال، ويأمر بإحضار دالا لتخرج معهم من نفس الطريق.

وقفَ هادو وسطَ رجاله كزعيمٍ يخطب في أتباعه. في كهفٍ واسع من كهوف تل الظلال كان يتحدّثُ بصوت حماسي أمامَ جثث ثلاثة من أتباعه قضوا في المعركة التي انتهتْ للتّو. بيده الدّرعُ الذي جاء به وليد وهو يقول إنّ الحصول على ذلك الدرع وإنتاجَ دروعٍ مثله خطوةٌ كبرى في تحقيق حلم الدرابيين لاستعادةِ مجدهم، والتخلّص من ذلّ الملاك لهم.

كان وليد يجلسُ على مقربةٍ منه يضمّد جراحَ دالا التي بدأت تستعيدُ وعيها، وإن كانت لا تزال جراحُها مؤلمة، وبعضها لايزال ينزفُ ببطء. كانت تحتاج علاجًا جراحيًّا، وكان يفكّر أن يعود بها إلى الأرض ليعالجها، ثمّ يعود معها هنا لإكمالِ المهمة. كان ذلك يحتاج إلى استئذان من رمزي، وموافقةٍ على الخطة التي يفكّر فيها، وكان يحتاج- أيضًا- إلى التفكير في حجة يبرر ظهورَ فتاة غريبة مُصابة في بيتهم فجأة هكذا دون أن تقتله أمّه، أو يطرده أبوه من البيت.

كان لوز يجلس جوارَه منكمشًا لا يفعل شيئًا، وإنّما يراقب هذا التجمعَ الغريب بفضول. بعد أن أنهى هادو خطابَه في رجاله أجرى بعضَ الطقوس حول جثث الموتى الثلاثة، ورشّ على أجسادهم سائلًا ما، ثمّ طلبَ من زملائهم حملهم على ثلاثِ محفّات، وخرجوا بهم من الكهف. سأل وليد

أحدَ الرجال في فضول عن مكانِ ذهابهم، فقال الرجل إنّهم يدفنونهم في مقبرة عند سفح التلال.

«لقد أثبتّ صدقك وشجاعتَك يا أونات، أنا سعيد بمعرفة محاربٍ صلب مثلك». قال هادو وهو يقتربُ من وليد (أونات) وهو يؤكّد انبهاره بمسألة الدروع تلك، ويقول إنّه كان يشكّ أن خلفها حيلة ما. قال وليد بترقّب: «إذًا، سوف تساعدنا في اختطاف كيمان؟». قال هادو مقطّبًا جبينه وعلى وجهه أماراتُ التفكير: «أجبني أوّلًا يا أونات، كيف تستطيع القتالَ بهذه القوة أنت وذلك الضّخم اللعين حارس كيمان رغمَ اختلاف حجم أجسادكما». فردّ وليد «أنا أتدرّبُ على القتال منذ كنتُ طفلًا...». ثمّ أشار إلى دالا مكملًا: «زميلتي هذه أيضًا من نفس الفرقة».

جلس هادو أمامه وهو يحكّ مقدمة رأسِه مفكّرًا، ثمّ قال: «إذا كنت أستطيعُ إنشاء جيشٍ من شباب أمثالك فسأضمنُ أن أحقق حلمي، يمكنني أن أنتظرَ عشر سنوات أخرى أدرّب فيها أطفالًا على القتال هكذا حتّى يكبروا محاربين لا يُشَقّ لهم غبار». ارتبك وليد، وشعر أنّ كذبته الصغيرة ستجعل الرجلَ يبني عليها خططًا، فقال: «يمكن أن تدرّب شبابًا عامين او ثلاثة، فهذا يكفي».

قام هادو معه وأوصلَه حتى كهفٍ آخر صغير، وقال له إنّه يمكنه أن يمكث فيه حتى تستعيد زميلتُه عافيتها، ويستعدّ لتنفيذ خطته لاختطاف كيمان، فقال وليد: «الأمر

لن يستغرق وقتًا، سوف نهاجمه قبلَ المغيب مباشرة حين يستريح في بيته». قال هادو مندهشًا: «ألا ترى أنك تتعجّل هكذا؟!». فقال وليد: «بالعكس، يجب أن نضربَهم وهم لا يزالون في حيرةٍ وصدمة من ضربتنا السابقة».

وافقَ هادو على أنْ يمدّ وليدًا بثلاثةٍ من رجاله لمساعدته في مهاجمة كيمان، فقال وليد مستنكرًا: «وهل يكفي ثلاثة؟». برّر هادو ذلك بأنّه لا يستطيع المخاطرة أكثر، وأنّ الفائدة التي ستعود عليه مِن اختفاء كيمان لا توازي مخاطرةً أكبر من ذلك، ثمّ أردف: «الثلاثة مِن أشجع رجالي، وهم يساوون عشرة، متى تريد أن أرسلهم لك؟». طلبَ وليد منه أن يرسلهم في منتصف النهار كي يرتّب معهم الخطةَ بشكل جيد، كان يخشى أن يرفضَ رمزي أو السيد كودو أن يقوم بذلك الهجومَ السريع فيضطرّ للتراجع، لكنّه أبدى استعداده أمام هادو مع ذلك.

اتّصلَ على رمزي، وأطلعه على خطته، وطلب منه أن يأخذَ دالا ليعالجها في الأرض ويعود معها في اليوم التالي. بعدَ شدٍّ وجذْب واستشاراتٍ ونقاشات أخذَ وليد الإذن، لكن رمزي أضاف تفصيلةً صغيرة للخطة، وهو أن يصل وليد للأرض في الثالثة عصرًا كالمعتاد، وتصل دالا بعده بساعةٍ في المستشفى الذي يعمل بها، وأنْ يحدّد نقطة بدقة تصل فيها تكون خاليةً من الناس.

تمّت خطةُ الانتقال، وكان وليد في انتظار دالا في

المستشفى المسائي الذي يبيتُ فيه ليلًا. دخل بها غرفة الطوارئ، واتّصل بطبيبِ الجراحة، أخبره أنّ الفتاة قريبته، وأنها بكماء، وأنها في مشكلة، واستطاع بعدَ جَهد أن يدخلها غرفةً بالمستشفى بضمانِه الشخصي. كان من الصعب أن يقبلَ طبيبٌ مريضةً مصابة دون إثبات شخصية لوْلا أنّ وليدًا كان حَسن السمعة، ومحبوبًا من الأطباء، ومن زملائه على السواء.

لم يضعْ في حسبانه أن يجدَ يارا واقفةً أمامه في غرفة العمليات تسأله عن تلك الفتاة، وعن علاقتِه بها. كانت تستشيطُ غضبًا وهي تطلبُ منه تفسيرًا مُقنعًا، وألّا يحاول الكذب عليها ثانية، وانفعلت أكثرَ حين قال إنّه لم يكذب عليها من قبْل، قالت في صوتٍ غاضب حزين: «أنت تخبئ عنّي شيئًا، كنت أكذّب نفسي وأقول إنّك تعاني من مشكلةٍ في العمل، أو أنك متوتّر بسبب مشروعِك الجديد مع أحمد، لكن أن تحضرَ فتاةً من الشارع مضروبة علقةً ساخنة وليس معها أوراقٌ وتتحايل لإدخالها المستشفى في غرفةٍ مدفوعة الأجر، وتحضر لها عشاءً من كنتاكي أيضًا؛ هذا ما لا يمكن أنْ أتجاوز عنه!».

كان من الواضح أنّ زميلات يارا قد قمنَ بالواجب، ونقلنَ لها الأخبار بدقة. قال وليد محاولًا تهدّئتها وهو يمزح: «لقد أحضرتُ لها وجبة كنتاكي ثلاث قطع فقط، وأحضرت لك الوجبة الأكبر ذات الخمس قطع». رفعَت أصبعها أمامَ

وجهه تحذّره من السخرية منها، فطلب منها أن ترافقَه لغرفة دالا لتتعرف عليها، ويثبت لها أنّه يقوم بعملٍ لوجه الله، ولا يقصد شيئًا.

حينَ رأتها هدأت قليلًا، فقد كانت ملامح دالا بمقاييسنا العربية أبعدَ عن الجمال، كانت تريد تفسيرًا مُقنعًا، وصارت أقربَ للتّصديق بعد أن رأتْ دالا. قال لها إنّ دالا أجنبية من دولة فقيرة، وإنّه وجدها مصابةً في الشارع بعد أنِ اعتدى عليها اللصوص، وسرقوا كلّ ما معها. تكلمت دالا بلغةٍ عربية ركيكة محاولةً تأكيد قصة وليد وهي تمنعُ نفسها من الابتسام بصعوبة. سألته لماذا لا تبلّغ الشرطة؟ فقال لها: «لا أعرف، لقد استحلفتني ألّا أبلغ الشرطة وهي ترطنُ بلغة غريبة، ولا أفهم منها إلّا القليل، لقد أخبرت الطبيبَ أنّها قريبتي، وأنّها خرساء لكي لا يتساءلوا كثيرًا».

أخذتْه من يده وخرجتْ معه من الغرفة، وقالت بصوت هامسٍ فيه نبرةُ غضب: «طيبة قلبك هذه ستذهبُ بك في داهية، مَن يدريك ماذا تفعل تلك المرأة! قد تكون تاجرةَ مخدرات أو جاسوسة أجنبية أو....». قاطعها وليد قائلًا: «غدًا صباحًا سوف تمضي لحال سبيلها، ولن يسأل أحدٌ عنها، صدّقيني، لن أكرّرها مرة أخرى».

مضتِ الليلة بهدوءٍ بعد أنِ اقتنعت يارا بحُسن نيته، غاب وليد عن عمله الصباحي واصطحب دالا في الظّهر لإحدى الحدائق حتّى حانت ساعةُ الانتقال، فعادا معًا لكوكب

شوريد في الكهف الصّغير الذي تركهما هادو فيه، وقد استعادتْ دالا عافيتها تمامًا، وصارت مستعدّةً لخوض المعركة الأخيرة في تلك المهمةِ التي طال وقتُها عن حدِّه.

-٢٨-

كان اللقاءُ عاصفًا بين كيمان وأوزلو، كلا الرجلين كان غاضبًا، ويتّهم الآخر بأنه مقصّر، وأنه السببُ في هذه المشكلة التي حدثت. كان كيمان قد عادَ للتّو من لقائه مع أمير دشان، وقدّم له وعودًا جديدة، ودفع أموالًا طائلة لتجنّب جَلْد أوزلو الذي تراجعَ في وعده بقبول العقوبة. الأمير كان غاضبًا، ورأى أنّ كيمان يماطل، أو أنه متخاذل، وليس بالقوة التي كان يظنّها، وبذل مجهودًا كبيرًا لإقناعه بالعكس.

كلّ ما كان يهمُّ أوزلو في تلك اللحظة هو الانتقامُ من الشابّ والفتاة اللّذيْن فعلا كلّ هذا، وإيجاد البقيةِ الذين ساعدوهم. كان يشكّ أنّ مِن العمال مَن اشترك في اختطاف كيمان سابقًا، وفي تحرير تلك الفتاة، وكان يريد أخذَ مجموعة عشوائية، وتعذيبهم حتى يكتشف الحقيقة.

«سوف ألقي القبضَ على كلّ مَن تعامل مع أونات هذا، وسوف أعلّقهم على الأشجار حتى يعترفوا عن مكانِه هو والفتاة». هتف كيمان في غيظ: «ومَن أدراك أنّ هيئة مساعك لم ترسل غيرَهم أو تستبدلهم؟!». فقال أوزلو هازئًا: «هل صرتَ خبيرًا بأمور الهيئة، هذا عملي لا تحاول التدخلَ به أو حتى التفكير، اسمعْ ما أقوله وحسب». احتدّ كيمان عليه وقال: «أنا أدفع لكم لكي تعملونَ بأوامري لا

العكس».

هتفَ به أوزلو غاضبًا: «نحن نقدّم لك خدمةً خطرة، وعليك أن تطيع القواعدَ في حالة الطوارئ». فقال وهو يشيحُ بوجهه: «ربّما عليّ أن أطلبَ منهم أن يعيّنوا لي واحدًا أكثر كفاءة منك، فأنا لا أدفع قليلًا». هجم عليه أوزلو وأمسكَه من رقبته بعنف، وشدَّه نحوه حتى صارت أنفاسُه الغاضبة تلفح وجهَه وهو يقول: «هل تعلم أنّني يمكن أن أنتزع لسانَك من حلقك بيدي، ثمّ أدفنك تحتَ القصر الذي تزهو به، وأخبر رؤسائي في منظمة فيرس أن الهيئة قد اختطفتك؟.. ستكون مجرّد عمليةٍ فاشلة وسطَ عشرات العمليات الناجحة التي قمت بها».

امْتقعَ وجهه، وأصابَه جزعٌ شديد، ولم يعرف ماذا يقول، أفلته أوزلو ثمّ ألانَ صوته قائلًا: «معذرة، أنا لا أتحمّل أن يشكك أحدٌ في كفاءتي، لاحظْ أنّي أعتبرك صديقي وليس مجرّد عميل».تحسّس كيمان رقبته وهو ينظر إليه متوجّسًا دون أن يرد، فأكمل أوزلو: «أريدك أن تكونَ مستعدًّا لأي احتمال، لن يهدأ لي بالٌ حتى أقتل هذيْن اللعينين ومَن ساعدهما، لكن إذا أرسلتِ الهيئة آخرين فهذا يعني أنّك لن تعود بمأمن في هذا الكوكب». هزّ كيمان رأسه موافقًا،فقال أوزلو منهيًا المقابلة: «أريدك أنْ تهدأ، الفتاة مصابة، وهُما لن يحاولا مهاجمتك اليوم أو غدًا على الأقل، سأكون خلال اليومين قد أنهيت تحقيقاتي وتوصّلت لمكانهما».

أنهى المقابلةَ وعادَ إلى غرفته، رأته فيكا حزينًا مهمومًا فحاولت أن تخفّف عنه، قالت إنها تشعر أنّ أوزلو ضايقه أثناءَ اجتماعهما معًا، سألها إن كانت قد سمعت شيئًا، فنفت بشدة، وقالت إنها سمعتْ لغة غريبة يتكلّمان بها حين علا صوتُهما، فقال كيمان مرتبكًا: «هذه لغة القارة الشمالية التي جاء منها أوزلو، والتي قضيت فيها وقتًا في صغري».

صبّت له شرابًا حلوًا، ووضعت أمامَه بعض الفاكهة، وحاولت أن تكلمه في شيء آخر، قالت بدلال: «ما رأيك يا سيدي لو تذهب إلى مدينة الساحل الغربي يومين تقضي وقتَك في الصيد في الجبالِ المطلة على المحيط كما يفعل بعضُ السّادة». نظر لها محاولًا الابتسام، ثمّ مدّ يدَه وأمسك وجهَها ونظر في عينيها قائلًا: «لقد اعتدتُ على وجودك جواري». فقالت: «إنهما يومان فقط، ويمكن أن أذهبَ معك رغم أنّ القواعدَ لا تسمح بوجودي». ابتسم بسخرية مريرة وهو يفكر في أنّه يمكن أن لا يراها ثانيةً بالفعل. كانت الفكرة مُفْجعة بالنسبة له، فيكا هي أوّلُ إنسانة تحتلّه بتلك الطريقة، ولا يتخيل أن يستغني عنها أبدًا.

«ما الذي يُحزنك يا سيدي وحبيبي؟ قل لي فعيونُك الحزينة كالأشواك في قلبي». قالت وهي تضمّ يده إلى وجهها، فقال: «لو قرّرت أن أتركَ دشان، بل لو قرّرت أن أترك القارة كلها، وأذهب للقارة الشمالية؛ فهل تأتين معي؟». دمعتْ عينها وقالت: «وهل لي وطنٌ غيرك، يمكن

أن أستغني عنِ الدنيا كلها، يمكن أن يكونَ نهاري دون شمسٍ، وليلي دون أقماره الثلاثة، لكن لا يمكن أن تكونَ الحياة حياةً دونك، أنت وطني وشمسي وأقماري، أنت زرعي ومائي وأرضي، أنت كلّ شيء، وكلّ شيء في غيابك لا شيء».

تصاعدتْ ضرباتُ قلبه بشدة، وشعر أنه لابدّ أن يخبرها بكلّ شيء، وكيف لا يخبرها وهي صارتِ الإنسان الوحيد القريبَ له في هذا الكون. أخذ نفَسًا عميقًا وقال لها: «أريد أن أصارحك بشيء». فقالت: «وأنا أريد أن أصارحَك بشيء». اندهشَ لقولها ولأنّها لم تسأله عن ما يريد أن يصارحَها به أوّلًا، طلب منها أن تتكلّم أوّلًا، وطلبت هي منه أن يتكلّمَ أوّلًا قبل أن تقاطعهما جلبة آتيةٌ من بهو القصر.

في خارج القصر، قبلَ ذلك بوقت قصير، كانت الشمسُ قد غربت للتّو، وكانت فرقة من خمسة أشخاص تستعدّ لمهاجمة القصر الذي كان بلا حراسةٍ تُذكَر بعدَ أن أخذ أوزلو عددًا من الرجال ومضى يحقّق ويفتش بين المزارعين عن المتآمرين المزعومين. وقفت دالا على مَبْعدة من وليد، ورجال هادو الثلاثة، وأمسكت بمنظارها الدقيق وهي تراقبُ حراسات القصر من أكثر من جهة، تجري للجهةِ الشّرقية ثمّ الشمالية ثمّ الغربية، حتّى تأكدت من عدد الموجودين، واطمأنّت أنّ الهجوم سوف يكون ناجحًا بالتأكيد.

اقتربتْ من وليد والمجموعة، وهمست: «لقد قرّرت

تغييرَ الخطة، سوف نهاجم نحن الخمسة معًا من الباب الأمامي، الحراسُ كلهم هناك، ما إنْ نتغلب عليهم حتى يذهبَ رجلان لإحضار الخيول مِن حظيرتها لنعودَ بها بسرعة لتلّ الظلال». لابدّ من اختطاف كيمان لمكانٍ آمن لأن عملية إعادته دقيقة، وتستغرق وقتًا طويلًا. منظمة فيرس تحقن عملاءها بشريحة إليكترونية تقوم بإلغاء فاعلية أيّ جهاز انتقال، ولذلك ينبغي عليهم أوّلًا أن يزيلوا تلك الشريحةَ من جسدِ كيمان بعملية جراحيةٍ دقيقة قبلَ أن يضعوا سوارَ العودة حول معصمه.

عندَ البوابة اشتبكوا مع ثلاثةِ حرّاس، وأسقطوهم سريعًا، طلبت دالا من رجلين أن يذهبا تجاه مربطِ الخيول بالقربِ من الجهة الأخرى من السور لإحضارها. تذمّرَ الرجلان وقالا إنهما يأخذانِ الأمر من أونات (وليد) حسبَ أوامر هادو. أشار لهم وليد بالموافقةِ على ما طلبته دالا، نظرتْ دالا نحوَه بغيظ وهي تستنكرُ أنّهم يعتبرونه أهمَّ منها.

دخَلَا إلى باب القصر فوجَدَا مجموعةً من الحراس الذين فوجئوا بوجودهم. اشتبكوا معهم في معركةٍ بالسيوف، مبارزاتٌ متتالية سريعة كان وليد ودالا حريصيْن خلالها على عدم قتل أيٍّ مِن الحراس؛ فهُم ليسوا طرفًا في تلك المعركة، وإنّما وضعَهم حظُّهم في هذا المكان. عندما أوشكتِ المعركةُ على الانتهاء فوجئوا بمجموعة من خدم القصر يهاجمونهم مسلّحين بالعصي والسّكاكين، وما

وصلت إليه أيديهم.

تخلّتْ دالا عن سيفها، وهاجمتهم بيديْها العاريتين، فعل وليد مثلها، وكذلك فعَلَ مرافقهم. بعد ما رأى الخدمُ مهارة الرجل والمرأة اللّذيْن يتقافزان كالعفاريت؛ رموا ما في أيديهم واستسلموا. طلبتْ دالا منهم أن يدلّوها على غرفة كيمان، لم يتحدث أحدٌ فصاح وليد قائلًا: «هل أنتم أغبياء، لماذا تحاولون الدفاعَ عن شخص يستعبدُكم، دلّونا أين هو وإلّا ألحقنا بكم الأذى».

تبادل الخدمُ النظرات، تهامسَ اثنان منهم، وقطّب بعضهم جبينه رافضًا، وقال أحدهم منفعلًا: «سيدي كيمان رجلٌ طيب، وأنتم مجموعةٌ من الأشرار، ولن نبيعَه لكم». اقترب وليد منه غاضبًا وهمّ بالإمساك به، لكنّ مرافقهم الدرابي مساعدَ هادو أوقفه، وأخذ الرجلَ وجرّه بعيدًا، ثمّ همس في أذنه بشيء ما جعلَ الرجلَ ينظر له مندهشًا، وعلى وجهه إماراتُ التكذيب، همس ثانية في أذنِه، فرَدّ عليه الرجلُ همسًا هو الآخر، ثمّ قادهم نحوَ غرفة كيمان داخل القصر.

كانت الغرفةُ فارغة، لا أثرَ فيها لكيمان ولا فيكا، فقط فراشٌ وثير واسعٌ ومقاعد خشبية مكسوّة بالحشوات المريحة، وخوان عليه فاكهة وشراب، وخزانة كبيرة، ومرآة تحتلّ نصف حائط جانبي، أمامها طاولة معدنية قصيرة ضيّقة، عليها أدوات تشبه أدوات الزينة. بحث وليد ودالا في أرجاء الغرفة، وفي داخل الخزانة، وتحت الفراش، دقّوا على الأرض بكعوبهم ليتأكدوا من عدمِ وجود قبوٍ ما مخبأ تحت أرضية الغرفة.

خرج وليد يقول لمرافقِهم الدرابي- الذي يقف خارجَ الغرفة يراقب المكان- إن الخادم قد خدعهم، وإنّ كيمان هربَ من مكان ما. أقسم الخادم أنّ سيدَه كان داخل الغرفة مع زوجته الجديدة، احتدّ وليد عليه، وقال إنّ الغرفة خالية. «وليد، تعالَ بسرعة» جاء صوتُ دالا من الغرفة مستدعيًا فهُرِع وليد للداخل، فوجدها تقف جوارَ الفراش تتأمّل فتحةً فيه.

خلفَ ذلك الجدار كان كيمان في الداخل مع فيكا، كانت عيناه دامعتيْن وهي تقسمُ على صدق كلامها، وأنّها لم تخدعه. قبلَ قليل، حين سمعَا صوتَ الجلبة في الخارج أخذها للغرفة السرية، توقّع أن يراها مذهولة، وأن يأخذ وقتًا ليشرح لها ما كانتْ على وشك أن تراه، لكنّها كانت تتصرّف بطبيعية، بل وطلبتْ منه استدعاءَ أوزلو عن طريق جهاز

الاتصال.

اعترفتْ له بحقيقتها، وأنّها تعمل مع منظمة فيرس في مهمّة لحماية كيمان، وللرقابة على أنشطته، والاطمئنان على كفاءة أوزلو ورفاقه في تذليل الصّعاب لصالحه. كانت صدمة له أن المرأةَ التي وقع في حبّها كانت تتصنّعُ هذا الحبّ كجزءٍ من مهمتها، لكنّها أقسمت له أنها أحبّته بالفعل كما لم تحبّ أحدًا من قبْل.

«أنا فتاة درابية، أخذوني منذ عامٍ ودرّبوني ثمّ أعادوني للعمل في حقولك، في البداية وضعوني في طريقك في وقتٍ كنتَ تبحثُ فيه عن فتاة جديدة». قالت فيكا بصوت متهدّج: «كنت أخطط لتمثيلِ دور الفتاة المطيعة فقط، وأراقب الأمور حتى تملّ مني وتطردني من بيتك كما فعلت مع الفتيات قبلي، كانت فترةُ الشهرين تكفيني لأعدّ تقريري عن كلّ شيء وأعود، لكنني ظللت إلى جوارك، وأرسلت لهم أنّني يجب أن أستمرّ بالمهمة؛ لأنّك مُهدّد من قِبَل الهيئة».فقال بابتسامة مريرة: «لك الشكرُ على هذا التفاني في العمل». فهتفت بصوتٍ أقرب للتوسل: «صدّقني، أقسم أنّني طلبتُ ذلك لأنّني أحببتك، لقد كنت أمامك مجرّدَ فتاة وضيعة، كلّ أهلها خدمٌ عندك،ووهبتني حبًّا جارفًا اجتاحني، حبًّا غير مشروط، حبًّا لا يزور المرأة منّا إلّا مرّةً في العمر، كيف تظن أنّني لن أبيعَ عملي في المنظمة، بل وأبيع حياتي السابقة كلّها مقابلَ حبّ كهذا؟!».

كان كلامها ينفذُ إلى أعماق قلبه، ويزيل ما فيه من رواسب، ويتركه صافيًا مليئًا بحبّها، خاليًا من الشكّ في مشاعرها نحوه. نظر إلى الشاشة التي كانت تنقل له صورةَ الغرفة، ورأى دالا ووليدًا يفحصان الجدار حيث يوجد مفتاحُ الغرفة السري. ابتسم ساخرًا وهو يعلم يقينًا أنهما لن يستطيعَا اختراقه، وأن أوزلو وبعضَ الرجال على وشكِ الوصول والتخلص منهم. امتقع وجهه وتبادلَ النظرات القلقة مع فيكا حينَ وجدَ دالا تُزيل من حول ذراعها سوارًا، وتثبته للحائط وتجلس على الأرض في ترقّب، وإلى جوارها وليد.

«أوزلو، إنّ لديهم آلة لفتح الباب، أسرعْ أرجوك». قال كيمان مخاطبًا جهاز الاتصال فجاءه الردّ: «لقد أوشكتُ على الوصول، سوف أذبح هذيْن اللعينين، وأعلق رؤوسهما على باب القصر». تهلّل وجه فيكا وقالت له: «سوف يقضي عليهما ونعودُ لحياتنا دون أسرار، سنؤسس مملكة كبيرة تكون أنتَ الملك وأنا مليكتك، وأبناؤنا أمراء وأميرات، وسوف يأتي يومٌ نطلب من المنظمة استعادةَ أوزلو، وترك كلّ شيء لنا فقط». اتّسعت ابتسامته وهو يتخيل معها ذلك المستقبل الذي يكونان فيه سيديْن على آلاف البشر. لم تدمْ تلك الابتسامة طويلًا فقد لاحظ شيئًا تفعله دالا أزالَ ابتسامتهما.

كانت دالا في الخارج تراقبُ سوارها حتى أعطاها إشارةً

ما، بعدها قامت بفتح أنبوبٍ دقيق في طرفِ السوار، وأخرجت منه إبرةً على طرفها مسحوق أبيض، وضعتها في نقطة دقيقة في الجهاز القارئ الذي يفتح البابَ السري. «هذا المسحوقُ يحتوي على الحامض النووي لكيمان، وهو الخطوةُ الأخيرة في فتح الباب». قالت وهي تشرح لوليد حين رأتْ على وجهه علامات التّساؤل وبعضَ الضيق؛ لأنّ هناك أجزاءً في المهمة لم يكنْ على اطّلاع كامل بها.

انفتح الباب أخيرًا، شعر وليد أنّ مهمتهما على وشك الانتهاء أخيرًا، لكنّه فوجئ بكيمان وإلى جواره فيكا واقفيْن في تأهّب، وفي يد كلّ منهما سلاحٌ يشبه السيف، لكن ذا حواف لامعة. هتف كيمان محذّرًا: «سأقتلكما إنِ اقتربتُما». قال وليد بصوت هادئ: «لا داعي للمقاومة يا كيمان، سوف تأتي معَنَا طواعية أفضل لك». وأضافت دالا وهي تشير نحوَ فيكا: «أنت لا تريد أن يلحقَ أذًى بعصفورتك تلك».

صرختْ فيكا وهي تقفزُ نحوها قائلة: «أنا لست عصفورةً أيّتها اللعينة». ثمّ هوت بسيفها نحو دالا التي تلقّت الضربة على سيفها، لكنّها فوجئت بصعقةٍ كهربائية تسري في جسدها، وتسقطها أرضًا، وفيكا تضيفُ في تشفّ: «أنا مقاتلةٌ أعملُ في المنظمة». كانت مفاجأة وجود تيار كهربي صاعق في ذلك السيف، لكنّ دالا استوعبتها سريعًا، وهجمت على فيكا بيدِها العارية وهي تتفادى سيفها،

وتضربها بقبضتها في وجنتها بقوّةٍ أدارت رأسها.

هتفَ وليد وهو يهاجم كيمان بدوره: «لا وقتَ لدينا للصراعات الجانبية». أخرج من جيبه محقنًا مخدّرًا، وحاول أن يغرسه في غريمه الذي تفاداه، وضربَه بسيفه ضربةً جرحت جلد خصره وصعقته فأسقطته أرضًا. هوى كيمان عليه بالسيف ثانية، لكنّه تفاداه، ثمّ اعتدل واقفًا مواجهًا إيّاه، كانت دالا قد نجحتْ في توجيه أكثر من ضربةٍ لفيكا التي سقط منها سيفها، ورقدت على الأرض تتألم. رأى كيمان المنظرَ فقال: «انتظري أرجوك، لا تمسّيها بسوء، أنا أستسلم». قال وليد: «ألقِ سيفك أوّلًا». فقال: «حسنًا، سوف أستسلم لكما، وأدلّكما على طريق خلفي تتجنبان به أوزلو الذي لابدّ قد أوشك على الوصول للقصر مع بقية رجالي، لكن بشرط».

قال وليد بغلظة: «ليس هناك مجالٌ لشروطك، سنخرج ونهزمه هو الآخر، كما أنّ معنا رجالًا في الخارج». أشارت له دالا ليتمهّل قائلة: «ما شرطك؟». فقال: «أن تأخذوا فيكا معنا». فقالت فيكا: «نعم، خذوني معكم، وسوف أقضي فترةَ السجن مثله تمامًا». وقفت دالا متردّدة، وهي تفكر أن تتّصل برمزي، فقال وليد: «لا مجال أمامنا، دعينا نخرج ونقضي على أوزلو هذا».فقال كيمان برجاء: «فكّرَا جيدًا، سأنقلكما لحظيرةِ خيول تأخذنا أينما تريدون».

فكّرتْ دالا قليلًا، ثمّ نادت على الدرابي المرافق لهم. جاء

الرجلُ وبدا عليه الذهول ممّا يراه فقالت دالا له: «اسمع، انسحبْ أنت ورجالك، ونحن سنهرب مِن نفقٍ سرّي هنا». نظر الرجل نحوَ وليد منتظرًا رأيه، فأومأ بالإيجاب ثمّ أضاف: «اهربوا في سلام، ولا تحاولوا الاشتباك مع أحد، وبلّغ هادو تحياتي». خرج الرجل ثمّ ضغطتْ دالا سوارها فانغلق بابُ الغرفة السري عليهم، وهي تقول لكيمان:»لقد صار سواري يتحكّم في الباب، ولن يتمكن أوزلو من الدخول أبدًا، هيّا دلّنا على الطريق، وإن كنت تخدعُنا فسأقتلك أنت وعصفورتك».

جذبَ كيمان رافعة في الباب فظهرت فتحة نفقٍ دخلوا فيها، قال موجّهًا كلامه لوليد: «لقد وعدتني أرجوك لا تخلفْ وعدك معي». قال وليد: «لستُ أنا مَن وعدك». فقال: «نعم لكنني أثق بكَ أنت، ومادمتَ وافقت على كلامها فأنا أعتبرُ موافقتك وعدًا، أرجوك حافظ على هذا الوعد». وصلوا إلى حظيرة خيلٍ فيها ثلاثة أحصنة، ضربتْ دالا كيمان على رأسه، فخرّ مغمى عليه ثمّ فعلتِ المثل لفيكا، ثمّ ركبت حصانًا وأخذتها أمامها، وركب وليد الحصان الثاني وأمامه كيمان، ثمّ انطلقوا جميعًا نحو تلّ الظلال.مرّوا بين الحقول بسلام دون أن يقاطعهم أحد، وحين بدأوا في الطّريق الرئيسي الذي يقود نحوَ وجهتهم فوجئوا بخيولٍ تنهب الأرضَ في اتجاههم يتقدمهم أوزلو شاهرًا سيفه.

-٣٠-

كانوا أربعةً يطاردون اثنين، وكان حصانَا دالا ووليد أقوى وأسرع، لكن حملهما كان أثقل. ضاقتِ المسافةُ بينهما وبين المطاردين تدريجيًّا. حين اقتربت المطاردة من الطريق الفرعي الذي يقود لتلّ الظلال أكملت دالا في طريقها، بينما دخلَ وليد للطريق الفرعي بعدما أشارت إليه بأنْ يكمل في طريقه وينتظرها عند سفح التل.

عندما رأى أوزلو تفرّقهما أكملَ خلفَ وليد، وترك الباقين يطاردون دالا، كان واثقًا في قدرته على إسقاط وليد، وكان لا يريد فقدَ فيكا في نفس الوقت، ويعلم أنّ دالا من أصحاب الجين الفائق، وليس من السّهلِ القضاءُ عليها، ولذلك أرسل ثلاثةً خلفها. كانت مفاجأة كبيرة له حين علمَ أنّ فيكا تنتمي للمنظمة، وقرّر أن يعبّر عن غضبه للإدارة، قرّر أن يقرن غضبه هذا باشتراطاتٍ جديدة في عملِه مع المنظمة، لكنْ بعد أن يتخلّص من وليد ودالا، ويعيد كيمان وفيكا ليثبتَ قدرته على تنفيذ مهامّه.كان محظوظًا في توقعه للمسار الذي سيتخذه وليد متّجهًا للكهوف، فقدْ خمن أنّ في تلك الكهوف مخبأ خاصًّا به، بدليل المرة السابقة التي تظاهر فيها بمساعدتهم في تحرير كيمان.

نظرَ وليد خلفه فوجدَ أوزلو يقترب منه تمامًا، تخيّل أنه قد يرمي حصانه بأيّ شيء ليتسبب في سقوطه، لكنّه قال

لنفسه إنّه يخشى على كيمان من السقطة بالتأكيد. اقترب أوزلو من وليد بحصانه حتى صار مُحاذيًا له، ثمّ رفع سيفه ولوّح به في اتجاهه، حاول تفاديه وهو يجاهد ليحفظَ توازنه على ظهر الحصان. المشكلة التي كانت تواجه وليدًا في تلك اللحظة أنّ الطريق قاربَ على الانتهاء، وأنه سيكون مجبرًا في النهاية على مواجهة أوزلو.

لوّح أوزلو بسيفه مستهدفًا رأسَ وليد هذه المرة، كان وليد قد سحبَ سيفَه هو الآخر، وفي حركة رشيقة انْحنى ليتفادى سيفه، ثمّ مال بجسده ليقذف سيفَه بقوة في جسد حصانه، وهو ما جعل الحصانَ يميل من الألم، ويسقط أوزلو، لكنّ عنفَ الحركة جعل وليدًا يسقط هو الآخر. كلا الرّجلين كان مِن أصحاب الجين الفائق، وعنده قدرة على امتصاص صدمة عنيفة كتلك.

كانت المواجهةُ المباشرة عسيرةً على وليد، لذلك فضّل أن يهرب ويراوغه. كان الحصان الذي يحملُ كيمان لا يزال في طريقه نحوَ سفح التل، جرى وليد بأقصى سرعته خلف الحصان وخلفه أوزلو، فكّر أن يدخلَ الأحراشَ على يمينه ليضلله، خطرتْ بباله فكرة أن يوقعه وسط التماسيح ذات الأرجلِ الكبيرة التي كادتْ تفتك به من قبْل، لكن المخاطرة سوف تشمله هو أيضًا.

جرى وسطَ الأحراش، سمع صوتَ الأقدام الغليظة للتماسيح تتحرّك، كان يتمنى إعاقة حركة غريمِه ولو لعدّةِ

ثوان حتى يسقطه أحدُ تلك التماسيح، نادى بصوتٍ عال: «لوز. . . لوز».لم يتلقّ إجابة، في الواقع لم يكنْ ينتظرها؛ وإنّما أراد بالأساس تشتيتَ انتباه خصمه. دخل عميقًا عدة أمتار، كان يرتجّل، يشعرُ أنه يتحرك دونَ هدف، ويدخل بنفسِه في شرَك. عاد ليقترب من الطريق ثانية، وأوزلو في إثْره، فجأة، برزَ تمساحٌ أمامه فتجمّد، ثمّ ظهر اثنان، ثمّ ظهرت مجموعةٌ أخرى تحيط بأوزلو.

كان موقفُ وليد أفضل، تمساح واحد فقط يمنعُه من الوصول للطريق، بينما أوزلو بينه وبين الطّريق صفّان من التماسيح. لم يكنْ مع وليد سيف أو شيء يقاتلُ به التمساح، فكّر أن يقفز فوقه لكنّه كان يخشى أن يصطادَه وهو في الهواء. كان غريمُه خلفَه يهشّ التماسيح بسيفٍ دون أن يتمكّن من إصابتها. تقدّم وليد تجاهَ الطريق، وحاول أن يراوغ التمساح، لكنّه وجد آخرَ يتصدّى له قبلَ أن يفاجأ بلوز يقفزُ على التمساح ويتعلّق برقبته ويفقأ عينيه فاتحًا له المجال ليقفز للطريق ثانية، تاركًا أوزلو خلفه محاصرًا.

أخذَ لوز على كتفه، وانطلق به تجاهَ التل وهو يقول: «أنت أذكي منّي كثيرًا يا لوز، لا أفهم كيف تعرفُ نقطة ضعف هذه الحيوانات، كان ينبغي عليّ أن أتعلم منك، وأن أهاجم عيونها لكنني نسيت». وصل إلى السفح، كان كيمان لا يزال مخدّرًا على ظهر الحصان الذي كان يرعى في الحشائش الموجودة عند السفح. حمله وليد على كتفه،

وصعد حتى مدخل أحد الكهوف في المستوى الأول. دخلَ به مع لوز إلى عمق الكهف حتى استقرّ في المكان الآمن الذي خبأ فيه معدّاته هو ودالا، ثمّ أمر لوزًا أن ينتظرها عند مدخل الكهف.

أفاقَ كيمان، قام مفزوعًا كأنّه استيقظ من كابوس مُرعب، بحث بعينيه عن فيكا، وهو يردّد سائلًا وليدًا: «أين فيكا؟ أين فيكا؟!». طلب وليد منه الهدوء، وأخبره أنّها في الطريق مع دالا، ثمّ قال ببرود: «لقد تلاعبتَ بنا، ولذلك لن نجعلها تذهبُ معك». أقسمَ لوليد أنه كان صادقًا، فقال:»لقد تبعنا أوزلو، كيف استطاع تتبّعنا؟!» فأقسمَكيمان ثانية وهو يتوسّل لوليد ألّا يُخلف وعْدَه.

سادَ صمتٌ للحظات، ثمّ قطعه كيمان قائلًا: «مِن أيّ كوكب أنت؟». ضحك وليد، وتذكّر وقتًا حين كان يسأله أحدُهم مِن أين أنت فيجيب من عين شمس، فيجيب السائل: «عين شمس الشرقية أم الغربية. قال له: «مِن كوكب الأرض». فقال كيمان: «من شمال أفريقيا؟». قال وليد مندهشًا: «أنا من مصر». فأجابه: «مصر، بلد جميل، وتاريخه عظيم، هل تعلم أنّنا كنا ندرس عن الأهرام والحضارة الفرعونية ونحن تلاميذ؟!». نظر له وليد بغضب وهو يحذّره من الاستخفاف به فقال نافيًا: «أقسم أنّني لا أسخر، نحن ندرس معلومات عن أهمّ الكواكب التي يقطنها البشر،وأبرز الحضارات التي ظهرتْ في هذه الكواكب،

ولعلمك.. الحضارة المصرية من أعقد تلك الحضارات، وأكثرها إثارةً لحيرة العلماء في كوكبنا».

شعرَ وليد بالزهو في داخله، لكنّه أخفى شعوره، واحتفظ بتعبيرات صارمة على وجهه، ولم يردّ عليه. اعتدل كيمان في جلسته بصعوبة وطلبَ أن يشرب، أتاه بإناءٍ فيه ماء، وقام برفعه لفمه، نظرَ في امتعاض للإناء، لكنّه شرب حين رأى نظرةَ وليد صارمة لا تتبدّل. قال بعد أن مسح فمَه في كتفه: «لماذا تقوم بهذا العمل؟ لو مقابل المال فيمكنني أن أعطيك عشرة أضعاف ما يُعطيك هؤلاء». شعر وليد بالغضب فقامَ من مكانه وأمسكه من تلابيبه، ودفعه نحو الحائط، ثمّ قال: «أنت مجرم، تستحقّ السجن، هل هذا السببُ يكفي؟».

تركَه فانبرى يدافع عن نفسه: «أنا لستُ مجرمًا، كلّ ما فعلته أنّني أردت أن أعيش حياةً جديدة في مكانٍ جديد، ولم أرتكب ما يشين». أخذ وليد نفسًا عميقًا، وسأله: «كم مُزارِعًا جلدت؟ وكم علّقت على الأشجار؟ وكم فتاةٍ أخذتها في قصرك أكلتها لحمًا ثمّ رميتها عظمًا؟، هذه الحرب التي كنت تخطّط لها كم إنسانًا كان ليموت فيها بسببك؟ هذه الجرائم تكفي في رأيي لسجنك مدى الحياة وليس عشرة أعوام فقط».

«الناسُ كانوا يجلدون ويعلّقون على الأشجار، والفتيات كنّ يأتين برغبتهن ورغبة أهاليهن والحروبُ تملأ كوكب

شوريد، وخاصّة بين إمارات سارتا، لم أفعل شيئًا جديدًا في هذا المكان، إنّها قوانين أهله، فما الفارق الذي فعلتُه أنا؟!». قال كيمان. فرَدّ عليه وليد بانفعال: «الفارق أنك تعلمُ أنّها أفعال خاطئة، الناس هنا يعيشون في زمن لم يدركوا فيه بعدُ حقّ الإنسان في الحرية والعيش بكرامة،هو يظنّ أنّ الخادم كائنٌ مختلف أقلّ منه درجة، أمّا أنت فتعرف أن الخادم والسيد بشرٌ متساوون، لهم نفس الحقوق، وعندهم نفس القلوب والمشاعر». حاول كيمان الابتسام بسخرية، وقال:»هؤلاء الدرابيون أقلّ شأنًا من القرود، ليست لديهم آمال ولا أحلام ولا أحاسيس، فقط بعضُ الحكايات الخرافية عن جدودهم العظماء، كلّ ما يريدونه هو الأكل والنوم والأمان ولا شيء آخر».

أثار كلامُه ضحكَ وليد، وقال: «الدرابيون لديهم مشاريع للمستقبل وخطط وتنظيمات كاملة لا تعرفُ عنها شيئًا، هم مَن اختطفوك أوّلًا، وهُم من ساعدونا في تحرير زميلتي دالا، وهم من ساعدوا في اختطافك ثانية، إنّهم أذكى وأعقل ممّا تتخيل أنت أو السادة الحمقى الذين صاحبتهم».

عقدتِ الدهشةُ لسانَ كيمان، فصمَتَ حتى سمعَا صوت دالا قادمة ومعها فيكا التي كانت قد أفاقت. سألها وليد: «هل سنتركها هنا أم نأخذها معنا؟». قالت دالا: «بالطبع سنأخذها معنا، يبدو أنّ رمزي لم يخبرك أنّ لنا مكافأةً إضافية عند القبض على عملاء من المنظمة».

استغرقتْ عملية إزالة الشريحة من جسدِكيمان ربعَ ساعة تقريبًا، قامت بها دالا على خير وجه، بعدَها ركّبت أساورَ الانتقال في معصمه ومعصمِ فيكا، ثمّ فعّلت سوارها، وطلبت من وليد فعل المثل، والإمساك بلوز لينقلَه معه. بعدَ لحظة كان الأربعة- ومعهم لوز- في قاعة فسيحة، وفي انتظارهم كودو وناديا ورمزي. عانق رمزي وليدًا بفرحة حقيقية وهو يثني عليه ويقول لكودو: «ألمْ أخبرك يا سيدي أنّه لن يخيّب ظني». خبطتْ دالا على كتفه وقالت: «هل نسيت أنني قائدته يا سيّد رمزي». فضحك كودو وقال: «أنت بالطبع صاحبةُ الفضل لكنّ رمزي يعتبر وليدًا تلميذه ومجهوده الخاص».

انتهتِ الإجراءات، وتمّ نقلُ كيمان وفيكا إلى المسئولين عن محاكمتهما، قال وليد لرمزي بعد أن اختلى به: «هذا الولد كيمان مسكين، يبدو أحمقًا أكثر منه مجرمًا». فقال رمزي مبتسمًا: «سوف يحاول الكثيرُ منهم استعطافك عندَ القبض عليهم، المحكمة سوف تراجع أفعاله بدقّة، مجرد استخدام السفر عبرَالكون بشكلٍ غير شرعي هو جريمة عقوبتها السجن خمس سنوات، ثمّ تُضاف عليه عقوبات أخرى حسبَ جرائمه في الكوكب الذي ذهب إليه». هزّ وليد رأسه متفهّمًا، ثمّ قال: «الآن سأعود وأتوقّف عن الانتقال حتى تحينَ مهمةٌ جديدة؟». فقال رمزي:»بالطبع، لكن لديْك هنا غرفةٌ ومكان خاصّ بك إذا أحببت أن تزورَ المكان

هنا للفسحة، سوف تصلك مكافأة هذه العملية بطريقةٍ لا تثير الشكوكَ فيك، أريدك في الفترة القادمة أن تستمرّ في حياتك المعتادة، وأن تكون التغيراتُ في حياتك تدريجيّة تمامًا، ولا تقلق من أيّ شيء، فعيوننا عليك دومًا». عانقه وليد مودّعًا، عناقًا حارًّا كأنه يودع صديقًا قديمًا، ثمّ قال وهو يصافحه: «أراك في المهمة القادمة». ثمّ ضغط زرَّ الانتقال.

«يا أبا وليد، ابنك المجنون يصرُّ على أن يربّي قردًا في البيت، شُف لك صرفة فيه». زعقت أمّ وليد مناديةً أباه وهي ترى لوزًا جالسًا على كرسي صغير جوارَ فراش وليد. جاء أبوه وقال: «أي قرد، ما هذا يا ابني! هل ستسرح به في الشوارع؟». ابتسم وليد وأشار للوز قائلًا: «أدّ التحية للحاجّ يا لوز». رفع لوز يدَه بتحية عسكرية، فابتسمَ الرجل رغمًا عنه، فقال وليد: «اطلب منه أيّ شيء يا أبي». هزّ الأب وجهه متسائلًا، فقال وليد: «إنّه ذكي، ويقوم بكل شيء». فقال الأب: «هات لي علبة السجائر، وكوبَ الشاي من الصالة».همس وليد في أذن لوز، فقفز ثمّ عاد بكوب الشّاي وعلبة السجائر، ثمّ اختفى ثانية، وعاد بمطفأة للسجائر، وقدّاحة، فضحك أبو وليد حتى اهتزّ كرشه الكبير، ورشف رشفةً من كوب الشاي، ثمّ قال لأمّ وليد: «دعينا نحتفظ به يا حاجة بشرط أنْ يعلمنا وليد كيف يتعاملُ معه». شهقت الحاجة في استنكار قائلة: «سأربي

قردًا في البيت على آخر الزمن!». فقال ضاحكًا: «يا ستي سأربّيه أنا، ثمّ إنك ربّيت هذا القرد المدعو وليد ولم تشتكِ منه، ربّ هذا القردَ أيضًا لينوبك ثوابه». فانصرفت غاضبةً وهي تتمتم، بينما تبادل وليد وأبوه النظرات، وانفجرَا في الضحك.

[نهايةُ الجزءِ الأول]